تُراث

torathehc

تراثية ثقافية منوعة تصدر عن نادي تراث الإمارات العدد 268 فبراير 2022

مهرجانات التراث
محافل تؤصّل الموروث

مهرجانات نادي تراث الإمارات
تخدم الإنسانية

قراءة في
مباحثات الاتحاد التساعي

الخليج والجزيرة العربية
في المصادر الروسية

التشكيلية الإماراتية نجاة مكي:
مهرجانات التراث تحتفي بذاكرة الانسان

الخيل موروث وحضارة

قلعة المربعة
عندما يمتزج التراث بالحماية

التطور الفني
للقصة النسائية الإماراتية

نادي تراث الإمارات يزين ليالي مهرجان الظفرة 2022

مهرجانات التراث

احتفاء بثقافة وموروث الوطن

تعد المهرجانات التراثية مناسبة وطنية مهمة للاحتفاء بثقافة وتراث الوطن، كما تعد مؤشراً مهماً للدلالة على مدى اهتمام القيادة السياسية في الدولة، والتي يأتي على رأسها صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة، وصاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي، نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، - حفظهما الله - بالاعتناء بالتراث والثقافة، وإعطائها أولوية خاصة ضمن خطة عمل ثقافي مؤسسي، فدولة الإمارات تزخر بإرث وطني وعربي وإسلامي كبير نراه في عادات وتقاليد وسلوكيات شعبها، لذا جاءت توجهات سموهما حفظهما الله متخذه كافة الإجراءات الكفيلة بالحفاظ على التراث الوطني ورعايته من خلال تنظيم المهرجانات التراثية والثقافية، لما لها من الأثر الأكبر في ترسيخ مفهوم الهوية الوطنية، وتحقيق منظومة التلاحم الوطني. ويعد نادي تراث الإمارات من أهم الجهات الداعمة في الدولة لمثل هذه المهرجانات، وهو يحرص على تنظيمها سنوياً ضمن برامجه وفعالياته التراثية، ومنها على سبيل المثال مهرجان السمحة، وسباق اليوم الوطني، ومهرجان فاكهة الشتاء والسوق الشعبي في البطين، أو يشارك في مختلف المهرجانات التي تنظمها هيئات وجهات معنية بالحفاظ على الموروث الثقافي والتراثي في الدولة، مثل المعرض الدولي للصيد والفروسية الذي ينظمه نادي صقاري الإمارات، ومهرجان الظفرة التي تشرف على تنظيمه لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية في أبوظبي، وأيام الشارقة التراثية التي تنظم من قبل معهد الشارقة للتراث، وغيرها العديد من الفعاليات والمهرجانات، وتتمثل مشاركة النادي في هذه المهرجانات من خلال المعارض التراثية التي ينظمها مثل معرض الحرف التراثية القديمة، والمعارض البحرية ومعارض الكتب التي تبرز الموروث الثقافي الإماراتي الزاخر بموضوعاته ومفرداته. فالدور الكبير الذي تلعبه هذه الفعاليات المحلية المتخصصة في التراث، هي التذكير بالكثير من مكونات التراث والتاريخ الإماراتي ولها دورها الكبير في إيصال المعلومة للآخرين، وتصحيح مسار بعض الأفكار أو المواضيع التي قد تخرج عن الهوية. ولولا الحرص على استمرارية هذه الفعاليات التراثية الثقافية التي تعكس الماضي الجميل لضاع الكثير من معالمه في زخم الحياة العصرية.

ومن خلال ما تشهده دولة الإمارات وعلى مدار العام من مهرجانات مختصة بالتراث تسهم في ترسيخ الهوية الوطنية وتعزز السياحة الثقافية التراثية في الدولة، جاء اختيارنا له ليكون ملفاً لعدد «تراث» لهذا الشهر، وكلنا أمل بأن تستمتعوا بموضوعات هذا العدد المتنوعة.

شمسة الظاهري

رئيس التحرير

46
ساحة الحوار

التشكيلية الإماراتية نجاة مكي:
مهرجانات التراث تحتفي بذاكرة الانسان

الفنانة التشكيلية الإماراتية نجاة مكي واحدة من الوجوه الفنية الإماراتية التي اهتمت بالتراث، وعملت على توثيقه ونقله للأجيال.
ولأنها مسكونة بتراث وطنها، فقد وجدت في المهرجانات الفنية المعنية بالتراث وسيلة جيدة للوصل بين الأجيال، وتعريف كافة فئات المجتمع بالموروثات الشعبية، والحرف والفنون التقليدية التي انتقلت لنا من الأجداد والآباء. وهي ترى أن التراث ذاكرة خصبة للشعوب، منه يستقي الناس القيم الاجتماعية والثقافية، بجانب ما تركه الأجداد من عادات وتقاليد مثلت إرثاً غنياً بكل قيم الأصالة... حوار: علي تهامي

64
ارتياد الآفاق

1000 نافذة لغرفة واحدة

كما تصبغ الصحراء أشجارها وتشي الدروب بالمدن، فإن الطبيعة التكوينية للكاتب قد صبغت الرحلة، فلم تخل من طرائق الراوي، وسرد القاص الذي أتقنه عبر كتابات كثيرة في مجال الرواية والقصص، ولم تجاف منهجه الاجتماعي في تحليلاته الرصينة، إلا أن التحدي الأكبر تمثل في مدى قدرة الكاتب على التلبس بحالة الرحالة التي أهم ما يميزها هو العين البصيرة التي تلتقط ما لا تراه أعين القاطنين في الديار، فهل ستنجح الرحلة في ملء هذا الإناء؟ محمد عبد العزيز السقا

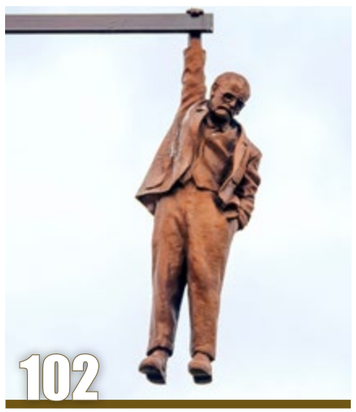

احتفاليات التراث ومهرجاناته المتنوعة، واحدة من أبرز الأدوات التي يعتمدها نادي تراث الإمارات في تحقيق أهدافه، وإيصال رسالته للجمهور المستهدف، وفي مقدمتهم فئة النشء والشباب.

تنبع أهمية هذه الأداة من قدرتها على اجتذاب الجمهور ونقلهم إلى عالم واقعي زاخر بكافة أشكال التواصل، حسيًا وبصريًا وسمعيا، والتنويع في استخدام أشكال المؤثرات، مما يُعظم من الفائدة، ويجعل مفردات التراث حية ومتداولة، ويمنح الناس فرصة التعامل معها في خبرة ممارسة مباشرة لإدراك أهميتها واستشعار قيمتها في حياة الأجداد.

كما تعد المهرجانات فرصة كبيرة لالتقاء كل أفراد الأسرة في حدث واحد، يستعيد أجواء الماضي، ويقدم الموروث في صورة تجعله جزءا من ذكريات الأسرة المشتركة، ويضيفه إلى نسيج حياتهم المعاصرة.

وتحفل خريطة أنشطة نادي تراث الإمارات بمجموعة متنوعة ونوعية من المهرجانات، في مجالات التراث المختلفة، المادي والمعنوي، تستهدف خلق أجواء معايشة حقيقية مع مفردات التراث، تسمح بالتعلم واكتساب المهارات ونقل الخبرات.

وتعد دولة الإمارات العربية المتحدة من الدول الرائدة في صناعة مهرجانات التراث، تحولَ عدد كبير من المهرجانات التي تنظمها للاحتفال والتعريف بالتراث، إلى أحداث اقليمية ودولية، يضعها المهتمون بالتراث عبر العالم على أجندة مواعيدهم ومشاركاتهم.

في ملف هذا العدد نسلط الضوء على مهرجانات التراث باعتبارها أداة تواصل وتبادل خبرات هامة، نُعرّف ببعض المهرجانات الهامة، ونستطلع آراء باحثين ومبدعين ومثقفين إماراتيين وعرب حول طبيعة المشاركات والأنشطة التي تقدمها مهرجانات التراث، ومقترحاتهم من أجل تفعيل دورها.

نأمل أن يكون الملف بادرة جهد منظم لتوثيق كل الاحتفالات والمهرجانات التي تحتفي بالتراث داخل الدولة، ودراسة تفاصيلها، واقتراح خريطة تنظيمية تجمعها، لتفادي التكرار، واستكمال المغفل، وتعزيز الجهد من أجل خدمة أهداف الدولة التنموية، التي تضع الإنسان وثقافته وذخيرته من تراث أجداده في مقدمة أولوياتها.

كما يضم العدد باقة منوعة من المقالات والمواد الصحفية التي تسلط الضوء على جوانب هامة من تراث دولتنا وتراث الإنسانية، نتمنى أن تحظى برضا قراء تراث الأعزاء.

فلاح محمد الأحبابي
رئيس نادي تراث الإمارات

محتويات العدد

تراث الشهر

8 أنشطة رياضية وفكرية نوعية لنادي تراث الإمارات

10 نادي تراث الإمارات يزين ليالي مهرجان الظفرة 2022

60 مدينة دوز - ضياء الدين الحفناوي

62 جائزة طاغور - شعر: د. شهاب غانم

70 أبواب امرأة العزيز - عبد الفتاح صبري

72 أحمد راشد ثاني ناقداً مسرحياً - عصام أبو القاسم

75 تاريخ اللغات الحامية القديمة - راشد سعيد مبارك

76 رسالة رحلة ابن فضلان - عبد الله يحيى السريحي

78 «غواية التجريب» موسوعية الرؤية ومساءلة الحداثة - د. حمزة قناوي

82 خفايا الجمال الموسيقى - د. نورا صابر المزروعي

84 الخيل... موروث وحضارة - شمسه الظاهري

87 أحلام شاعر - عادل خزام

88 القصيدة والتوشيح وما يتبعهما - مصطفى سعيد

90 الخليج والجزيرة العربية في المصادر الروسية - فاطمة مسعود المنصوري

93 وجوه لا تغيب - مريم النقبي

94 حلم كماء - شيخة الجابري

96 شعراء كبار ماتوا شبابًا - عزت عمر

101 من حكايات إيسوب - محمد عبد الفتاح

102 الجنون عبقرية أم العبقرية جنون؟ - نوزاد جعدان

108 التطور الفني للقصة النسائية الإماراتية - أحمد حسين حميدان

126 قلعة المربعة، عندما يمتزج التراث بالحماية - حسن صالح محمد

129 النداء والنادي والمُنَادِي - عبد العزيز المسلم

130 أن تجلب معك ضوء الشمس - د.فاطمة حمد المزروعي

112

دراسات إماراتية

قراءة في مباحثات الاتحاد التساعي

كان إعلان الشيخ زايد بن سلطان والشيخ راشد بن سعيد (رحمهما الله)، في 18 فبراير سنة 1968م، عن قيام اتحاد يضم كل من إمارتي أبوظبي ودبي، حافزاً ومحركاً لباقي الإمارات للدخول في مباحثات من أجل إقامة اتحاد أوسع وأشمل، يكون له القدرة على مجابهة الأوضاع الجديدة، وملء الفراغ الذي ستخلفه بريطانيا عقب انسحابها من تلك الإمارات... د. خالد بن محمد مبارك القاسمي

120

دراسات إماراتية

الرياح المحلية في الأمثال والكنايات الشعبية

الرياح المحلية، كان لها فيما مضى في العقد الثالث والرابع والخامس من القرن العشرين أهمية كبيرة، فكانوا منها يعرفون المواسم التي تسمّى بالدرور، وبها أي الرياح يدخلون البحر، وبها يصيدون الأسماك، وبها يزرعون، وبها يواصلون أسفارهم البحرية، وعليها يعتمدون في الإبحار الشراعي، فكانت في غاية الأهمية لهم، فقالوا فيها الأمثال والكنايات... فهد علي المعمري

أسعار البيع

الإمارات العربية المتحدة: 10 دراهم - المملكة العربية السعودية 10 ريالات - الكويت دينار واحد - سلطنة عمان 800 بيسة - مملكة البحرين دينار واحد - اليمن 200 ريال - مصر 5 جنيهات - السودان 250 جنيهاً - لبنان 5000 ليرة - سورية 100 ليرة - المملكة الأردنية الهاشمية ديناران - العراق 2500 دينار - فلسطين ديناران - المملكة المغربية 20 درهماً - الجماهيرية الليبية 4 دنانير - الجمهورية التونسية ديناران - بريطانيا 3 جنيهات - سويسرا 7 فرنكات - دول الاتحاد الأوروبي 4 يورو - الولايات المتحدة الأميركية وكندا 5 دولارات.

الاشتراكات

للأفراد داخل دولة الإمارات: 150 درهماً / للأفراد من خارج الدولة: 200 دولار - للمؤسسات داخل الدولة: 150 درهماً / للمؤسسات خارج الدولة 200 دولار.

ما ورد في هذا العدد يعبر عن آراء الكتاب ولا يعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو نادي تراث الإمارات

ترانيمة ثقافية منوعة

تصدر عن:
مركز زايد للدراسات والبحوث - نادي تراث الإمارات، أبوظبي

رئيس التحرير
شمسة حمد الظاهري

مدير التحرير
وليد علاء الدين

الإشراف العام
فاطمة مسعود المنصوري
موزة عويص علي الدرعي

الإخراج والتنفيذ
غادة حجاج

سكرتير إداري وشؤون الكتّاب
سهى فرج خير
torath@ehcl.ae

التصوير:
- مصطفى شعبان

عناوين المجلة

الإدارة والتحرير:
الإمارات العربية المتحدة - أبوظبي
مدير التحرير: walid@ehcl.ae
هاتف: 024092200 - 024456456

تسهم في حفظ خصوصية الثقافة الإماراتية

أنشطة رياضية وفكرية نوعية لنادي تراث الإمارات

إعداد قسم الإعلام

تنوعت أنشطة النادي خلال الفترة الماضية بين الرياضية والثقافية والاجتماعية في ظل الحرص على التنوع والابتكار في ضوء خطط التنمية في الدولة.

تحديات الزاجل للصقارة

نظم مركز زايد للدراسات والبحوث التابع لنادي تراث الإمارات النسخة الثالثة من بطولة «تحديات الزاجل» للصقارة بمنطقة بدع العشوش، بمشاركة 75 صقاراً تم تقسيمهم إلى ثلاث مجموعات. وقال مسلم العامري الباحث في التراث الشفهي بمركز زايد للدراسات والبحوث رئيس اللجنة المنظمة للبطولة إن النجاحات التي حققتها النسختان السابقتان للبطولة كانت حافزاً لاستمرارها وتطورها.

وأشار إلى أن تنظيم بطولات الصقارة يأتي تحقيقاً لرسالة نادي تراث الإمارات في الحفاظ على الموروثات ونشر الاهتمام بها وعلى رأسها الرياضات التراثية المختلفة التي تجد عناية خاصة من النادي، من أجل تعريف الأجيال الحديثة بها.

وكانت منافسات المجموعة الأولى التي جرت في 31 ديسمبر 2021، شهدت فوز الصقار سالم ناصر اليهوني، فيما ذهبت جائزة الأداء المتميز للصقار سهيل ناصر اليهوني، وشارك في «هدد التحدي» كل من أحمد راشد الشامسي، وعبدالله راشد الشامسي.أما منافسات المجموعة الثانية التي جرت يوم 7 يناير الماضي ففاز بها الصقار معضد صوايح الكتبي، فيما ذهبت جائزة الأداء المتميز للصقار محمد سعيد عيسى المنصوري، بينما حاز جائزة «هدد التحدي» عبدالله سعيد عيسى المنصوري.

وشهدت الجولة الختامية فوز الصقار حمد الرئيسي بالجائزة، فيما فاز بجائزة الأداء المتميز الصقار محمد مبارك الهاجري، وشارك في «هدد التحدي» عبد الله عيسى الخييلي، ومطر سالم الشامسي.

حظيت بطولة «تحديات الزاجل» للصقارة بدعم عدة جهات هي مجموعة بن عزيز، سبارك أيديازللإعلان، شركة تمرين، مارشال راديو، ساندستورم، فريق عونك يا وطن، ديارك لمعدات الرحلات، مجموعة RX لمبيعات الطيور.

محاضرة عن تاريخ جنوب شرقي شبه الجزيرة العربية

نظم مركز زايد للدراسات والبحوث التابع لنادي تراث الإمارات، يوم 13 يناير الماضي، محاضرة افتراضية في مستهل موسمه الثقافي لعام 2022 بعنوان «قراءة في تاريخ جنوب شرقي شبه الجزيرة العربية من خلال المصادر العربية والاسلامية» قدمها الدكتور حمد بن صراي أستاذ التاريخ في جامعة الإمارات، وأدار النقاش الدكتور محمد فاتح زغل الباحث في مركز زايد للدراسات والبحوث. وفي كلمة افتتاحية قال بدر الأميري المدير الإداري في مركز زايد للدراسات والبحوث إن هذه المحاضرة هي باكورة فعاليات الموسم الثقافي الجديد للمركز، الذي نأمل أن يضيف للحراك الثقافي الإماراتي، وأن يسهم في إثراء الحياة الثقافية

لتشكل عاملاً فارقًا في تعزيز الحس الإبداعي، وتحويل الثقافة والفكر والإبداع إلى واقع ملموس. قال الدكتور حمد بن صراي إن تاريخ منطقة الخليج العربي أصبح محل نظر واهتمام الباحثين والعلماء المتخصصين بعد الاكتشافات الأثرية المنظمة والمتتابعة منذ منتصف القرن العشرين وحتي الآن، ونتيجة لهذه الطفرة في ميادين الآثار اتجهت الأنظار إلى المصادر العربية والإسلامية وما فيها من مرويات وأخبار وقصص لها علاقة بتاريخ ما قبل الإسلام.

وأضاف: اهتم المؤرخون بنتائج التحريات الأثرية للظفر بما يدعم وجهة نظرهم في معرفة المواضع الأثرية المكتشفة والتعرف على قاطنيها، وبالذات الفترة السابق للإسلام. وأشار إلى أن نسبة بناء المدن القديمة إلى الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ثم نسبتها إلى الأولياء والصالحين وأحياناً نسبتها إلى أشخاص مغرقين في القدم تضفي نوعا من القداسة والمهابة والقدم الزمني لهذه المدن. وقدم المحاضر عدداً من الأمثلة التى تدل على عدم وجود أصل لهذه المسميات، قائلاً انها تعتمد على أساطير وأنساب غير واقعية ولا تمت إلى الحقيقة بصلة، خاصة حين لا يمتلك الاخباريون والرواة والقصاصون تعليلاً لهذه المسميات ولا يفهمون كنهها ومعانيها، وبصورة عامة فإن كثيراً من أسماء المواضع الجغرافية لا تعلل أو بالأحرى لا يوجد لها سبب معرف إلا في حالات الأشكال التضاريسية لهذه الأماكن. كما سلط المحاضر الضوء على الديانات الموجودة في عمان قبل الاسلام، والعواصم والمراكز الإدارية في الإقليم حسب ما ورد عنها في المصادر العربية الإسلامية.

«تراث الإمارات» يشارك في اجتماع الأمانة العامة لمراكز الوثائق بالبحرين وندوة الشيخ عبد الله بن خالد

شارك نادي تراث الإمارات ممثلاً بمركز زايد للدراسات والبحوث في الاجتماع الـ (34) للأمانة العامة لمراكز الوثائق والدراسات بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، الذي انعقد يوم 26 ديسمبر 2021، في مركز عيسى الثقافي بمملكة البحرين. ضم الوفد كلا من فاطمة المنصوري مديرة مركز زايد للدراسات والبحوث ولطيفة النعيمي مسؤولة النشاط الثقافي بالمركز.

وقدمت المنصوري في الاجتماع تنويراً عما أنجزه المركز في إعداد الدراسة التوثيقية عن تاريخ الخليج العربي المعاصر، استكمالاً لتنفيذ مقترح كان تقدم به المركز في الدورة السابقة ويتمثل في إصدار كتاب عن تاريخ دول الخليج العربية، يعتمد على الوثيقة التاريخية والروايات الشفاهية كمصدر رئيس له، ضمن جدول أعمال الاجتماع. كما شارك المركز في الندوة الفكرية التي أقيمت على هامش الاجتماع، بعنوان «الشيخ عبدالله بن خالد والتاريخ»، وتحدث فيها عدد من الأكاديميين من مملكة البحرين والمملكة العربية السعودية وسلطنة عمان، وعرضت إنجازات الأمين العام السابق للأمانة «رحمه الله» وإسهامه في رفع المستوى الثقافي والأدبي في مملكة البحرين ومنطقة الخليج العربي بشكل عام. وقدمت فاطمة المنصوري ورقة بعنوان: «جهود الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة في جمع مصادر تاريخ الخليج.. الأرشيفات الروسية نموذجاً»، تناولت فيها منهج كتابة تاريخ الخليج في فكر الشيخ عبدالله بن خالد وجهوده في جمع تاريخ الخليج من جميع الأرشيفات العالمية لاسيما الأرشيف الروسي، الذي اعتبر خوض غماره تجربة جديدة في كتابة تاريخ الخليج. كما تطرقت إلى أهم الأبحاث والدراسات التي قدمت في ندوة العلاقات التاريخية بين دول مجلس التعاون وروسيا التي نظمتها الأمانة العامة لمراكز الوثائق والدراسات بدول مجلس التعاون في عام 1997 تحت رعاية الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة، بمشاركة خمسة عشر عالماً وباحثاً من المستشرقين والمستشرقات الروس، ومديري مراكز الدراسات والوثائق الأعضاء في الأمانة العامة، وباحثين ومهتمين بالدراسات التاريخية. وعرضت الورقة نماذج من وثائق الأرشيف الروسي الموجودة في مكتبة مركز زايد للدراسات والبحوث التي قدمت له هدية من مركز الوثائق التاريخية في البحرين ضمن توجهات الشيخ عبدالله بن خالد «رحمه الله، كما عرضت الورقة بعض الفعاليات التي نظمها مركز زايد حول العلاقات الإماراتية الروسية.

بمشاركة تميزت بتنوعها

نادي تراث الإمارات يزين ليالي مهرجان الظفرة 2022

إعداد قسم الإعلام

شارك نادي تراث الإمارات في فعاليات النسخة الخامسة عشرة من مهرجان الظفرة الذي نظمته لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية بأبوظبي تحت رعاية صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، ولي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، في الفترة من 13 إلى 23 يناير 2022. وتميزت مشاركة النادي التي أشرفت عليها إدارة الأنشطة بالتنوع الذي يعبرعن ثراء تراث دولة الإمارات العربية المتحدة وثقافتها، إذ ضم جناح النادي أقساماً مختلفة قدمت التراث المادي في شكل ورش حية لمنتجات الحرف التقليدية مثل الورش النسائية، والقسم البحري، وركن الصقارة، كما ضم جناح النادي أيضاً ركناً لمدرسة الإمارات للشراع، وركن إدارة البيئة والصحة والسلامة، وركن القرية التراثية، وركن مركز زايد للدراسات والبحوث.

سعادة المدير العام يزور جناح النادي

وكان سعادة حميد سعيد بولاحج الرميثي المدير العام لنادي تراث الإمارات قد سجل زيارة إلى جناح النادي يوم 19 يناير، حيث تفقد سعادته أقسام الجناح في جولة شملت أقسام إدارة الأنشطة بدءاً بالقسم البحري المتخصص لمركز أبوظبي الشبابي حيث استمع لشرح حول الطواشة وعدة الطواش واستخداماتها، والغوص والمغاصات، وعدة الصيد القديمة واستخداماتها، والغزل، وصناعة الديين، وغيرها من عناصر التراث البحري، واطمأن على الأثر الطيب للجناح في التعريف بالإرث البحري وسط حضور المهرجان.

كما شملت جولة سعادته أيضاً ورش الحرف النسائية التي قدمتها حرفيات من مراكز «العين، والسمحة، وأبوظبي» النسائية، اللائي قدمن ورش السدو والتلي وسف الخوص وغزل الصوف التي ظلت تجذب الزوار لاسيما من الأجيال الناشئة، إضافة إلى معرض المنتجات التراثية الذي يقدمن من خلاله ما أنتجته أيديهن، حيث أثنى سعادته على الجهد الكبير الذي ظلت تضطلع به الحرفيات التراثيات في النادي. وتفقد سعادته أيضاً ركن الصقارة الذي يقدمه مركز السمحة الشبابي، وجذب العديد من زوار المهرجان الذين تباروا في حمل الطيور والتقاط الصور معها، كما تعرفوا على عاداتها وأنواعها ومميزاتها. وتوقف سعادته عند ركن القرية التراثية الذي جاء معبراً عن مختلف بيئات الدولة عن طريق نماذج البيوت الإماراتية التراثية التي نفذتها القرية، مثل بيت البحر وبيت الشعر وبيت العين، واطلع سعادته على مدى التجاوب الذي وجدته، لاسيما من المهتمين بالعمارة من بين السياح والزوار، الذين أبدوا إعجابهم بملاءمة البيوت القديمة للبيئات المتنوعة في الدولة، كما أثار اهتمامهم ما قدمه «المقهى الشعبي» من أكلات تراثية للجمهور والزوار.

وضمن جولته التفقدية تعرف سعادة المدير العام للنادي على

المشاركة النوعية لمركز زايد للدراسات والبحوث حيث أثرى المكان بمعرض لنخبة من الإصدارات في الثقافة والتاريخ والتراث والشعر الشعبي، معروضة في جناح النادي في السوق الشعبي للمهرجان، وفي سوق الظفرة، كما توقف سعادته عند معرض الصور الذي يجسد مسيرة المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «طيب الله ثراه» في بناء وتأسيس الدولة، ومن بين ما يقدمه صور لزيارات المغفور له إلى منطقة ليوا وبدع زايد في مناسبات مختلفة. كما تفقد سعادته ركن إدارة البيئة والصحة والسلامة في النادي وثمن التوعية التي يقدمها عن الاحترازات الصحية وأهميتها لمنع انتشار فيروس كوفيد 19 بين الزوار، والمطبوعات الموجهة للناشئة لتعريفهم بأهمية البيئة والمحافظة عليها. كما تعرف على أنشطة الشراع الحديث التي تقوم عليها مدرسة الإمارات للشراع التابعة للنادي، التي قدمت عرضاً للشراع الرملي للمرة الأولى في مهرجان الظفرة، ووجد استحسان الجمهور لاسيما من الناشئة. وتلقى سعادته تنويراً في كل قسم عن سير المشاركة في المهرجان من الفرق العاملة في الجناح من موظفي

مركز الظفرة وموظفي إدارات النادي الذي بينوا أن جناح النادي يعد من أكثر المواقع جذباً للزوار والسياح طوال أيام المهرجان، وشكر سعادة المدير العام الطواقم العاملة على الجهد الذي بذلوه والتفاني في إظهار الدور المهم للنادي في حفظ وتوثيق ونشر تراث الإمارات. وكان سعادة المدير العام لنادي تراث الإمارات قد حضر في المنصة الرئيسية في اليوم السابق فعاليات مهرجان الظفرة، حيث شارك في تكريم الفائزين بجوائز المهرجان.

تعزيز أصالة الموروث الإماراتي

وشدد سعادة حميد سعيد بولاحج الرميثي المدير العام لنادي تراث الإمارات على أهمية الدور الرائد للنادي في المحافل التراثية في الدولة، مؤكداً الدعم المستمر من النادي لبرامج وأنشطة مهرجان الظفرة، لاسيما أن مضمون المهرجان واختصاصاته تتماشى وأهداف النادي وتخدم رسالته التي تركز على صون التراث وحفظه. وقال إن مشاركة النادي في المهرجان أتت ضمن إستراتيجية النادي، لتحقق الهدف الرئيس في صقل وترسيخ الهوية الوطنية في نفوس النشء من خلال البرامج المصممة لهذا الهدف في المهرجان، كما تحقق المشاركة أيضاً تعزيز أصالة الموروث الإماراتي وبيان ثرائه دعماً للمقومات السياحية لإمارة أبوظبي وتكريساً لمكانتها كوجهة سياحية ثقافية عالمية.

في حين وصف سعيد بن علي المناعي مدير إدارة الأنشطة المشاركة بأنها كانت «قوية وتعاونت على إنجاحها جميع الإدارات»، منوهاً بالإشادة التي وجدها جناح النادي من معالي اللواء ركن طيار فارس خلف المزروعي قائد عام شرطة أبوظبي رئيس لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية. كما أشاد المناعي بتصدر جناح نادي تراث الإمارات كأكثر المواقع جذباً للزوار والسياح طوال أيام المهرجان. وأكد المناعي الحرص

الدائم لنادي تراث الإمارات على خروج مشاركاته في المهرجانات في أبهى حلة بما يوازي مكانة النادي وأهميته في ما يتعلق بعرض وصون تراث الإمارات، وقال إن قافلة نادي تراث الإمارات التراثية إلى مهرجان الظفرة أسهمت في نشر الموروث الشعبي لاسيما أنها ركزت على ربط الناشئة بمختلف مفردات التراث. كما شكر المناعي الفرق العاملة في الجناح من موظفي مركز الظفرة وإدارة العلاقات العامة والإعلام وقطاع الخدمات المساندة ممثلاً بإدارة الشؤون المالية وقسم المشتريات وقسم الخدمات، لإسهامهم مع بقية الإدارات في إنجاح مشاركة النادي في هذا الحدث المهم.

برامج ثقافية متميزة

صاحب جناح نادي تراث الإمارات المشارك في مهرجان الظفرة برنامج ثقافي لمركز زايد للدراسات والبحوث، أثرى به ليالي المهرجان وكان له صدى طيب لدى الحضور والزوار، حيث نظم النادي يوم 17 يناير ندوة بعنوان «منطقة الظفرة قراءة في خصوصية المكان تاريخياً وجغرافياً وأدبياً» أدارها مسلم العامري الإعلامي والباحث في مركز زايد، وشارك فيها المؤرخ علي أحمد الكندي المرر، والباحث الدكتور موسى الهواري، والباحث عبد الله عبد الرحمن الحمادي، بحضور سعادة عيسى سيف المزروعي نائب رئيس لجنة إدارة المهرجانات، والشيخ مسلم بن أحمد الكثيري نائب رئيس الاتحاد العماني لسباقات الهجن، وراشد القبيسي مدير إدارة الإعلام والعلاقات العامة في نادي تراث الإمارات، وفاطمة المنصوري مديرة مركز زايد للدراسات والبحوث، وبدر الأميري المدير الإداري للمركز، ولطيفة النعيمي مسؤولة النشاط الثقافي. وقالت فاطمة المنصوري إن مشاركة نادي تراث الإمارات في مهرجان الظفرة تجسد رؤية ورسالة النادي ومسؤوليته الوطنية، وتظهر دوره في الاهتمام بالموروث الإماراتي. كما أشارت إلى أن تنظيم الندوة جاء لإبراز الجوانب الحضارية والتاريخية والثقافية لمنطقة الظفرة، التي وصفتها بأنها تمثل ثقلاً اقتصادياً وثقافياً وتاريخياً لدولة الإمارات.

من جهته تحدث علي أحمد الكندي المرر عن كتابه «منطقة الظفرة في كتابات الرحالة والمؤرخين» وقال إن الكتاب يعرف بالمنطقة وتاريخها القديم وتقسيماتها الجغرافية والسكانية وأهم الأحداث التاريخية فيها، كما تناول تعمير شيوخ المنطقة من آل نهيان لها وكيف حافظوا على استقرارها. وأشار المرر إلى أن أول ذكر لمنطقة الظفرة جاء في قصيدة للفلكي والشاعر راشد الخلاوي حوالي 1590، مما يدل على أنها كانت منطقة مشهورة منذ زمن بعيد، ثم ورد ذكرها في كتب ووثائق كثيرة بعدها. كما تحدث المرر عن القلاع والحصون في منطقة الظفرة وقال إنها شواهد ودليل على وجود حضارة راسخة في المنطقة. فيما أكد الدكتور موسى الهواري أن منطقة الظفرة تمثل تاريخاً أصيلاً وعريقاً وغنياً بالثقافة والتراث والأحداث السياسية، لاسيما أنها منطلق حكام الإمارات خاصة ليوا التي تمثل الموطن الأصلي لآل بوفلاح القبيلة التي ينتمي إليها آل نهيان الكرام. وأشاد الهواري بالخصوصية التي تتميز بها الظفرة عن بقية مناطق الدولة، مشيراً إلى أن أغلب تاريخ المنطقة وتراثها وثقافتها لا تزال شفاهية، لذلك فهي تحتاج إلى التفات الباحثين إليها لجمع تراثها وثقافتها عن طريق المقابلات الميدانية مع كبار المواطنين، وتحدث في هذا الصدد عن تجربته في جمع التراث الشفاهي في منطقة الظفرة في كتابه «الظفرة حكاية الماء والصحراء». من جهته قدم عبد الله عبد الرحمن الحمادي استعراضاً لتجاربه في الرحلات الصحفية الاستقصائية التي قام بها في بداية التسعينيات من القرن الماضي، وجمعها في كتاب أصدرته دائرة الثقافة والسياحة والثقافة بأبوظبي بعنوان «الظفرة البر والبحر» الذي وثق فيه لروايات شفاهية من أهل المنطقة.ودعا الحمادي إلى الاهتمام بالتوثيق بما يتيح للأجيال اللاحقة التعرف إلى تاريخ مناطقهم بما يزيدهم فخراً بوطنهم واعتزازاً بإرثهم.

أمسيتان شعريتان

كما نظم النادي ضمن البرنامج المصاحب أمسيتين شعريتين كانت الأولى بعنوان «الظفرة في عيون الشعراء» يوم 19 يناير بمشاركة الشاعر محمد بن سعيد الرقراقي، والدكتور راشد أحمد المزروعي، وبحضور سعادة حميد سعيد بولاحج الرميثي المدير العام للنادي، وفاطمة المنصوري مديرة مركز زايد للدراسات والبحوث، وراشد القبيسي مدير إدارة الإعلام والعلاقات العامة،

وبدر الأميري المدير الإداري لمركز زايد. فيما كانت الثانية يوم 20 يناير وجاءت بعنوان «أمسية مهرجان الظفرة الشعرية»، واستضافت الشعراء: محمد بن يعروف المنصوري، وعلي سالم برطاع الهاملي، وعبيد بن قذلان المزروعي، وأدارها مسلم العامري الإعلامي والباحث في التراث، وحضرها سعادة عيسى سيف المزروعي نائب رئيس لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية في أبوظبي، وفاطمة المنصوري مديرة مركز زايد للدراسات والبحوث، وراشد القبيسي مدير إدارة الإعلام والعلاقات العامة، وبدر الأميري المدير الإداري لمركز زايد، ولطيفة النعيمي مسؤولة النشاط الثقافي ونخبة من الشعراء ومحبي الشعر والتراث. في هذا الصدد نوهت فاطمة المنصوري بدور نادي تراث الإمارات في الحفاظ على الموروث الشعبي الشعري لفترة تمتد أكثر من ربع قرن، وذلك من خلال تأسيس «لجنة الشعر الشعبي» التي أشرفت على إصدار العديد من دواوين الشعر النبطي لكبار شعراء الإمارات، مؤكدة أن النادي لا يزال يواصل حتى اليوم دوره الريادي في إصدار الدواوين وتنظيم الأمسيات الشعرية والاحتفاء والتكريم لكبار الشعراء وغيرها من المبادرات التي تخدم مسيرة الشعر النبطي في الدولة.

زيارات وتكريم

زار معالي اللواء ركن طيار فارس خلف المزروعي قائد عام شرطة أبوظبي رئيس لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية، جناح نادي تراث الإمارات في مهرجان الظفرة يوم 13 يناير وكان في استقباله راشد القبيسي مدير إدارة الإعلام والعلاقات العامة في النادي، وفاطمة المنصوري مديرة مركز زايد للدراسات والبحوث، حيث اطلع معاليه خلال الزيارة على أقسام الجناح، وفي ختام الزيارة تم إهداء معاليه عدداً من الإصدارات والهدايا التذكارية. وزار سعادة محمد جمعة المنصوري المدير التنفيذي للخدمات المساندة في نادي تراث الإمارات يوم 22 يناير جناح النادي المشارك في النسخة الخامسة عشرة من مهرجان الظفرة 2022، وتجول سعادته في أقسام الجناح المختلفة حيث تعرف على سير مشاركة النادي في هذا الحدث التراثي والثقافي الكبير وتفقد الورش والبرامج التي تقدمها إدارات النادي المختلفة في الجناح.

وزوار الجناح سعادة عيسى سيف المزروعي نائب رئيس إدارة المهرجانات، حيث تعرف على ما يقدمه الجناح من عرض لتراث وثقافة وتاريخ الدولة. وزار الجناح سعادة محمد حاجي الخوري المدير العام لمؤسسة خليفة بن زايد آل نهيان للأعمال الإنسانية، الذي قام بجولة في الجناح تعرف خلالها على أدوار النادي في حفظ التراث والتعريف به. وزار وفد من نادي الصداقة الإماراتي الفلسطيني جناح النادي، وتجول الوفد في أقسامه المختلفة وتعرف على محتوياته وما يقدمه من مفردات تراثية، وفي ختام الزيارة تم إهداء الوفد الزائر مجموعة من اصدارات النادي والهدايا التذكارية.

وكرم نادي تراث الإمارات معالي اللواء ركن طيار فارس خلف المزروعي في زيارة سجلها وفد من النادي إلى مقره في المهرجان، حيث تسلم درعاً تذكارياً باسم النادي من سعيد بن علي المناعي مدير إدارة الأنشطة، وبين المناعي أن التكريم يأتي تعبيراً عن الشكر لزيارة معالي فارس خلف المزروعي لجناح النادي في افتتاح مهرجان الظفرة وكلماته التشجيعية الطيبة للمشاركين. وتسلم راشد القبيسي مدير إدارة الإعلام والعلاقات العامة في نادي تراث الإمارات، درعاً تذكارياً باسم النادي يوم 22 يناير في المنصة الرئيسية لمهرجان الظفرة 2022، وذلك تكريماً للنادي لمشاركته المتميزة في النسخة 15 من المهرجان ■

عودة إلى الماضي

نسيـــــتي حـــارتنـــا أنتـــــي نسيـــــتنينا
نســـــيتي ســـوالفنـــا وأيـــــام ماضينـــــا
نسيتي حصـاد الصيـف نسيـــتي حـــزم لوقـور
مـــع الغنـــاء والكيـف والسهـــره علـــى الينّور
نسيـــتي يـراد القيـــظ نسيـــتي غنـــا السرّاح
والخيـر فايـض فيـض زاهـــي علـــى المسطاح
نسيـــتي الشتـــا محلـــاه فيـــه العشـــب مخضر
حمـــر الوبـــر ترعـــاه وحنـــا سكـــون البـــر
وإن يـــا الربيع انـــرد ونعـــود إلـــى البـــلاد
ليـت الزمـــان ايـــرد فيـــه الهنـــا لو عـــاد
هـــل تذكريـــن العيد والضحـــك والحنـــا
والمريحانـــه اتشـــيد بالـــروح والغنّـــا
وفـــي ليلـــة التنّـــور ننعـــم بخيـــر الله
فيهـــا الهدايـــا اتـــدور علـــى عبـــاد اللـه
صـــوت المـــدق ايـــرن ويزغـــرد المنحـــاز
نغـــم ورنـــين وفـــن يزقـــر علـــى المعتـــاز

القصيدة للشاعر معضد بن ديين الكعبي، ولد في حوالي 1948 في قرية شرم التابعة لبلدة محضة وتوفي عام 1994، تعلم في المدرسة القاسمية في الشارقة ثم أكمل تعليمه في بريطانيا، نظم قصائد عدة ومعظمها في الغزل والنسيب. وقد أعجب بأشعاره المطربون الذين وجدوا فيها عذوبة الكلمات وانسجام الألفاظ والإيقاع ما جعلهم يترنمون بها ويتغنون.

مهرجانات التراث محافل تؤصِّل الموروث

16 فنانون ومثقفون عرب: الإمارات رائدة في مهرجانات التراث - علي تهامي
22 مهرجانات التراث .. الأصالة والحداثة - فاطمة المزروعي
24 مهرجانات التراث.. هوية النشء لعبور المستقبل - صلاح أبوزيد
30 مهرجانات التراث .. رسالة الإمارات إلى العالم - مريم سلطان المزروعي
32 مهرجانات التراث أعراس ثقافية - حسن علي آل غردقة
38 أيام الشارقة التراثية حاضنة للأصالة - عبد العليم حريص
40 مهرجانات نادي تراث الإمارات تخدم الإنسانية- على تهامي
42 مهرجانات التراث في دولة الإمارات .. همزة وصل بين الأجيال - جمال مشاعل
44 الأصالة والمعاصرة في تراث الإمارات وثقافتها - علي كنعان
46 التشكيلية الإماراتية نجاة مكي: مهرجانات التراث تحتفي بذاكرة الانسان - علي تهامي
50 الحرف الإماراتية بين الذاكرة ومهرجانات التراث - موزة سيف المطوع
52 مهرجانات التراث تكشف للجمهور كنوز الماضي- فاطمة عطفة
56 مهرجانات التراث محافل تؤصِّل الموروث - خالد صالح ملكاوي

المهرجانات التراثية الإماراتية بعيون المثقفين العرب

مثقفون عرب: **الإمارات رائدة في المهرجانات التراثية**

علي تهامي

التراث هو معين لا ينضب، يغترف منه الكتاب، ويحتل مساحات كبيرة داخل أروقة المكتبات وعلى صفحات الصحف، ويستلهم منه الفنانون أجمل اللوحات، ويتغنى به الشعراء، ويسهر الباحثون على صونه وحفظه ودراسته.

ومن هنا تأتي أهمية المهرجانات الثقافية التراثية التي تقام على أرض دولة الإمارات العربية المتحدة، والتي تحظي باهتمام ومتابعة كثير من المثقفين والكتاب والباحثين والفنانين التشكيليين.

وفي هذا التقرير نستعرض رأي عدد من فناني وكتاب وباحثي ومثقفي الإمارات وعدد من بلدان الوطن العربي حول أهمية المهرجانات التراثية ودورها في إحياء ونشر الموروث الثقافي والشعبي.

تعزيز الهوية

في البداية تقول الدكتور الشيماء الصعيدي، مدير عام الإدارة العامة لأطلس المأثورات الشعبية المصرية بالهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، إن المهرجانات التراثية بوجه عام، والإماراتية بوجه خاص لها دور كبير وفعّال في حفظ وتوثيق التراث، وذلك من خلال تعريف الناس بتراثهم وربطها بالهوية والاعتزاز بثقافتنا العربية، وتمكين الجمهور من التعرف علي جوهر الثقافة وجذورها الضاربة في التاريخ، وما تمثله الثقافة التراثية من تراكم معرفي.

وأشارت «الصعيدي» إلى أن حفظ التراث يسهم في التمسك بأخلاق الامم وهي جوهر العمل وبناء الإنسان، وأن التخلي عن الموروث الثقافي هو تخلي عن الهوية، واهمال لجانب كبير من المعرفة البشرية وهو ما يعرف بالتراكم الثقافي فالإنسان يبدأ من حيث انتهى الآخرون. وشددت مدير عام الإدارة العامة لأطلس المأثورات الشعبية المصرية، على أهمية ما تقوم به المهرجانات التراثية من إحياء وتعريف بالحرف التراثية، وهي حرف لها مساهمة مهمة في الدخل المادي للدول والشعوب.

كما أكدت على أنه من المهم أن تقوم الدول بإحياء التراث وتعريف الأفراد بتراثهم الذي يمثل سلاحاً مهماً في مواجهة العولمة ومحاولات الهيمنة الثقافية التي تهدف لطمس الثقافات المتعددة وسيطرة ثقافة من دون الأخرى سواء لأهداف سياسية أو غيرها، وأضافت بأنه من هنا تأتي أهمية المهرجانات التراثية التي تحرص دولة الإمارات على إقامتها وتقديم الدعم لها.

دور فعّال

وقال الفنان التشكيلي الإماراتي، فيصل راشد القاسمي، ان مهرجانات التراث بالإمارات لها دور فعّال في توعية الجيل الجديد بمفهوم التراث والهوية الوطنية، خاصة وأن الأجيال الجديدة لم تعاصر الكثير مما عاصره الآباء والأجداد. وأضاف بأنه من الجيد ان نعرض للجيل الجديد كيف عاش الأجداد، وكيف كانت الحرف والفنون قديماً، وكيف يحافظون على ذلك الموروث الغالي، لافتا إلى أن التراث هو مجموعة من العناصر الثقافية والإنسانية، التي تمنح الهوية الوطنية للمجتمعات. وأشار «القاسمي» إلى أن مهرجانات الشارقة التراثية، والمهرجانات التي ينظمها نادي تراث الإمارات، وغيرها من المراكز والمؤسسات الإماراتية، كلها مهرجانات تنمي الهوية الوطنية وتغرس حب التراث في الأجيال الجديدة.

وشدد على أهمية وجود الوعي والمسئولية لدى الجميع، بأهمية التراث، وأهمية إحياء الموروث الثقافي والشعبي الذي تركه لنا الأجداد، وأن نحافظ على تراثنا من أي مؤثرات دخيلة قد تفقده اصالته.

منظومة متكاملة

ومن جانبه، أشار الكاتب والأديب السعودي، محمد الحميدي، إلى أن المهرجانات والفعاليات الثقافية تنشط في دولة الإمارات العربية المتحدة، بفضل الاهتمام الكبير من قبل حكامها الذين عملوا على ترسيخ القيم الثقافية، ضمن خطط تطوير البلاد، مضيفا بأنه بجانب تعدد المهرجانات التراثية، تأتي برامج أخرى مثل برنامج أمير الشعراء يستقطب الكثير من الشعراء المبدعين، ويعتبر أحد الركائز المهم في تنشيط الاهتمام بالفنون والآداب، كما أن مسابقة تحدي القراءة العربي، تستقطب الكثير من المواهب الشابة من مختلف الأقطار، والأمر نفسه مع جائزة الشيخ زايد للكتاب، وجائزة الشيخ راشد الشرقي للإبداع، وجائزة الشارقة لنقد الشعر العربي، ويضاف إلى ما سبق اهتمامها برعاية المجلات الثقافية المتنوعة؛ كالشارقة والإمارات والقوافي ودبي سابقاً.

واعتبر الكاتب والأديب محمد الحميدي، أن المهرجانات التراثية التي تقام على أرض الإمارات، لها أثر بالغ في دفع الثقافة، وهي تأتي في إطار ما تقدمه دولة للإمارات من دعم للتراث والثقافة باعتبارها من أكبر الداعمين للمثقفين والمبدعين، وصاحبة منظومة متكاملة تراثيا وثقافيا على مستوى الوطن العربي؛ نشراً لإنتاجاتهم، واستكتاباً في مجالات اختصاصاتهم للنشر في مجلاتها ومطبوعاتها الثقافية، ورصداً للجوائز المالية المجزية للفائزين المنجزين في مسابقاتها، وهذا اهتمام بارز ومشكور تقوم به الإمارات خدمة للتراث العربي القديم والحديث.

تجربة شخصية

وثمّنت الفنانة التشكيلية الكويتية، ابتسام العصفور، جهود دولة الإمارات ومؤسساتها ومعاهدها ومراكزها في حفظ وإحياء التراث بكل صوره، وعبّرت عن التقدير لتلك المهرجانات التي صارت لا تخلف موعدها مع الجمهور في كل عام. ولفتت «العصفور» إلى الدور الكبير الذي يقوم به معهد الشارقة للتراث، الذي بات بمثابة مركز إشعاع ثقافي وحضاري في دولة الإمارات العربية المتحدة ودول الخليج كافة. وأضافت الفنانة الكويتية، بأنه ومن واقع تجربتها الشخصية، فقد شاركت في أسبوع التراث الكويتي الذي نظمه معهد الشارقة للتراث في شهر نوفمبر عام 2018 والذي تم افتتاحه بحضور صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للدولة، حاكم الشارقة، والقنصل الكويتي لدي الإمارات ذياب الرشيدي، حيث شاركت معرض تشكيلي صاحب الأسبوع التراثي الكويتي، مع فنانين من رواد الحركة التشكيلية الكويتية بينهم جاسم بو حمد، ومساعد فهد. وأن هذا الأسبوع كان مناسبة لعرض شتى الفنون التراثية الكويتية للجمهور الإماراتي، وكان أيضاً مناسبة للحوار وتبادل الرؤى والأفكار بين الوفد الكويتي من تشكيليين وموسيقيين ومسرحيين، مع المعنيين بالتراث في الشارقة وعلى رأسهم الدكتور عبد العزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، وكانت الحفاوة الكبيرة في حرص سمو عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة على استقبال الوفد الكويتي، وتفقد معروضاتهم الفنية والتراثية، ومن هنا فإنه من المهم التأكيد على أن مهرجانات التراث على أرض دولة الإمارات تعتبر أنموذجاً مشرفاً للتبادل الثقافي الخليجي والعربي والدولي.

الموروث الشعبي

وقال أيمن ابوزيد، رئيس الجمعية المصرية للتنمية السياحية والأثرية، ان دولة الإمارات من أكثر الدول اهتماما بالتراث ومهرجانات التراث، وذلك لما لتلك المهرجانات من دور مهم فى المحافظة على الموروث الشعبي والحضاري والثقافي للدولة، والذي يعد جزءاً مهماً من الهوية الوطنية الاماراتية. وأشار «ابوزيد» إلى تعدد أنواع المهرجانات التي تنظمها الإمارات على مدار العام، فمنها ما يهتم بتنظيم سباقات الهجن والخيول، التي تعد موروثاً شعبياً له مكانته في الذاكرة الشعبية، وكذلك مهرجانات الحرف اليدوية التقليدية، حيث تعمل هذه المهرجانات على خلق نوع من الترابط المجتمعي مع الماضي الأصيل، بالإضافة لانعكاسات هذه المهرجانات على العديد من النواحي الأخرى، مثل السياحة التى تؤثر بدورها وبشكل إيجابي على الجانب الاقتصادي للدولة، معتبرا أن هذا النهج في الاهتمام بالتراث يعزز الانتماء لدى الاجيال المعاصرة ويساعد في توعيتهم بعاداتهم وموروثاتهم القديمة وتربية جيل واعى بتراثه وحضارته.

تقوية صلة الإنسان بتراثه

وقالت الكاتبة والأديبة السورية، سريعة سليم حديد، إنه من الجميل أن تهتم دولة الإمارات بالمهرجانات التراثية التي تنشط سنوياً بكل أنحاء البلاد، وهي مناسبات تلفت النظر إلى أهمية ذلك التراث، وتعزز ثقافة الموروث الإماراتي على اختلاف أنواعه، وهي مهرجانات باتت بمثابة مرجع يستوضح من خلاله الأبناء ما فعله الأجداد فيقتدون بهم، وينهجون على منوالهم، مما يقوّي صلة الإنسان الإماراتي بتراثه، ويجعله يتمسك به، ويحرص على الحفاظ عليه.

وأشارت «حديد» إلى أن المهرجانات التراثية الإماراتية باتت مناسبة سنوية يترقبها الإماراتيون، ويتابعها الباحثون والمهتمون بشؤون التراث في العالم العربي، وأن ذلك الترقب وتلك المتابعة، بجانب الحضور الكبير يشجع المنظمين على الإعداد لها بشكل جيد. ورأت أن هذا بدوره يسهم في تنشيط الحركة الثقافية، وحضور التراث بشكل دائم في ذاكرة الأجيال، وكذلك انتشار ما تقدمه من معلومات وثقافة تراثية لشعب الإمارات أولاً، وللمقيمين والزوار من الدول العربية والأجنبية.

مهرجانات على مدار العام

وقال الكاتب المصري، محمد عبد الجواد، إن دولة الامارات واحدة من الدول المهمة بشكل ملفت بالتراث، وواحدة من الدول دائمة الاحتضان لمهرجانات التراث على مدار العام، وهو أمر محمود من القائمين على أمور الحكم والثقافة في الدولة.

وأكد «عبد الجواد» على أن هذه المهرجانات تسهم بصورة كبيرة في نشر الوعي بالتراث سواء على مستوى الدولة، وخاصة كدولة مثل الإمارات التي تمتلك موروثاً ثقافياً وتراثياً غنياً وزاخراً بكل القمي والمصادر الجمالية.

ولفت إلى نجاح دولة الإمارات في الدمج بين الأصالة والمعاصرة، خاصة في زمن الفضاء الإلكتروني وتحول العالم إلى قرية صغيرة، مشيرا إلى أنه من الأمور اللافتة ان شعب دولة الإمارات من أكثر شعوب الأرض احتفاظاً بتراثه فالرجل الإماراتي والسيدة الإماراتية في الغالب مازالا محافظين على تراث البلد في ملابسهم ولم يغط زحف الموضة العالمية عليهما ، وهذا دليل واضح على أن شعب الإمارات عاشق للتراث وقادر على الصمود في وجه زحف التكنولوجيا الرهيب في كافة المجالات، وبالرغم أيضا من أن دولة الإمارات من أكثر بلدان العرب والعالم استخداماً للتكنولوجيا.

تعزيز الروابط الاجتماعية

وقال الكاتب والأديب الأردني، سمير الشريف، إنه ما من شك في أهمية المهرجانات التراثية ودورها وضرورتها في حفظ التراث الذي يمثل رمزاً للهوية الوطنية ،والتذكير بمفردات ذلك التراث من عادات وتقاليد، وعادات رمضانية، ومراسم الزواج، والملابس الشعبية، والصناعات التقليدية والأغاني الشعبية التراثية، والعرس الشعبي، واستقبال وتوديع حجاج بيت الله، وكل ما له دور في تعزيز الروابط الاجتماعية، وربط الأجيال المعاصرة بماضيها، وبناء جسور الثقة به، وتعزيز الاقتصاد من خلال تنظيم الرحلات السياحية لتعريف شعوب العالم بمقومات ذلك التراث. وأضاف «الشريف» بأن المتتبع لجهود دولة الإمارات في حماية وإحياء التراث، يلاحظ وبوضوح الدور الذي تقوم به المؤسسات الراعية للتراث، كنادي تراث الإمارات، ومعهد الشارقة للتراث، ومجموعة من المراكز والمؤسسات التراثية والثقافية التي لا تدخر جهداً في سبيل إنجاز تلك الرؤى والأهداف، من خلال تنظيم المهرجانات، والإصدارات الدولية، كمجلة تراث، ومجلة الموروث، ومجلة الحيرة الشارقة، ومجلة مراود، ومجلة آفاق الثقافة والتراث، ومجلة مدارات ونقوش وغيرها ■

المهرجانات التراثية .. الأصالة والحداثة

فاطمة المزروعي
كاتبة من الإمارات

إننا اليوم نشاهد النجاحات الإماراتية في عمقها الإنساني التراثي وفي حضورها اللحظي وفي تطلعها وحماسها نحو المستقبل. وعند الحديث عن النهضة الإماراتية، فأنت تتحدث عن نجاحات تقنية وعلمية وصحية وإنسانية، نجاحات متعددة هي مثال واضح وساطع على أرض الواقع، يعيشها الإنسان الإماراتي، في عمل مبتكر وسعي دائم ومستمر نحو التحديث والتنوع، ومن هنا تحقق التكامل والتقى الموروث بالجديد، وشكل أمة من القوة والسلام والمحبة، شكل بلاداً ومجتمعاً من التسامح والالتقاء، سيستمر هذا التفاعل وهذا التمازج، بين التراث تركت الإنسان القديم، وبين قفزات الإمارات نحو التطور والتقدم والتراث ليس بمنأى عن حياتنا المعاصرة، بل إن هناك توجهاً واضحاً لاعتبار مثل هذه المناسبات فرصة لاستذكار كفاح الآباء والأجداد، وصبرهم ونضالهم من أجل الوفاء للحياة والاستمرار فيها بحماس وحيوية، هناك إجماع واضح أن مثل هذه المهرجانات دافع لنا نحو المستقبل ونحو التميز ونحو مسابقة الأمم في مضمار الحضارة والتفوق، لأننا نستمد من هذه التراث قيمة الصبر وأهمية العمل المتواصل وبحرفية وحب وتسامح. ستجد مثل هذا الإجماع ماثلاً في كل هذه المساهمات الجميلة من جميع الجهات الحكومية، وهو الأمر الذي كان محل تقدير حيث ثمّن صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي،رعاه الله، وصاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، ولي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، جهود الجهات والمؤسسات الوطنية كافة في التمسك بمفردات الهوية الأصيلة لمجتمع الإمارات، والفخر بها كونها أحد المكونات الأساسية والمحورية لتاريخ هذا الوطن.

كان المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيب الله ثراه، يدرك أن الثورة العلمية والتقنية والتطور والتنمية جميعها سيكون فيها تمكين لهذه البلاد وتنقلها نحو الرقي والحضارة، لذا نجد أن شغله الشاغل الجيل القادم ومعرفتهم بكل ما قدمه لهم الآباء والأجداد، وأنه يجب أن يعرفوا كم كابدوا وعانوا على هذه الأرض حتى تفجرت اليوم بالينابيع والخيرات، وكأن الفكرة الرئيسة التي تدور في ذهن الوالد والقائد الراحل الشيخ زايد بن سلطان، رحمه الله، كانت عن أهمية إحياء هذه الكنوز المعرفية التي عاشتها الأجيال الماضية. فالموضوع ليس تمجيداً لحياة الضيم الذي عاناها آباؤنا وأجدادنا، رغم أنهم يستحقون كل احتفاء وتقدير وذكر لمحاسنهم، ولكن الحاجة هنا هي للأجيال القادمة التي ستأتي وتحسب أن هذه الأرض كما هي منذ مئات السنوات، من دون أن يعلموا أنها كانت مكاناً لعراك دائم مع الطبيعة القاسية تنتهي معظم تلك المعارك بخسارة الإنسان، وأنها كانت مرتعاً للقسوة وشظف العيش والمجاعة. عندما تأخذ تلك الأجيال نحو ذلك الماضي ونحو التراث، سيدركون حجم الذي تغير، وسيقدرون معنى الاتحاد والوحدة والتلاحم، سيفهمون أن بلادهم لم تصل لما هي عليه اليوم بضربة حظ أو مصادفة، بل بعمل سالت فيه الدماء وتخضبت الرؤوس بالعرق والمشقة والتعب.. هذا الذي سيخرجه لنا التراث، وسيرة الراحلين من الآباء والأجداد، إنها دروس لا تقدر بثمن، وهي طريقة حياة ومنهج لرؤية الصواب فهذه الفعاليات ومنها مهرجان قصر الحصن وأيام الشارقة التراثية» و«مهرجان قصر الحصن» و«مهرجان الشيخ زايد التراثي» و«رأس الخيمة التراثي» و«ملتقى السمالية» وغيرها من المهرجانات والملتقيات التراثية التي تنظم سنوياً وبشكل دوري في دولة الإمارات، تعتبر مناسبة جميلة بكل ما تعني الكلمة، ومفيدة بكل الأبعاد، فهي همزة وصلة مع الأصالة والتاريخ يسعى مهرجان زايد التراثي الذي يقام سنوياً للحفاظ على الهوية الوطنية ويعزز من موروثها التراثي من العادات والحرف التقليدية، فهذا المهرجان الذي يضم الكثير من العروض الفلكورية ويستقطب الفعاليات الثقافية كما يشجع الأطفال ويقيم لهم الكثير من الفعاليات التي تشجعهم على تنمية مهاراتهم واستكشاف مواهبهم. فهناك العديد من الفعاليات التي يقدمها مهرجان زايد التراثي تمكن الزائر، التعرف على تشكيلة كبيرة من مفردات التراث الإماراتي والحرف التقليدية، عبر مجموعة من الحرفيات والحرفيين المهرة الذين يستعرضون إمكانياتهم وحرفهم ضمن ورش يمكن للزائر أن يشاهدها ويستمتع بها بشكل مباشر أما مهرجان الظفرة ، فهو إرث متواصل، اللواء فارس خلف المزروعي القائد العام لشرطة أبوظبي رئيس لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية يؤكد ذلك في حديثه: «إن مهرجان الظفرة يعزز مركز أبوظبي لتكون الواجهة الأولى لمزاينات الإبل محلياً وإقليمياً ودولياً وأهم وجهات ملاك الإبل الأصيلة وإحدى المحطات السنوية في مجال مزاينات الإبل وملتقى نوعياً للمهتمين بالسلالات الأصيلة ويجسد خطى وإرث المغفور له الوالد المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيب الله ثراه، بتوجيهات صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة، حفظه الله. أما بالنسبة لاحتفاليات الشارقة التراثية تقف خلف هذه الاحتفالية التراثية إدارة التراث، دائرة الثقافة والاعلام حيث يتم الاحتفال بها بالتزامن مع الاحتفالات بيوم التراث العالمي الذي تنظمه اليونسكو في 18 أبريل من كل عام، لقد أصبحت هذه الأيام انعكاساً لهوية الشعب الإماراتي ومثالاً واضحاً للعمق التاريخي والتلاحم الإنساني بين مختلف الأطياف الزمنية لإنسان هذه الأرض المباركة استطاعت المهرجانات أن تبرز حضارة وثقافة الإمارات الغنية بالعادات والتقاليد الأصيلة، والتنوع في الفعاليات وباتت تستقطب المهتمين والخبراء المتخصصين في مجال التراث وحمايته وأصبحت تعرف الأجيال بحضارة الإمارات وتراثها ولا ننسى الاهتمام التي أولته تلك المهرجانات للأطفال والأسر وخصصت لهم أجواءً ثقافية تعليمية ترفيهية وأنشطة وفعاليات تحث على التمسك بالتراث وتعرفهم بالعادات والتقاليد الأصيلة عبر الكثير من الفعاليات العروض اليومية المتنوعة للفلكلور العالمي والأهازيج الشعبية لمختلف الدول والحضارات ■

المهرجانات التراثية.. هوية النشء لعبور المستقبل

صلاح أبوزيد

تلعب المهرجانات التراثية دوراً كبيراً في تعزيز الهوية الوطنية، بما تُقدمه من برامج وأنشطة تراثية، يُقدمها خبراء متخصّصون في هذا الشأن يعملون على إبراز ملامح ومكونات التراث المحلي، والبحث في أفضل السبل لإبقائه حياً وعالقاً في الأذهان والقلوب بأساليب شتى تساعد الكثيرين في التعرف المباشر على تراث وتاريخ الأجداد، والمساهمة في ترسيخ الهوية الوطنية.. فالمهرجانات التراثية تسلط الضوء على أهم المشاريع والمبادرات والبرامج التي تدعمها المؤسسات الحكومية، وتسهم بشكلٍ قويٍ في دعم وترسيخ الموروث والهوية، حيث تتضمن أنشطة متنوّعة تستقطب الجمهور وعُشاق التراث، وتنقلهم بشكلٍ حي وتفاعلي إلى ماضينا وتاريخنا العريق.

قال السيد سعيد حمد الكعبي مدير إدارة التراث غير المادي في دائرة الثقافة والسياحة. أبوظبي: «إن دولة الإمارات العربيّة المتحدة، والدول الشقيقة في مجلس التعاون الخليجي تنطلق في اهتمامها بالتراث، وتعزيز دوره في بناء حاضرها واستشراف مستقبلها من المعاني والقيم الساميّة التي ينطوي عليها.. فمن العناصر التراثية المشتركة التي تُشكل أبرز مقومات التاريخ المشترك لدول المجلس في العادات والتقاليد وفنون الأداء، والأدب الشعبي، والممارسات الاجتماعيّة.

وأضاف: حرصت دولة الإمارات ممثلة بدائرة الثقافة والسياحة - أبوظبي على إبراز هذه اللحمة الخليجيّة في مجالات الثقافة والتراث، من خلال رصدها في عمليات الحصر والتوثيق، وفي ترشيحها في ملفات خليجيّة مشتركة إلى منظمة اليونسكو، الراعي الدولي لتراث وثقافة الشعوب، والداعم الرئيس لهذا النوع من ملفات الترشيح، كونها الجسر المتين الذي يحقق التواصل ويعزّز أسس الرؤى والمفاهيم المشتركة، ويعمق الأساس لنهضة الشعوب وتقدمها. ولقد استطاعت الدائرة بتوجيهات ودعم قيادتنا الرشيدة من إبراز هذا البيت الثقافي والتراثي المشترك في العديد من ملفات الترشيح حتى الآن، من بينها: (الصقارة، التغرودة، العيالة، المجلس، القهوة العربيّة، الرزفة، النخلة، سباق الهجن، الخط العربي).

تعزيز الهوية الوطنية

وحول أهمية المهرجانات التراثية وما تلعبه من دور مهم في تعزيز الهوية الوطنية في نفوس الشباب، أوضح الكعبي: أن الاهتمام بالتراث لا يتوقف على عمليات حصره وتوثيقه- رغم أهميتها والحاجة إليها- بل يمتد إلى التعريف به، ودعم ممارسيه، وتعزيز حضوره في صفوف فئات المجتمع كافة، لاسيما في فئة الشباب. ولئن كان الخوف على استدامة ممارسة التراث برموزه ومجالاته العديدة، خوفاً مشروعاً في ظل تناقص الممارسين من كبار المواطنين «الكنوز البشريّة» وعوامل أخرى ندركها جميعاً، فإن فئة الشباب والأجيال الصاعدة تُشكل صمام الأمان الذي يُحافظ على هذه الممارسة والاستدامة. وبكل ثقة ووضوح يمكن القول: «إن وعي الشباب بتراثهم، وبما ينطوي عليه من صفحات

سعيد الكعبي

وقيم خالدة تراكمت بمرور الزمن، خير ضمان للمحافظة عليه، وإن جوانب مهمة من هذا الوعي تتشكل في الأسرة، وفي المدرسة، ووسائل الإعلام، والفعاليات والأنشطة الثقافيّة والتراثيّة الموجهة. لهذا كله تولي دائرة الثقافة والسياحة- أبوظبي مسألة تعزيز وعي الشباب بتراثهم من خلال المشاركة الفعليّة في المهرجانات، والمعارض، والندوات، والمجالس، والمؤتمرات، ومن خلال الإدراك الوافي بمكانة التراث في تنميّة الشعور للولاء للوطن، وتعزيز الهوية الوطنيّة، التي تتكامل مع الهوية الإنسانية الشاملة.

إرث واسع

وأكد الكعبي أن دولة الإمارات العربيّة المتحدة تمتلك إرثاً واسعاً في النواحي الاجتماعيّة والاقتصاديّة، والثقافيّة، وتاريخاً يستحق الاقتداء به، وهذا ما حرص القائد المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «طيب الله ثراه» على التذكير به دائماً، والدعوة إلى قراءة صفحات التاريخ المجيدة وتمثلها، إذ يقول: «إن التاريخ سلسلة متواصلة من الأحداث، والحاضر ليس سوى امتداد للماضي». وأشار إلى أن القراءة الواعية لتاريخ دولة الإمارات العربيّة المتحدة، ودراسة ما سجله شعبها في مجالات الحياة كافة تصبح مسؤولية كبيرة أمام الجميع للمضي بخطى ثابته وواعدة لبناء المستقبل، وأحسب أن جزءاً مهماً من هذه المسؤولية من بين مسؤوليات الشباب لأنهم أمل الوطن وعزه المنشود، يقول الباني المؤسس، «طيب الله ثراه» فيهم: «إن عزة الشباب عزة للوطن، وأنا حريص على معرفة احتياجاتهم حتى نوفر لهم كل شيء، ونرفع مستواهم إلى الأفضل».

وأكد الكعبي على أن التقدم والتطور والازدهار الذي تحفل به الإمارات في شتى المجالات، يرجع في جوانب عديدة منه إلى تمسك أبناء الإمارات بتراثهم الأصيل الذي سجل تجاربهم المميزة، ومخاضهم العسير في مواجهة كل الظروف القاسيّة في الماضي، وإرادتهم الصلبة في تجاوزها. وكلها محطات تدعو إلى التأمل والاعتزاز والاقتداء، وبقدر ما يحمله التراث لدولة الإمارات من صفحات وطنيّة مشرقة، فإنه تراث إنساني شامخ، يسعى إلى كرامة الإنسان في كل مكان، وفي إعلاء القيم الإنسانيّة، وتعزيز التقدم والتطوّر، وتلك الدائرة الأعم والأشمل التي شكلت هدف هذا التراث وغاياته.

صون التراث واستدامته

أوضح أن العمل على صعيد جمع التراث وتوثيقه واستمرار ممارسته عمل متعدّد المجالات، ويحتاج إلى العديد من الجهات التي تتولى هذه المسؤوليّة، والعديد من الكوادر البشريّة المؤهلة والواعيّة بأهدافها وسبلها لتحقيق هذه الأهداف.

ورأى الكعبي أن دوائر الثقافة والهيئات، والمؤسسات، والأندية، والجمعيات التي تتوزع في إمارات الدولة كافة تعمل على النهوض بمسؤولياتها لصون التراث واستدامة ممارسته، معتقداً أن هذا الجهد المبذول بحاجة إلى تطويره واستمراريته، والارتقاء بأدواته عبر العديد من الإجراءات والخطط والاستراتيجيات من بينها.

وهنا يجب الإشارة إلى تجربة دائرة الثقافة والسياحة ضمن مشروعها «برنامج تجربة العمل الطلابي» لاستقطاب طلبة قسم التاريخ، وعلم الاجتماع التطبيقي، وإعدادهم للعمل في مجال التراث والجمع الميداني لعناصره، من خلال تدريب طلبة المدارس في مستوياتهم الدراسيّة، وإعدادهم للإسهام في التعرف إلى تراثهم، وطرق حصره، وأساليب ممارسته، علماً بأن هذا التدريب ينمي لديهم الوعي المبكر بتراثهم، والاتجاهات المرغوبة نحوه، بالإضافة إلى دعم المجالس، وبخاصة مجالس الأحياء، للقيام بدورها في نشر الوعي المجتمعي بالتراث من خلال حضور الشباب الجلسات التي تعقد فيها، ومن ثم المشاركة فيما يدور

فيها من مناقشات، وأيضاً قيام وسائل الإعلام بمختلف أقسامها وأنواعها في الترويج للتراث، ودعوة الشباب من أبناء الوطن للمساهمة في ممارسته، والدعوة للمحافظة عليه.

الشغف بالتراث

وحول ما يحظى به الإماراتيون من شغف بالتراث جعلهم يؤسسون قرى ومتاحف تراثية، تحدث الكعبي قائلاً: «إن ظاهرة انتشار القرى التراثيّة، والمتاحف الخاصة، والمواقع والحسابات الإلكترونيّة ظاهرة ثقافيّة ووعي وطني ينم عن إدراك حقيقي لأهميّة التراث وتوجيه إيجابي للمحافظة عليه، وتقدير عالٍ

للأجداد والآباء وكل من أسهم في استمراره واستدامته. وهو جهد مساند ومهم للجهود التي تتولى المؤسسات والمراكز الحكوميّة القيام بها في هذا المجال.

وأكد على أن القرى التراثيّة التي يقيمها الأفراد احتفاءً وتعزيزاً بتراثهم، تشكل مراكز مجتمعيّة فعالة لتعريف سكان القرى والمدن والأحياء التي تتوزع فيها، بالتراث لاسيما عندما تبرز هذه القرى خصوصيّة تراث البيئة المجاورة، مثل البيئة الساحليّة، أو الجبليّة، أو بيئة الواحات،... الخ، كما تعزز لدى زوارها انتماءهم بتراثهم، ولطالما اعتمدنا في دائرة الثقافة والسياحة - أبوظبي على عدد من هذه القرى في إقامة بعض الأنشطة، وفي الزيارات الميدانيّة لطلبة المدارس، أو إقامة الدورات التدريبيّة لملفات

ما يحظى به الإماراتيون من شغف بالتراث جعلهم يؤسسون قرى ومتاحف تراثية، تحدث الكعبي قائلاً: "إن ظاهرة انتشار القرى التراثيّة، والمتاحف الخاصة، والمواقع والحسابات الإلكترونيّة ظاهرة ثقافيّة ووعي وطني ينم عن إدراك حقيقي لأهميّة التراث وتوجيه إيجابي للمحافظة عليه، وتقدير عالٍ للأجداد والآباء وكل من أسهم في استمراره واستدامته.

الترشيح لليونسكو. لذلك يمكن اعتبار هذه القرى رديفاً قوياً للمراكز والمؤسسات الحكوميّة في إبراز التراث، والترويج له. وتابع: لقد ذهب الحس العالي بالمسؤولية تجاه التراث إلى قيام العديد من الأفراد بإنشاء المواقع، والحسابات الإلكترونيّة لعرض المقاطع الصوتية التي تسهم في الترويج للتراث، وكلها باتت نوافذ جذابة وهادفة، تحقق المرجو منها بوسائط عصريّة.

محمد المهيري

مركز تعليمي وتوجيهي

وفيما تمثله المهرجانات التراثية من أهمية بالنسبة للشباب، قال مدير إدارة التراث غير المادي في دائرة الثقافة والسياحة . أبوظبي: «إن الشباب ينظر إلى المهرجانات التراثية على أنها أكثر الأنشطة والفعاليات التي تعرفهم بتراثهم الوطني، وتحفزهم على ممارسته. لاسيما بعد أن تعدّدت هذه المهرجانات عدداً ونوعاً، وبات الكثير منها من الاتساع والشمول مثل: مهرجان زايد، ومهرجان القطارة، بحيث يحتوي على نماذج عديدة من التراث الوطني لدولة الإمارات، وأحياناً من دول خليجيّة وصديقة أخرى تمثل التراث الإنساني، إذ بوسع الزائر للمهرجان التعرف على الحرف التقليديّة من خلال ورش العمل، وإلى فنون الأداء من خلال الفرق الشعبيّة، إضافة لتراث الإمارات في الصيد بالصقور، وطقوس وتقاليد القهوة، وإنجازات دائرة الثقافة والسياحة في تسجيل عناصر من التراث الإماراتي، والخليجي، والدولي، في منظمة اليونسكو، وغير ذلك مما يجعل المهرجان مركزاً تعليمياً، وتوجيهياً، وجذاباً لفئات المجتمع كافة، وبخاصة فئة الشباب». وأضاف: يتكامل دور المهرجانات الثقافية والتراثيّة، بإقامة المحاضرات، والندوات والعروض الحيّة للعديد من الممارسات التراثيّة، لهذا توجهت دائرة الثقافة والسياحة-أبوظبي، على تبني سياسة الترخيص للمهرجانات التي تشرف عليها بغرض تحديد أهدافها.. وأنواعها، وتاريخ إنجاز كل منها، والمخرجات المطلوبة منها. ورأى الكعبي أن هذه المهرجانات تحقق المخرجات بفعالية من خلال الإعداد الجيد، واستطلاع آراء الزوّار، وقبل هذا وذاك إشراك فئات المجتمع كافة في التخطيط لها، ومتابعتها، وتقويمها بغرض تحسينها وتطويرها، إضافة إلى إدراج هذه المهرجانات في المناهج الدراسيّة كي يتعرف الطلبة عليها، وطرق الاستفادة منها.

نشر الموروث الثقافي

وفيما يتعلق بدور المهرجانات التراثية في نشر الموروث الثقافي في الإمارات، وإبراز التراث المعماري والحرف والمنتجات والفنون التقليدية التي تتميز بها الدول الأخرى، أشاد السيد محمد المهيري مدير المزاينة في مهرجان الظفرة بمقولة للمغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «طيب الله ثراه»، «من ليس له ماضٍ ليس له حاضر ولا مستقبل»، التي تُعد خالدة في أذهان كل إماراتي وإماراتية، وهنا يكمن دور إقامة المهرجانات التراثية لكي تبرز تراث الإمارات للأجيال ومعرفة كيف كانت الحياة في السابق بالنسبة لأهل البر وأهل البحر والمحافظة على هذا الإرث من الاندثار. وأضاف: أن الدورة الخامسة عشرة لمهرجان الظفرة التراثي 2022 في عام الخمسين تحظى بإقبالٍ كبيرٍ، وفي كل عام هناك مشاركون جدد من دول مجلس التعاون الخليجي من خلال التنسيق الدائم مع القائمين على المهرجانات التراثية في دول المجلس.

متنفس للجميع

وأكد المهيري أن المهرجانات التراثية تلعب دوراً كبيراً ومهماً في تعزيز الهوية الوطنية في نفوس الشباب بدرجة تحفظ هذا الإرث وتناقله عبر الأجيال وحمايته من الاندثار وتعليمهم المحافظة على هذا الإرث العظيم ومعرفتهم بتراثهم، فالمهرجانات التراثية متنفس للجميع وحضور الجيل الصاعد للمهرجانات التراثية ومشاركتهم في الحدث يعطيهم دافعاً لمعرفة المزيد والتمسك بالموروث الشعبي. وأشار إلى أن الإبل على مرّ التاريخ حظيت باهتمام ورعاية خاصة ومكانة مميزة لدى ملاكها، فكانت مصدر فخرٍ وعزٍّ لهم.. فمهرجانات الإبل على مر التاريخ تحظى بدعمٍ لا محدود سواءً أكانت سباقات الهجن أم مزاينة الإبل أم مسابقات المحالب، حيث يزداد حجم الدعم الذي يتلقاه ملاك الإبل في المحافظة عليها.

أهمية التراث واستدامته

وأوضح المهيري أن الإمارات تمضي قدماً في نشر الوعي بأهمية التراث واستدامته ونقله إلى الأجيال الجديدة عبر تنظيم الندوات والمؤتمرات والفعاليات وورش العمل، فما تفعله الإمارات في هذا الشأن يلقي الضوء على الموروث الاجتماعي المحلي والجانب الإنساني والحضاري لها.. ففي كل مهرجان داخل الدولة أو خارجها تجد التراث حاضر في الجانب الإنساني والاجتماعي، وهي عادات يتحلى بها الشخص في كل تعاملاته ■

المهرجانات التراثية .. رسالة الإمارات إلى العالم

مريم سلطان المزروعي

لقد كان للمؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيب الله ثراه، بصمة لن تزول في الاهتمام بالتراث الإماراتي والعربي على حد سواء، فقد كان للبيئة دور في نشأته منذ صغره في مجتمع قبلي يقدس العادات والتقاليد، قال رحمه الله: «لقد ترك لنا الأسلاف من أجدادنا الكثير من التراث الشعبي، الذي يحق لنا أن نفخر به، ونحافظ عليه ونطوره، ليكون ذخراً لهذا الوطن والأجيال القادمة». لذلك كان لابد من إبرازه وإظهاره للعالم لذلك تم تأسيس المعاهد والجهات والنوادي والمنظمات التراثية والثقافية المعنية بنشر هذا التراث بشقيه المادي وغير المادي أي المعنوي.

إن التراث الشعبي ليست كلمة تنطق بل هي دستور حياة وقانون عاشه الآباء والأجداد وأورثوه لأبنائهم، فكان لابد من إيجاد الوسيلة لذلك بدأت المنظمات والمعاهد في دولة الإمارات العربية وخارجها، بالمشاركة في هذه المهرجانات التراثية بمجالاتها المتعددة منها محلي واقليمي وعالمي، ودولة الإمارات حرصت على هذه المشاركات وتنظيمها كذلك على مدار العام، وإلى جانب هذه المهرجانات هناك مشاركات أخرى كإعداد سباقات الهجن وسباق القوارب الشرعية، والمزاينات، ومن أهم المهرجانات مهرجان قصر الحصن، ومهرجان ليوا للرطب، مهرجان الشيخ زايد التراثي، ومهرجان أبوظبي الدولي للصيد والفروسية وملتقى الشارقة للحرف التقليدية ،ومهرجان القطارة للحرف والصناعات التقليدية في العين، وكذلك المهرجانات الأخرى التي تقام على مستوى الدولة وبالأخص في الشارقة متمثلاً في معهد الشارقة للتراث بأفرعه الذي استطاع بكل جهوده إن يصل إلى العالمية ويثبت للعالم إمكانياته بكل قوة في صون التراث والمحافظة عليه، ذكر سعادة عبد العزيز المسلم في أحد اللقاءات بأن معهد الشارقة يعمل على تأسيس مقر دائم لهذه المنظمات في الشارقة وسيكون المقر الأول في الشرق الأوسط، في ظل استمرار الشراكة الحيوية بين المنظمة واليونيسكو في مجال مهرجانات الفنون الفولكلورية التقليدية حول العالم، وهذا ما أثبته معهد الشارقة بمتابعة من صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة. ولا ننسى المشاركات الخارجية في العديد من المهرجانات كمهرجانات التراث والفن الشعبي، ومهرجان الحكايات في المملكة السّويد، وكذلك في الملتقى الإقليمي لمرصد التراث المعماري والعمراني في البلدان العربيّة. ومن هذه الجهات التي تم تأسيسها نادي تراث الإمارات سنة 1993م، كهيئة مستقلة برئاسة المغفور له الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان، ورسالته حفظ التراث بأنواعه المختلفة، ومخاطبة جميع أفراد المجتمع بمختلف شرائحه، كما إن له مشاركات كثيرة على مستويات متعددة، من أبرزها القرية التراثية في أبوظبي ومدينة العين. الكثير من الجهات تحرص على المشاركة في هذه المهرجانات لما لها دور في ترسيخ من مكانة الدولة وسمعتها كواجهة سياحية وتراثية رائدة وكذلك هيئة السياحة ومركز حمدان لإحياء التراث. تذكر احدى المشاركات في مهرجان الشيخ زايد التراثي عند لقائي بها: «كل سنة كان لابد أن أشارك في المهرجانات التراثية، سواء في الوثبة أو مهرجان قصر الحصن، وسابقاً كانت لي مشاركات في مهرجان الشيخ سلطان بن زايد طيب الله ثراه، الفعاليات من أجل التجارب التي مررت بها، فهي تجمع لجميع الخبرات الثقافية والتراثية، كما إنها فرصة لكي أتعرف على نساء يعملن بنفس مجالي ومجالات أخرى تراثية

القرية التراثية في أبوظبي

وثقافية، بمختلف البيئات التراثية البرية والبحرية، كما كنت أرى كرم الضيافة ورائحة القهوة التي كانت تعّد بالطريقة التقليدية التي ترجع بذاكرتي إلى الوراء، وكيف كان والدي يعّدها ممزوجة برائحة الكناد (الهيل) والزعفران على الخشب بعد حمسها جيداً، وعلى صوت دقات المنحاز (الهاون) كأنغام موسيقية جميلة».

أم سعيد تذكر: «إن المهرجانات التراثية إنما هي بيئات مصغرة تمثل الواقع الذي عشناه فهو رسالة للأجيال الحالية والقادمة، لتبين لهم مدى الصعوبات التي واجهتنا حتى وصلنا لهذه المرحلة من جهود مبذولة، فلولا الشيخ زايد بن سلطان لكُن اليوم نفس حالنا منذ مئات السنين، قبائل متفرقة متناحرة، لكن لله الحمد استطعنا أن نصل إلى القمة، والمهرجانات التراثية لها طابع ثقافي تعليمي فهناك من يعلم الأطفال كيفية إعداد وصب القهوة بطريقة صحيحة، إلى جانب تعليمهم على الرزفة والرزيف والفرق ما بين العيالة والحربية، والفرق ما بين الفنون الشعبية التي تستعرض أنواعاً عدة من الفنون الإماراتية الأصيلة، والفتيات الصغيرات يتعرفن على الملابس القديمة كيف كانت ولا تزال كلبس العروس وزينتها، وكذلك على الحناء وكيفية إعدادها، إلى جانب كيفية صناعة الدخون والعطورات والمخمرية وأدوات الزينة، وهذه رسالة لنا كمشاركات للعالم فهناك العديد من السياح الذي يتهافتون لرؤية والتعرف على تراث الإمارات بكل ما فيه، وقد تضمنت المشاركات في المهرجانات الثقافية وجود ركن للحرفيات، حيث السفافة والتلي وصناعة الليخ والقواقير، وبعض من منتوجات النخيل، كالمهفة والجفير والحصير والسدو

وألخ...». يبقى التراث الشعبي لدولة الإمارات خالداً تتناقله الأجيال، جيلاً بعد جيل، كما إن حفظ التراث الشعبي له أدوار كثيرة ومتعددة، وهذا ما حرصت عليه دولة الإمارات على إبقاء التراث الثقافي حاضراً في عقول وقلوب الأجيال الجديدة، وذلك للمحافظة عليه وتحصينه من مواجهة التيارات الهدامة التي تريد النيل من الهوية الثقافية، ولأن التراث الشعبي هو الوحيد القادر على رسم لحضارة وثقافة الشعوب، فمن خلاله يستطيع الآخرون قياس مدى عراقة البلد والتعرف إلى عاداته وتقاليده وفنونه الشعبية التي رافقته مئات السنين ■

المهرجانات التراثية أعراس ثقافية

حسن علي آل غردقة

تمثل المهرجانات التراثية في الإمارات من المناسبات الثقافية المهمة التي تسهم بدور فعال في حفظ ونشر الموروثات الثقافية ويمكننا تشبيه المهرجانات التراثية (بالأعراس الثقافية) لأنها تقوم بجمع أشكال مختلفة من التراث المادي والمعنوي وتقوم بإعادة إحيائها في أجواء مفعمة بالأفراح والتراث الأصيل جامعة الفنون والعادات والحرف والصناعات وكل ما يرمز للهوية الثقافية الوطنية وتعد مناسبات مهمة لربط الأجيال الناشئة بماضي وإرث الآباء والأجداد وتعريفهم بأركان التراث الشعبي والثقافة الشعبية الأصيلة التي لا زالت تتوارث جيلاً بعد جيل.

إنّ التراث الثقافي وفقاً لمنظمة اليونسكو، هو التراث الحي للإنسانية، فهو يشمل مُجمل الأشكال التعبيرية والعادات والتقاليد، ويعني نقل المعارف والمهارات والمعاني والقيم من جيل لآخر، ومن شأن ذلك أن يُعزّز من مشاعر الفخر لدى الدول والمجتمعات والأفراد بما كان عليهم الآباء والأجداد من ثقافة ومعرفة وفنون وحرف تراثية معبرة عن الغنى والتنوع البيئي وقدرة الآباء من الصناع والحرفيين على التكيف والإبداع. تعكس المهرجات التراثية ملامح ومكونات الحياة الثقافية والاقتصادية والسياسية التي عاشها الآباء قديما، فهي تصور أنواع الحرف التقليدية المختلفة التي مارسوها بتنوعها البيئي من حرف بحرية وجبلية وصحراوية وزراعية، وتعرفنا بمستوى الدخل الذي كان يجنونه من هذه الحرف والصناعات التي قامت عليها، كما تورث معارف مختلفة فهذه الحرف قامت على علوم ومعارف في الصيد والإبحار والزراعة والبناء ومعرفة بمواسمها ومواقيتها وعلوم الدرور والفلك. وهذا يدل على غنى الموروثات الثقافية واستنادها إلى معارف وعلوم متوارثة عن الآباء. وتعد المهرجانات الثقافية

من عناصر الجذب السياحي والثقافي والاقتصادي وتشكل مصدر دخل جيد يمكن استثماره وتطويره.

تقيم المهرجانات بعض الفعاليات التي تستهدف أطفال المجتمع الإماراتي وشباب المستقبل، والتي تقوم باطلاعهم على تاريخ آبائهم وأجدادهم وعاداتهم وتقاليدهم وأنماط حياتهم في صورة مسرحيات وعروض وأفلام ثقافية، تصور لهم أشكال الحياة الثقافية قديما بشكل قريب من أذهانهم وبصورة مبسطة يسهل عليهم فهمها. كما تستعرض المهرجانات العديد من المعارض والمتاحف للحرف الإماراتية التقليدية، بما تحمله من الأعمال الفنية التي تعكس الموروثات الثقافية والعادات والتقاليد المجتمعية. ويُبرز المهرجان عناصر التراث من حرف يدوية وأكلات شعبية، بالإضافة إلى إبراز عادات وتقاليد كل البيئات المحلية وما تتميزبه من أهازيج وفنون شعبية مثل العيالة والرواح والندبة، لتشكل بذلك تنوعاً ثقافياً وتراثياً يعكس ما كانت عليه حياة الآباء والأجداد في الماضي. تحتوي بعض المهرجانات على أسواق شعبية متنوعة حيث يتم تخصيص دكاكين وورش عمل لكل حرفي من كل بيئة محلية وموروثها الشعبي ويمكن تسويق بعض منتجاتها مما يشكل مردوداً جيداً للحرفيين. ويقوم السوق الشعبي برسم صورة واقعية لتنوّع الحرف اليدوية، وعلى إحياء الحرف اليدوية التي تجعل من الزائر أو السائح يُدرك ما كان عليه الآباء والأجداد من مُعاناة في خلق تلك الحرف وكيف كانوا يمارسونها. وكذلك أنماط العادات والتقاليد من ألعاب شعبية يلعبها الأطفال من صبية وبنات ومدرسة الكتاب والمطوعة، بالإضافة إلى عروض الحرف البحرية من شباك صيد، ومهنة الغوص والطواش وقراقيروقوارب خشبية. يشارك في هذه الحرف والفعاليات العنصر النسائي بعدّة فعاليات تستهدف الحرف

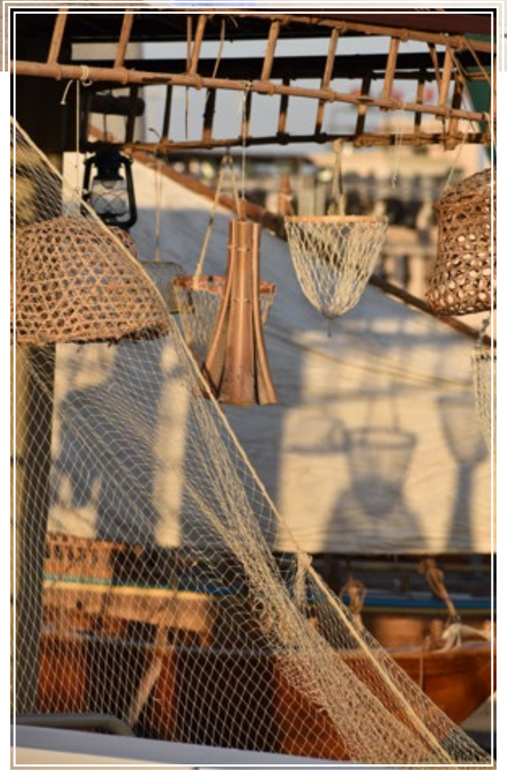

اليدوية والأسر المنتجة وكذلك استقطاب الموهوبات في فن الزخرفة والرسم وغيرها، من خلال مشاركتهم بالأنشطة والحرف النسائية، وإقامة دورات حرفية للزوار. واطلاعهم على مهارة الأمهات وفنون الأعمال اليدوية وطرق الزينة والعطور الشعبية التي كانت تصنعها أمهاتنا سابقاً. تتميز المهرجانات التراثية في الإمارات بتنوعها وتعد اختصاصاتها والمجالات الثقافية والتراثية التي تغطيها، وهذا يساعد على التنوع والاثراء الثقافي للموروثات الثقافية ويساعد على إبراز جوانب مختلفة من التراث الشعبي والثقافة المحلية من خلال المواسم والمهرجانات الثقافية المتنوعة التي تغطيها مؤسسات وجهات ثقافية مرموقة في مختلف إمارات الدولة. وسنعرض لبعض هذه المهرجانات والفعاليات الثقافية والتراثية المتنوعة في إمارات الدولة.

مهرجان الشيخ زايد التراثي

مهرجان تراثي سنوي تنظمه وزارة شؤون الرئاسة في منطقة الوثبة في أبوظبي، ويهدف إلى الاحتفاء بالتراث الإماراتي وعرض العادات والتقاليد والحرف والمهن التراثية والفنون الشعبية وإبراز مدى تنوعها بطريقة تثقيفية وتعليمية، وبلورة صورة واضحة وعميقة للتراث الإمارات لتؤكد مدى عراقته وثبات

جذوره على أسس حضارية وتاريخية، ويشكل الإنسان الإماراتي محوره.

مهرجان سلطان بن زايد التراثي

كان ينظمه نادي تراث الإمارات في أبوظبي بدعم من المغفور له الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان، رئيس النادي، ويعنى المهرجان بسباق جمال الإبل الأصايل، ومزاينة وسباق السلوقي العربي، السوق الشعبي، القرية التراثية سباق الهجن التراثي الأصيل.

سوق القطارة

مهرجان تراثي تحتضنه مدينة العين سنوية في سوق القطارة ويشرف على تنظيمه دائرة الثقافة والسياحة، ويشتمل على العديد من الفعاليات الثقافية والتراثية من بينها أعمال الحرف اليدوية وعروض العيالة، وعروض حية لطرق البناء بالطين التقليدية وصناعة العريش من سعف النخيل بمشاركة الجمهور من مختلف الأعمار لإثراء تجربتهم في زيارة السوق ومركز الفنون.

قصر الحصن

مهرجان ثقافي وتراثي تنظمه دائرة الثقافة والسياحة برعاية صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، ولي عهد أبو ظبي، نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة منذ عام 2013، احتفاء بمرور أكثر من 250 سنة على إنشاء قصر الحصن وذلك بهدف التعريف بتاريخ أبو ظبي العريق وتراثها الأصيل ويتميز المهرجان ببرنامج ثقافي وتراثي وتفاعلي، بالإضافة إلى مجموعة متنوعة من البرامج والأنشطة وعرض لبعض الحرف والمنتجات المحلية.

المهرجان الوطني للصناعات والحرف التقليدية

مهرجان تراثي سنوي تنظمه دائرة الثقافة والسياحة في مدينة العين، ويسلط الضوء على أهمية الصناعات اليدوية التقليدية في التراث الإماراتي، وذلك دعماً للجهود الرامية إلى حفظ وصون التراث ونقل هذه الحرف إلى الأجيال القادمة، ويشتمل المهرجان على عدد من الأنشطة والمبادرات بما في ذلك السوق المخصص للحرف والمنتجات التقليدية.

مهرجان تراث الإمارات

تنظمه وزارة الثقافة وتنمية المعرفة انطلاقا من أهمية الحفاظ على الموروث الشعبي الإماراتي وإحيائه ونشره والترويج لدى شريحة عريضة من أبناء الإمارات حتى يتمكن من نفوسهم ويتشربوا من معينه الذي لا ينضب.

مهرجان ليوا للرطب

مهرجان تراثي سنوي تحتضنه المنطقة الغربية في إمارة أبوظبي، وتشرف على تنظمه لجنة إداره المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية ويهدف إلى الاعتناء بتراث النخيل الذي يعبر عن أصالة

المجتمع وعراقة تاريخه وعبق تراثه، والاحتفاء بالتمور بوصفها رمز الأصالة ومكمن الغنى والتنوع.

بطولات فزاع

تعد بطولات فزاع والتي يشرف على تنظيمها مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث بمثابة مضمار يتنافس فيه الآلاف من المحترفين والهواة القادمين من ثقافات شتى، وتشمل:
بطولة فزاع للصيد بالصقور، بطولة فزاع للصيد بالصقور الحي، بطولة فزاع للغوص الحر، بطولة فزاع لذوي الإعاقة، بطولة فزاع للرماية المفتوحة للجنسين، بطولة اليولة الصيفية للناشئين، بطولة اليوله، برنامج الميدان، بطولة اليوله المدرسية، بطولة فزاع للرماية للجنسين (المواطنين)، بطولة فزاع للصيد بالصقور (التلواح) بطولة فزاع للصيد بالصقور فئة الفروخ، بطولة الصيد بالسلق، ماراثون الهجن.

مهرجان دبي وتراثنا الحي

مهرجان تراثي تنظمه هيئة دبي للثقافة والفنون سنوياً تزامناً مع اليوم العالمي للتراث، وتهدف هذه الخطوة لتعزيز وعي مختلف الشرائح في المجتمع بالتراث المادي والمعنوي للدولة، والتعريف بقيمها الأصيلة وعاداتها وتقاليدها العريقة ولتقديم صورة إيجابية للسياح عن جوانب التراث البري والبحري والتمتع بتجربة فريدة لتعلم الحرف الإماراتية التقليدية بأيد وطنية تتخللها ورشات تراثية وأهازيج شعبية ولقاءات ودية وفعاليات ترفيهية مستوحاة من التراث العريق للدولة.

أيام الشارقة التراثية

مهرجان تراثي ينظمه معهد الشارقة للتراث منذ سنة 2003م، وهو يمثل فضاء ثقافياً ذا جذور عميقة في المشهد الثقافي والاجتماعي الإماراتي والخليجي، فضلاً عن العربي، وعلامة بارزة على انفتاح الشارقة ودولة الإمارات العربية المتحدة على العالم الأرحب للتنوع الثقافي. كما تمثل الأيام كرنفالاً حياً يتجدد كل عام ليضم العديد من الفعاليات والأفكار التراثية المتجددة التي تعطي التراث الثقافي الإماراتي حقه، كما تبرز جمال المفردات التراثية الإماراتية بهدف نشرها والحفاظ عليها، وربط الأجيال بها.

ملتقى الشارقة للحرف التقليدية

بتوجيهات سامية من صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، حفظه الله تعالى ورعاه، انطلق ملتقى الشارقة للحرف التقليدية في دورته الأولى عام 2007م، من أجل الإسهام في حماية الحرف التراثية وصونها ودعم المشتغلين بها محلياً وعربياً، وذلك ما يستشف من الشعارات التي أطلقها الملتقى من خلال دوراته السابقة، والتي اتسمت في مجملها بالشمولية والتنوع، فضلاً عن البرامج الثقافية والفكرية المصاحبة، والتي تعنى بإبراز الأهمية التراثية والثقافية والاقتصادية للحرف التراثية وديمومتها. هذه بعض أشهر الفعاليات والمهرجات التراثية والثقافية التي تقام سنوياً وتتجدد بما تقدمه من ثقافة وتراث تعكس الهوية الوطنية والثقافة الشعبية الأصيلة لمجتمعنا الإماراتي ▪

حاضنة الماضي بأصالته

أيام الشارقة التراثية

عبق الموروث الشعبي للآباء والأجداد

عبدالعليم حريص

يمثل التراث في أي مجتمع نقطة الانطلاق الأساسية نحو المستقبل، فكما قال المغفور له - بإذن الله - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيب الله ثراه (من ليس له ماضٍ، ليس له حاضر). فالتراث هو النواة الأولى، لتجسير العلاقة بين الأجيال المتعاقبة، فهو بمثابة النبع الصافي الذي نستقي منه وجودنا وهويتنا. سواء أكان تراثاً مادياً أم معنوياً، فكلاهما يعطينا طاقة روحية تربطنا بجذورنا الضاربة في القدم، وتمنحنا الاستمرارية، نحو غد قادم، يحتاج إلى رؤية استشرافية، تتكئ على معين لا ينضب من الروافد اللامتناهية من القيم والأخلاق والعادات والتقاليد، التي غرسها الأجداد في نفوس أبنائهم جيلاً بعد جيل.

وفي دولة الإمارات العربية المتحدة، شكل التراث أهمية كبرى، حيث يأتي في مقدمة الأوليات دائماً، فمنذ البدايات الأولى لتأسيس الدولة، كان التراث حاضراً وفي عمق الاهتمامات الثقافية، فهو جزء لا يتجزأ من الهوية الإماراتية، لاسيما في الآونة الأخيرة، حيث الثورة التكنولوجية التي طغت على كلّ الشي، ما دعا المهتمين بالمحافظة على التراث وإعادة إحيائه، ليظل بقعة ضوء تنير الدرب للأجيال القادمة، في إطار استراتيجية مدروسة لرفع معدل الوعي تجاه الإرث الإماراتي محلياً وإقليمياً وعالمياً، وبكافة تفرعاته، سواء الإنسانية، والثقافية، الاجتماعية، اللغوية، المهنية، والرياضية. وتوجد بالإمارات عدة مؤسسات معنية بالتراث وإعادة إحيائه والمحافظة عليه، ولعل من بين هذه الاهتمامات، هي الأيام التراثية في الدولة، والتي لها حضور بارز ومهم حيث غدت من أبرز التظاهرات التي تستقطب المواطنين والمقيمين والمهتمين، وتحظى الأيام التراثية باهتمام عالمي، وإشادات دولية. فالأيام التراثية تعتبر تظاهرة ثقافية مهمة ومميّزة زاخرة بالفعاليات والبرامج والأنشطة التراثية المليئة بالحيوية والمعرفة، فهي قيمة حضارية وثقافية ومعنوية تقدمها المؤسسات المعنية بإحياء التراث، إلى أبناء الإمارات والعالم العربي، فهي محفل ثقافي مهم للتراث الشعبي، الذي يشكل حجر الأساس في بناء وتطور المجتمعات من خلال التعرف على الماضي، والاستنارة به للمستقبل. ومن بين هذه التظاهرات التراثية في الإمارات، نتوقف عند أيام الشارقة التراثية والتي تعد من أهم التظاهرات التي تحظى بمتابعة محلية وعالمية سواء بالحضور أو عبر مواقع التواصل الاجتماعي، لما فيها من زخم ثقافي ومعرفي، فإلى الجانب التعرف على عادت الأجداد والحرف اليدوية، وطرق العيش، وما تتضمنه من عادات حياتية، تمارس منذ القدم، والبيئات المختلفة هناك الجلسات والندوات والورش التعريفية التي تلقى حضوراً لافتاً، إلى جانب المقاهي التراثية، التي تقدم كل ما هو تراثي، وفي نفس الأجواء تقريباً. ولا ننسى الحضور المميز لكافة البيئات التي توجد بالإمارات كالبيئة الجبلية والبدوية والزراعية والبحرية. حيث تضفي كل بيئة إماراتية على الأيام التراثية بهجة خاصة، حيث يعيش الزوار لحظات ينتقلون فيها إلى عدة مناطق مختلفة، ويتعرفون على العادات والتقاليد التي كادت تندثر في المجتمع الحضري المعاصر، فهي دعوة للعودة للحياة البكر والخالية من التعقيدات المدنية، وفرصة للهروب إلى الطبيعة الساحرة، والأجواء النقية، التي لا تشوبها شائبة.

ومن خلال الأيام التراثية تتعرف الأجيال الحالية والقادمة أيضاً، على أصالة الماضي، وعبق الموروث الشعبي للآباء والأجداد، كما تسهم بشكل فاعل في مد جسور التواصل مع الشعوب والمجتمعات الأخرى، كي يظل التراث بشقيه المادي والمعنوي، يجمعنا ويوحدنا، ما يجعل كل شعوب الأرض شعباً واحداً تحت مظلة التراث الإنساني. فمع الأيام التراثية، نستحضر أصالة الماضي بكل تفاصيله، كما هي فرصة جيدة ليطلع الجيل الجديد، على تاريخ الأجداد، حيث يكون في الفعاليات المتعددة تعريفاً بالحرف والمهن والعادات والتقاليد، وعن مختلف ملامح حياة الآباء والأجداد، وهي في الوقت نفسه تعبير صادق عن هوية شعب الإمارات، وتجسيد حي لتاريخ أبناء الإمارات، تتعرف إليه الشعوب الأخرى، التي لا تعرف عن المنطقة سوى النذر اليسير، فتكون المحافل الثقافية فرصة سانحة للتعرف والتقرب من الشعب الإماراتي، بطريقة أكثر حميمية. كما تستقطب أيام الشارقة التراثية، فرقاً تراثية وفنية من مختلف دول العالم، ليتعرف الزوار والمهتمون على ثقافة هذه الشعوب، ما يدعونا إلى عمل مقارنات بين الفنون والعادات والتقاليد، الأمر الذي يوجد عدة عوامل مشتركة بيننا وبين عواصم عالمية وعربية، ليكون التراث هو الجامع بيننا وبين باقي الشعوب المختلفة. وفي كل عام من أيام الشارقة التراثية يكون هناك شعار خاص بها، يدعو إلى أهمية التراث والمحافظة عليه. ولعل من أهم الإيجابيات التي تعود على المجتمع المعاصر وشباب الجيل الجديد، هو معرفة مدى المعاناة والمشاق التي كان الأجداد يتحملونها، ما يقوي روح محبة الوطن، والتمسك بأرضه والمحافظة عليه.

فمن منّا لا يحن إلى ماضيه وتراثه، ومعرفة مدى ما تحمله الآباء والأجداد، ليكون الوقود لأرواحنا الباحثة عن الجذور، لاستكمال مسيرة حفرها الأولون وعلينا أن نكون على قدر المسؤولية، ليبقى الوطن حضنا دافئا نحنّ إلى براحة، حينما تنهشنا قسوة الاغتراب والمدنية الحديثة. وسيبقى التراث خير شاهد على ما وصلنا إليه، والأيام التراثية تأتي لتذكرنا بأصلنا وتعيد إلينا روح القوة والمثابرة، وكلها جهود مباركة تشكر عليها دولة الإمارات العربية المتحدة، في زمن قل فيه الاهتمام بالموروث الثقافي والمعرفي للشعوب ■

مهرجانات التراث على أرض الإمارات ودورها في صون وخدمة التراث الإنساني

مهرجانات نادي تراث الإمارات أنموذجاً

علي تهامي

تحتل دولة الامارات العربية المتحدة مكانة متقدمة بين بلدان العالم المهتمة بالتراث وصونه ودراسته وتوظيفه في خدمات المجتمعات، وصنع مستقبل أفضل للأجيال، وتعزيز دوره في الثقافة المعاصرة.

وتتنوع المؤسسات الإماراتية العاملة في حقل صون وحماية التراث ودراسته، ومن بين جهود تلك المؤسسات والمراكز، تبرز المهرجانات التراثية على أرض الإمارات، والتي يتعاظم دورها يوماً بعد يوم في نشر الموروث الثقافي والتراثي. وعلى سبيل المثال فإن نادي تراث الإمارات نظم وشارك في 27 حدثاً معنياً بالتراث داخل دولة الامارات، وذلك خلال النصف الثاني من العام الماضي 2021. وكان من بين تلك الفعاليات التي نظمها وشارك بها نادي تراث الإمارات: إطلاق برنامج صناعة الحرف التراثية، وملتقى شاعرات النبط الرابع، والمعرض الدولي للصيد والفروسية، وملتقى سهيل البحري التاسع، ومهرجان فاكهة الشتاء، وبطولة تحديات الزاجل للصقارة، وملتقى السمالية الربيعي، وسباق اليوم الوطني لقوارب التجديف التراثية، وملتقى الخمسين التراثي، وبرنامج محطات بارزة في تاريخ الإمارات. بجانب تنظيم النادي لندوات تناولت العديد من الموضوعات ذات الصلة بالتراث، مثل ندوة حول أهمية الخرائط التاريخية للإمارات والخليج العربي، وندوة الإرث الحي في التراث الإماراتي وغير ذلك من الأنشطة التي تهدف جميعها لصون التراث وحمايته وتوثيقه ودراسته. وفي دليل على مدى إيمان إدارة نادي تراث الإمارات، بأهمية المهرجانات التراثية ودورها في نشر الموروث الثقافي والتراثي، بجانب إحياء التراث وتعزيز دوره في الثقافة المعاصرة، فقد تضمنت الأجندة السنوية للنادي إقامة باقة من المهرجانات التراثية الموزعة على مدار العام، حيث لا تغيب المهرجانات التراثية عن الإمارات بمختلف مناطقها على مدار شهور العام. وتكتسب المهرجانات والفعاليات المختلفة في نادي تراث الإمارات أهمية خاصة، نظراً لما تتمتع به من حضور ومتابعة من قبل شرائح كبيرة ومختلفة في المجتمع الإماراتي، وبخاصة الشباب والصغار الذين تغرث فيهم تلك المهرجانات والفعاليات، حب تراث الوطن، وتعزز هويتهم الوطنية. وقد نجحت تلك المهرجانات التراثية التي يقيمها نادي تراث الإمارات دوريا على أرض دولة الإمارات العربية المتحدة في تحقيق الهدف منها، وذلك وفقا لقول سعادة الأستاذ فلاح محمد الأحبابي، رئيس نادي تراث الإمارات، والذي أكد على أن «دولة الامارات العربية المتحدة، نجحت في إبقاء جذوة التراث مشتعلة في قلوب الأبناء.. وانتقت بمهارة من لألىء الأجداد ومنجزهم المادي

والمعنوي الأصيل، ما يُزين وجه حضارتها المعاصرة، ويكون وقود بناء، وشارة هوية مميزة». ومن اللافت أن المهرجانات والفعاليات التراثية لنادي تراث الإمارات، تركز جيداً على كل ما يتعلق بالتراث من حرف وصناعات وألعاب الخ.وفي هذا الشأن يشير «الأحبابي» إلى اهتمام المؤسسات المعنية بالتراث - في الإمارات - بالحرف والصناعات التقليدية، وهي مفردات تراثية شديدة الحساسية - بحسب قوله - مارسها الناس من باب تلبية حوائجهم، وسقط منها بمرور الزمن ما سقط، وأصبح عسيراً على دول وحضارات استعادة ملامح ماضيها، من تلك الحرف والصناعات إلا تنظيراً.. وإن دولة الإمارات انتبهت الى أهمية هذا العنصر في لحظة مبكرة. وتحظى مهرجانات نادي تراث الإمارات، بسمعة كبيرة محلياً ودولياً، كما تحظي بمشاركات لافتة من خارج دولة الإمارات، وتوظف تلك المهرجانات في خدمة التراث، وخلق حالة من الحوار بين المعنيين بكل شؤونه وقضاياه، وإتاحة الفرصة لتبادل الرؤي والخبرات بين المشاركين في كل ما يخدم التراث الإماراتي والإنساني. كما تحظي تلك المهرجانات التي يحرص نادي تراث الإمارات على تنظيمها بشكل دوري، بشهرة واسعة، وتلفت فعالياتها أنظار ممثلي وسائل الإعلام الذين يرون في تلك المهرجانات وما تشهده من أحداث وعروض وندوات وورش عمل مادة شيقة لجماهير القراء بمختلف توجهاتهم، وبكل فئاتهم، فتحتل تغطيات تلك المهرجانات مساحات واسعة في وسائل الاعلام المختلفة في داخل الإمارات وخارجها. وتلعب الندوات واللقاءات وورش العمل التي تقام ضمن فعاليات مهرجانات نادي تراث الإمارات دوراً مهماً في دراسة مختلف القضايا المتعلقة بالتراث، وسبل صونه وحمايته وتوثيقه ونقله للأجيال، ودراسته وتوظيفه في خدمة الحاضر والمستقبل، وتستقطب تلك الندوات واللقاءات وورش العمل الكثير من الشخصيات الدولية المهمة والتي تتمتع بخبرات عالية في مجال التراث بالوطن العربي والعالم، وخبراء يمتلكون دراية واسعة في كل ما يخص التراث وحفظه ودراسته، حيث يسهمون في إلقاء الضوء على الكثير من مظاهر التراث التي قد تكون خافية على غير المتخصصين، كما يشاركون في وضع الخطط المستقبلية التي تصب في خدمة التراث إماراتياً وعربياً ودولياً. وتأتي تلك المشاركات لتلك الخبرات الدولية الكبيرة في مهرجانات التراث على أرض الإمارات، بفضل ما أولته الدولة من اهتمام بالتراث، وما تقدمه من دعم كبيروغير محدود للمؤسسات الوطنية الإماراتية المعنية بحفظ وتوثيق التراث ودراسته، وتعظيم دوره وتوظيفه في النهوض بالوطن. يُذكر أن نادي تراث الإمارات، قد تأسس عام 1993، وقارب على إكمال عقده الثالث في مسيرته الغنية بالإنجازات، ويعمل النادي كهيئة مستقلة تابعة لحكومة أبو ظبي برئاسة المغفور له الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان، حيث أخذ النادي على عاتقه منذ ذلك التاريخ «مسؤولية العمل الدؤوب لتوفير البنية التحتية اللازمة لاستنهاض التراث المادي والمعنوي والبيئي لدولة الإمارات العربية المتحدة، وفق استراتيجيات علمية ومدروسة». وقد تحققت نهضة نادي تراث الإمارات، وتعاظم دوره محلياً وعربياً ودولياً، بفضل التوجهات الكريمة للمغفور له الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان، أصبح النادي «هيئة مستقلة متخصصة تعنى بالثقافة التراثية، وتسهم في بناء الشخصية الوطنية بطريقة علمية واعية، فكان لهذا الصرح مكانته المتميزة حتى أصبح من المؤسسات الثقافية المتخصصة التي يشار لها بالبنان محلياً واقليمياً ودولياً، وصار مقصداً لاجتذاب كبار الشخصيات المحلية والعربية والدولية المعنية بالتراث وصونه» ■

مهرجانات التراث في دولة الإمارات .. همزة وصل بين الأجيال

جمال مشاعل

أسهم اهتمام دولة الإمارات بالتراث في ترسيخ النظرة الإيجابية إليه، وقد أثّرت نظرة القيادة والنخبة السياسية إلى التراث في موقف النخبة الثقافية تجاهه. ومن أهم معالم هذه النظرة الجمع بين الأصالة والمعاصرة. ولاهتمام الدولة بالتراث نظمت العديد من المهرجانات التراثية حتى غدت جزءاً من الحياة العامة لمجتمع الإمارات، وتقام في جميع إمارات الدولة؛ إحياء للموروث بأشكاله باعتباره جزءاً مهماً من تاريخ الشعوب وثقافتها، وجسر للتواصل بين الأجيال، وإحدى الركائز الأساسية في عملية التنمية والتطوير، ومكوناً أساسياً للهوية الوطنية.

المهرجانات التراثية .. عام وخاص

من المهرجانات التراثية التي تتوزع في أنحاء الإمارات ما هو عام يهتم بالتراث بجميع مفرداته، ومنها ما هو خاص يعنى بعنصر من عناصر التراث. وتجذب أجواء البهجة والفرح في هذه المهرجانات الجمهور بمختلف شرائحه وثقافاته بما تقدمه من فعاليات ومسابقات هدفها غرس مفاهيم التراث الوطني ومفرداته في الجيل الجديد، وربطه بتراثه العريق؛ فهي تجعل زوارها يستعيدون صوراً جميلة من الماضي، وتشدّهم إلى تراث الآباء والأجداد حتى تغدو همزة وصل بينهم وبين تاريخهم وتراثهم.

وقد وظفت القيادة السياسية في دولة الإمارات التراث بما فيه من عادات وتقاليد، وحِرف صناعية وشعبية، وملابس شعبية، وألعاب وفنون شعبية، وألفاظ شعبية تميّز أهل الإمارات- في عدة مجالات ومناسبات تعدّ ملتقى للجماهير، وتعزز بذلك روح الولاء والتكاتف، وتحافظ على هوية المجتمع، ولا سيما أن تراث الإمارات الذي تتوارثه الأجيال تختلف عن غيرها من المجتمعات.

والاهتمام بتفعيل التراث الإماراتي وإحيائه في المهرجانات ضروري جداً في عالمنا الذي تتسارع فيه وتيرة تطور الحياة، وإيقاع تطور وسائل الاتصال المتسارع بين عشية وضحاها، حتى غدا العالم بحضاراته المختلفة قرية كونية صغيرة. وإذا كان ذلك الاهتمام بالتراث مهماً بين شعوب العالم. فإن أهميته تتضاعف في دولة الإمارات التي تستضيف على أرضها أكثر من مئتي جنسية من مختلف أنحاء العالم، وفي هذا الزمن الذي تلاشت فيه المسافات

يصير حفظ الثقافة المحلية وصون التراث الوطني أمراً مهماً للحفاظ على الهوية الوطنية، وهذا ما اهتم به المؤسس والباني الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان – طيب الله ثراه- حين قال: "من لا يعرف ماضيه لا يستطيع أن يعيش حاضره ومستقبله".

ولما كانت مهرجانات الإمارات ليست مناسبات عابرة؛ وإنما هي دروس عميقة لها أثرها في تكوين الشخصية وترسيخ الهوية؛ إذ تقدم مختلف أوجه الحياة في الماضي، وأشكال تأقلم الأسلاف مع البيئة، وما كانت تحفل به الحياة من مهن وأشغال يدوية انقرضت أو توشك على الانقراض، وتحتفي بتنوع الفعاليات والعروض الفنية، وما فيها من مقتنيات تراثية ومعارض للصور التاريخية- فإنها تستهوي جميع الفئات العمرية، ولا سيما كبار السن لما في نفوسهم من حنين إلى الماضي.

الأرشيف الوطني في المهرجانات التراثية .. جمع ذاكرة الوطن وإتاحتها

لقد أدرك الأرشيف الوطني أهمية هذه المهرجانات التراثية فكان حاضراً فيها يؤدي رسالته في جمع التراث الوثائقي والحفاظ عليه، وتقديم المعلومات الموثقة والأمينة لعامة الناس، وتعزيز روح الانتماء والهوية الوطنية.

وحرصاً منه على تحقيق أهدافه في حفظ ذاكرة الوطن فإنه قد عمد إلى إنشاء ستوديو خاص بتسجيل مقابلات التاريخ الشفاهي بالصوت والصورة، التي تعدّ كنزاً حقيقياً يضاف إلى أرشيفاته؛ لما له من أهمية في سدّ النواقص والثغرات لبعض الأحداث غير الموثقة في التاريخ المكتوب. ويُحفظ هذا التاريخ للأجيال

القادمة. ومن ذكريات كبار المواطنين الذين يرتادون هذه المهرجانات التراثية أو يشاركون فيها يستقي الأرشيف الوطني ما كان يحفل به الماضي من عادات وتقاليد، وأمثال شعبية وأهازيج، وقصص وأساطير، وغيرها من واقع الحياة التي عاشها أبناء الإمارات قبل قيام الاتحاد الميمون. وهذا ما كان في مهرجان "ليوا للرطب" وفي مهرجان "الشيخ زايد" ومهرجان "الظفرة" ومعرض "الصيد والفروسية"، ومهرجان "سلطان بن زايد للإبل" ... وغيرها. ويأتي اهتمام الأرشيف الوطني بتوثيق هذا التاريخ الشفهي من كبار المواطنين من روّاد المهرجانات التراثية إلى أن أولئك الرواة هم من أهم المصادر المكملة لتاريخ الدولة وتراثها، وهذا التاريخ هو ما أكده الشيخ زايد بن سلطان حين قال: "عليكم أن تسألوا الآباء عن أحوال الوطن قبل الاتحاد. لقد حظينا بالسعادة في ظل الاتحاد، ويجب أن نحرص على تحقيق المزيد من التقدم، ونتعاون جميعاً في دعم مسيرة الاتحاد إلى الأمام".

في المهرجانات التراثية يجد الأرشيف الوطني بيئة مناسبة لربط الأجيال بتراثهم؛ ففي مهرجان الشيخ زايد الذي يشارك فيه للسنة العاشرة بمنصة "ذاكرة الوطن" جعل من هذه المنصة واحة تفتح صفحات من التاريخ، وتهتم بجوانب من التراث الإماراتي وتتيحه للأجيال ولرواد المهرجان من مختلف أنحاء العالم، ولا سيما أن ما يوثقه من تاريخ وتراث يهتم بمختلف مجالات الحياة، وهذا ما ينسجم مع تنوع المهرجانات وثرائها. ويعدّ حصاد الأرشيف الوطني في هذا المجال إثراء لأرشيف التاريخ الشفاهي الذي يحتفظ به ويضم مئات المقابلات، وقد شرع في الاستفادة من هذه المقابلات في إصدار سلسلة كتب بعنوان: "ذاكرتهم تاريخنا".

إن لكل واحد من هذه المهرجانات دوره الكبير في صون التقاليد والعادات والملامح الحضارية التي حفل بها الماضي وما زال المجتمع الإماراتي يتأثر بها حتى اليوم. وهي منصات تراثية وطنية تعبّر عن هوية الإمارات وتقاليدها، وتبعث بعروضها المتنوعة وفعالياتها المختلفة السعادة والبهجة في نفوس زوارها، وتغرس بنعومة حب التراث الوطني في نفوس مرتاديها، وفي الوقت نفسه تعرض جوانب مما شهدته الإمارات من حضارات على مدار تاريخها الطويل. ■

الأصالة والمعاصرة في تراث الإمارات وثقافتها

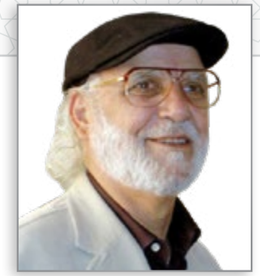

علي كنعان
شاعر سوري مقيم في الإمارات

تنفرد الإمارات بالأصالة والمعاصرة في مختلف جوانب الحياة الفكرية والعملية، على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، وفي الأنشطة الأهلية والمؤسسات الرسمية، على حد سواء. ومن يتأمل هذا التوازن المدهش والانسجام العجيب بين التراث والثقافة في مؤسسات الدولة، لا بد أن يتذكر المتاحف وما فيها من كنوز أثرية، إلى جانب أحدث المرافق العصرية وأرقى الجامعات والملتقيات الأدبية والنوادي الرياضية، وصولا إلى الاهتمام بارتياد الفضاء ورحلاته الاستكشافية، كما إن للشعر فيها جناحين: النبطي والفصيح، ولا يمكن أن ننسى توازن البيئة بين البحر واليابسة، وبين الصحراء وغابات النخيل والغاف، ولا يغيب عن بالنا أهمية الثروة السمكية، مع الاهتمام بتربية الخيل والهجن، مقابل المحميات حيث تمتاز الإمارات بتربية المها التي تغنى الشعراء بجمال عيونها وقوامها وسحر التفاتها في تراثنا العريق. وفوق ذلك كله، نرى اهتماماً كبيرًا بتراث المائدة والأزياء والعمارة، مع وجود أحدث التصاميم وألوان الطعام العالمية ومعالم العمران.

ويعود الفضل بهذا التراث الإماراتي الجميل وامتداده لاستحداث نماذج عصرية إلى حكيم العرب الشيخ زايد، طيب الله ثراه، فهو المؤسس والشاعر، وهو الفارس وهاوي رحلات الصيد بالصقور. وهو الذي كان مهتماً بالمحافظة على تراث الماضي وتقليد الأجداد، بقدر ما كان مهتما بإرساء أساس الحضر والانطلاق بثقة إلى المستقبل.

ولاستكمال جمالية هذه اللوحة الحضارية في الإمارات، لا بد من التوقف أمام المهرجانات واحتفالات المزاينة وسباق الخيل والهجن، لأنها تشكل مواسم وأعياداً شعبية جديرة بالمشاهدة والتأمل والتقدير. ومن مزايا هذه المهرجانات التراثية التي كانت تقام تحت رعاية سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان، رحمه الله، وهي تقام في أحضان الطبيعة، ولا سيما في منطقة سويحان حيث يعمل سكان تلك المنطقة باهتمام كبير على تربية الإبل والعناية بها وإعداد الأسرع منها للمشاركة في منافسات السبق. ويستقطب المهرجان السنوي أعداداً كبيرة من السياح ومحبي التراث، سواء من أبناء الإمارات والمقيمين فيها أو من دول الخليج. وكانت الحافلات تقلنا إلى تلك المنطقة المهمة، وهي رحلة سياحية وترفيهية لا تنسى، حيث تسيح للزائر مشاهدة التنوع في ملامح الأرض بين مياه الخليج ومزارع النخيل وكثبان الرمال، إضافة إلى السهوب الرملية المنبسطة في سويحان. ولم يكن الزائر مضطراً لحمل أكياس الزاد وزجاجات الماء، لأن الكرم الإماراتي قد أعد كل ما يحتاج إليه الزوار في تلك المهرجانات.

وفي موازاة هذا التناغم السيمفوني المدهش، يرى المشاهد أن الإمارات تضم ما لا يقل عن مئتي جنسية تعيش في جو سلام آمن تسوده قيم التآخي والمحبة والتسامح ليشكل الملايين المقيمين على هذه الأرض الطيبة أسرة عالمية واحدة، جديرة بأن تقتدي بها الأمم الأخرى. لكن المؤسف أن نرى العديد من البلدان في الشرق والغرب، عربية وغير عربية، لا تعرف كيف تحافظ على وحدة أراضيها ولا تتخلى عن الصراع والتناحر بين أبناء شعبها لأسباب من حب التسلط والظلم والاستئثار.

لقد كتب القدماء عن المدينة الفاضلة، حلم الإنسانية الكبير منذ فجر التاريخ، لكنها ظلت في نطاق الأحلام. وتشكل الإمارات مثالا جديرا بالاقتداء، لكننا نرى مؤتمرات دولية عديدة تقام في عالمنا المعاصر، سواء من أجل البيئة أو لإنهاء النزاعات والحروب، ولكن من دون جدوى.. وكأن المزاج العالمي محكوم بنزعة الخلاف والصراع. ويتساءل العديد من المفكرين باستغراب: ألا يمكن للبشر أن يتفقوا على كلمة سواء ويحلوا مشاكلهم بالحسنى من خلال الحوار والتفاهم والاعتراف بالآخر، والتركيز على حسن الجوار والمعاملة الحسنة، والاكتفاء بالتبادل التجاري والعلمي والثقافي والسياحي، إلى جانب التعاون لحماية البيئة ومكافحة الأوبئة والأمراض، والتأكيد على حقوق الإنسان وصيانة حريته وكرامته، عملا بتعاليم الأنبياء ومقولات الحكماء والمصلحين ومأثوراتهم. وهذه الصورة الإنسانية/ الحضارية المثلى تطل وتشرق في أكثر من صفحات كتاب «غرق الحضارات» لأمين معلوف، وقد كان شخصية العام الثقافية في الدورة العاشرة لجائزة الشيخ زايد للكتاب 2016. الجميل في هذا الكتاب أنه يشكل إثارة للمراجعة ويدفع للمقارنة بين الواقع الإنساني والحضاري الآمن في الإمارات والهواجس والتمنيات التي تجول في خاطر الكاتب، وهو يستعرض في 320 صفحة أحداث القرن العشرين، وما حمل في طياته من فرص تاريخية مواتية للإصلاح والالتزام بقيم الخير والتعاون والسلام، وخاصة بعد التجارب القاسية والدروس البليغة التي اختزنها التاريخ المعاصر بعد حربين عالميتين، وزوال إمبراطوريتين كبيرتين، هما العثمانية والسوفياتية. لكن الدول الكبرى القادرة على هذه المبادرة الإنسانية للتعاون والسلام ظلت بعيدة عن تحقيق هذا الأمل الكبير. إن مآسي القرن العشرين، بداية من الحرب الكورية حتى هدم جدار برلين وانهيار الاتحاد السوفييتي، مرورا بحرب فيتنام وأفغانستان، من دون أن ننسى الكوارث التي جاء بها القرن الجديد وأدت إلى دمار العراق وسوريا وليبيا، هذه المآسي والكوارث وما تركت من دروس كان ينبغي أن تستفيد الدول الكبرى منها وتسعى إلى تغيير سياساتها ومغامراتها بالسيطرة وإشعال الفتن والحروب في مناطق شتى من هذا الكوكب الجميل، بيت الإنسانية الكبير وحاضنة أحلامه ومشاريع حياته ومستقبل أبنائه. ويختم الباحث كتابه بأمل أن الصحوة ما زالت ممكنة، وليس للبشرية أن تدمر كل ما شيدته. وهو يؤكد أن جميع الحضارات والمجتمعات البشرية تخسر ما دمنا نضل السبيل، وجميعها تربح إذا ما أعدنا تثبيت وجهتنا. وفي اليوم الذي سندرك ذلك، ستتبدل السلوكيات جذريا، ويلغى الانحراف عن المسار، وتنطلق دينامية الخلاص ■

التشكيلية الإماراتية نجاة مكي:

مهرجانات التراث تحتفي بذاكرة الإنسان

علي تهامي

يرتبط الفنان التشكيلي ارتباطاً وثيقاً بتراث وطنه، باعتباره أحد أهم مصادر الإلهام لدى كل فنان، ومن هنا فإن رؤية الفنان التشكيلي للتراث رؤية متفردة، وشاملة، يبرز من خلالها كل ما يحتويه ذلك التراث من قيم ومصادر جمالية وفنية يعمل الفنان التشكيلي على إعادة صياغتها في أعمال فنية تحمل عبق وجمال الماضي. والفنانة التشكيلية الإماراتية «نجاة مكي» واحدة من الوجوه الفنية الإماراتية التي اهتمت بالتراث، وعملت على توثيقه ونقله للأجيال. ولأنها فنانة مسكونة بتراث وطنها، فقد وجدت في المهرجانات الفنية المعنية بالتراث وسيلة جيدة للوصل بين الأجيال، وتعريف كافة فئات المجتمع بالموروثات الشعبية، والحرف والفنون التقليدية التي انتقلت لنا من الأجداد والآباء.

نجاة مكي

وفي مقابلة خاصة مع مجلة «تراث» أكدت الفنانة نجاة مكي، على أن التراث يمثل ذاكرة خصبة للشعوب، ومنه يستقي الناس القيم الاجتماعية والثقافية، بجانب ما تركه الأجداد من عادات وتقاليد مثلت إرثاً غنياً بكل قيم الأصالة.

وأضافت بأنه في إطار اهتمام دولة الإمارات بالتراث والمحافظة عليه، فقد تعددت المهرجانات والملتقيات والمعارض التراثية التي تحتفي بذاكرة الإنسان وبالفنون التراثية، والتي يطلع من خلالها النشء على القيم والعادات والتقاليد وكل ما يتعلق بالموروث الثقافي والشعبي للوطن، حيث تسهم تلك المهرجانات في تأكيد ارتباط الأفراد بالمجتمع والبيئة المحيطة، وثم تعزيز دورهم في الثقافة المعاصرة وربطها بالتراث، بما يسهم في زيادة قدراتهم على العمل والابتكار والإبداع الأصيل الذي يربط بين الماضي والحاضر.

سمو الشيخ زايد والتراث

وقالت «مكي» بأنه لا يمكن أن ننسى دور المغفور له، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيب الله ثراه وسعيه الدائم لإظهار التراث وما به من أصالة في المحافل الدولية، وذلك لأن التراث يُعبر عن روح المجتمع ويتطور بتطور العقول، وتلاقي الشعوب، وتبادل المعرفة. واعتبرت الفنانة نجاة مكي، أن المهرجانات التراثية هي فرصة للحوار وتبادل الخبرات وتوثيق التعاون والترابط بين الدول والشعوب، وذلك بما تقدمه تلك المهرجانات من تعريف بحياة الشعوب وفنونها وأساليب عيشها وسلوكها، وعقد الصلات بين القديم والجديد، حتى لا يفقد القديم أصالته، وما يحمله من قيمة ثقافية وحضارية، وحتى لا ينعدم الجديد من قيم وتقاليد

المجتمع. ورأت بأن الفنون التراثية باختلاف وسائل التعبير عنها، ما هي إلا لوحة تشكيلية تتضمن عناصر وقيم فنية ومفردات ورموز ووسائل تعبير تظهر من خلال ثقافة المجتمع وممارسته للحياة من خلال البيئة وما بها من إلهام.

تقاليد متناهية القدم

وحول الصور التي تجسد العلاقة بين الفنون والتراث، قالت الفنانة نجاة مكي، إن الفنون كنشاط إنساني، تنقل لنا تقاليد متناهية القدم سواء في أشكالها أو زخارفها وخطوطها التي تعكس أحاسيس الفنان الشعبي وانفعالاته، وهي تمثل لنا نسيجاً واحدَ تجمعه وحدة عضوية واحدة هي الإنسان: فكره وحسه ووجدانه.

ولفتت إلى أنه في دولة الامارات أصبحت المؤسسات والمراكز المعنية بالتراث، تقيم مهرجانات ومؤتمرات ومعارض وأنشطة بهدف ربط الأجيال الجديدة بماضيها، وأن نادي تراث الإمارات في مقدمة تلك المؤسسات التي تحرص على تنظيم مهرجانات دورية ذات صبغة محلية ودولية، بجانب مركز الشيخ حمدان بن محمد لإحياء التراث، والذي يعد من المنصات المهة التي تقوم بنشر وحفظ وتوثيق التراث الوطني والتعريف به على المستوى الإقليمي والدولي. كما اشارت إلى فعاليات مهرجان قصر الحصن في أبوظبي، وما يقوم به من دور في الإضاءة على الصناعات والحرف التراثية، والتعريف بالتراث وتوعية الأجيال المعاصرة بأهميته.

وتحدثت «مكي» عن المهرجان الوطني للحرف والصناعات التقليدية بمدينة العين، ومهرجان الرطب في ليوا، والذي يُعرف بالعادات والتقاليد الإماراتية فيما يتعلق بالنخيل والتمور، كما يعرف بتقاليد الضيافة والكرم لدي أهل الإمارات. وكذلك قرية التراث في أبوظبي، والتي تعتبر مرجعا لمن يبحث في التراث وملامح المعيشة في الماضي، وتقدم نماذج للمنازل القديمة وما احتوت عليه من أنماط معيشية.

كما أشارت الفنانة نجاة مكي إلى أهمية مهرجان أيام الشارقة التراثية، والتي أصبحت بحسب قولها من الفعاليات المهمة على المستوى العالمي، حيث تقدم استعراضاً للحياة التقليدية في الإمارات بصورة تفاعلية من خلال المشاركة الواسعة من قبل أصحاب الحرف والصناعات والفنون التقليدية المختلفة.
واعتبرت أن معهد الشارقة للتراث - المنظم لأيام الشارقة التراثية - اعتبرته من المؤسسات المهمة في الشارقة، وذلك باعتباره أول معهد يهتم بالتراث ومصادره، وكل ما يخص التراث الثقافي الإماراتي والعربي، وإعداد كوادر متخصصة في البحوث والدراسات الأكاديمية في مجالات الحفاظ على التراث.
كما لفتت إلى مجلس إرثي للحرف المعاصرة التابع لمؤسسة نماء للارتقاء بالمرأة في الشارقة، والذي يعمل على تعريف الأجيال من الأطفال والناشئين بالتراث الثقافي ووضع الحرف التراثية في قالب جديد ومنحها الاستدامة. يُذكر أن الفنانة نجاة مكي، المولودة في عام 1956 هي فنانة تشكيلية إماراتية، وهي أحد أعضاء مجلس دبي الثقافي، وصُنفت رائدة من رواد الفن المعاصر الإماراتي.
وتُعتبر نجاة مكي أول امرأة إماراتية تحصل على منحة من الحكومة الإماراتية لدراسة الفنون بالخارج وذلك عام 1977... حيث حصلت على البكالوريوس والماجستير في النحت البارز والمعدني من كلية الفنون الجميلة بالقاهرة كما حصلت أيضًا على شهادة الدكتوراة في فلسفة الفن في عام 2001.
وبحكم دراستها للفنون في القاهرة، فقد تأثرت نجاة مكي بالعديد من الفنانين المصريين الرواد، من أمثال محمود مختار، ومحمد سعيد، وحامد ندا، والإخوة وانلي، والسجيني، وغيرهم.
وقد اهتمت في أعمالها التشكيلية بطبيعة البيئة الإماراتية وخاصة الصحراء، والبحر، والفولكلور، وشاركت في الكثير من المعارض التشكيلية ذات الصلة بالتراث، وذلك في إطار انشغالها الدائم بالموروث الثقافي لوطنها الإمارات ■

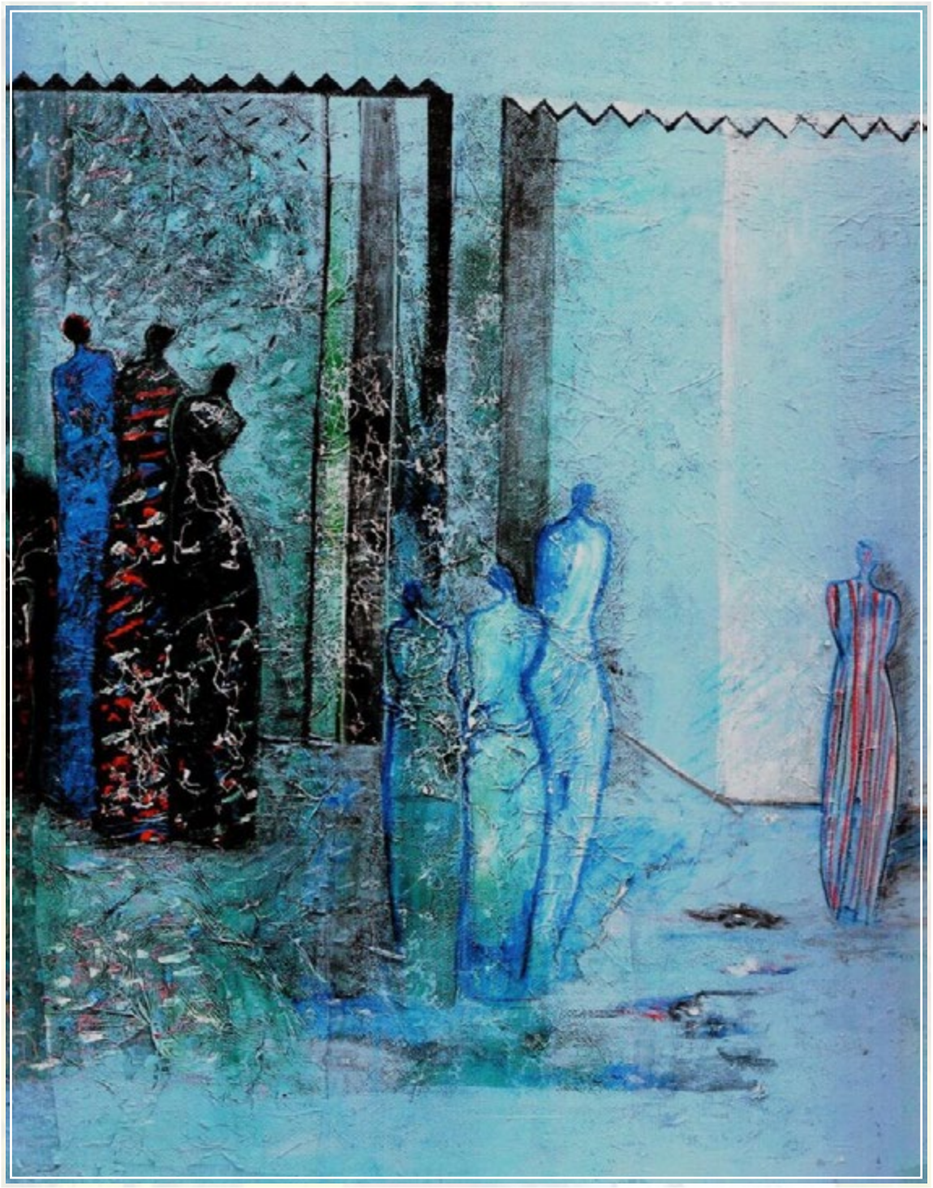

الحرف الإماراتية بين الذاكرة والمهرجانات التراثية

موزة سيف المطوع

تولي دولة الإمارات العربية المتحدة تراث الدولة اهتماماً بالغاً وتسعى بخطى مدروسة على إبرازه والمحافظة عليه، تُنظّم الندوات والمؤتمرات والفعاليات وورش العمل والمهرجانات التراثية إضافة للمشاركات التراثية خارج الدولة، تستقطب الحرفيين الذين دأبوا على صون التراث لنفخر به ونحافظ عليه بدورنا، فندرك كيف عاش آباؤنا وأجدادنا، الذين تأقلموا مع بيئتهم وطوّعوا مواردها لتناسب احتياجاتهم، فكل لوحة معروضة وكل أداة وكل حرفة تحكي قصصاً وحكاياتٍ طوال، تسرد سنوات كفاحهم وصبرهم.

في المهرجانات التراثية أستمتع باليولة والرواح والعيالة فنون الدرور لننظم أنشطتنا البحرية تبعاً لحالة الطقس وضمان سلامة الطاقم البحري من تقلبات الجو، تقويم لايزال يعتمده أهل البحر حتى يومنا هذا لدقته الشديدة في دخول المواسم، يسترسل الوالد بومحمد بشرح التراث البحري لكل زائر وطالب علم، ففي المهرجان فرصة ثمينة لنقل خبراته لكل ساعٍ لها.

أتبادل أطراف الحديث مع الوالدة أم مايد التي تستذكر والدتها رحمها الله التي أصرَّت عليها أن تتعلم سف الخوص لتنتج أدوات متنوعة مثل الجفير والمهفة والصرود والمكب، بعد اتحاد إمارات الدولة وتوفر الوظائف ومصدر دخل ثابت لم أظن يوماً أنني سأعود للسفافة مرة أخرى، إلا أن إقامة المهرجانات أعادت لذاكرتي ما تعلمته في طفولتي، فتطوعت في الجمعيات لأشارك خبراتي مع الجيل الحالي وأنقل لهم تراثنا القيّم والجميل، وأقوم بتعليمهم في الورش التعليمية أصول الحرفة وسرعان ما يدركون سهولة إتقان حرف الأولين فالأمر يحتاج إلى الصبر والمثابرة والتمرن، حفظ التراث مسؤولية تقع علينا في المقام الأول لتعليمهم كل ما نعرفه، ومسؤوليتهم إتقانه ليعلموه للأجيال القادمة، وبذلك نحفظ تراثنا. أعود للتجول في المهرجان وأنتبه لصف طويل من الزوار ينتظرون نصيبهم من اللقيمات الذهبية راقية وممتعة حافظ عليها شعب الإمارات حتى يومنا هذا، يرتّب الوالد بو محمد أمامه أدوات الغوص ويسميها بأسمائها «الديّين، الفطام، الزبيل» فأُبحر مع ذاكرته ويوضح لي السفن ليست واحدة، كل سفينة وكل مركب وقارب له اسمه ومهمته وحجمه المختلف عن الآخر، فالجالبوت سفينة الغوص المعتمدة والأكثر قوة للبحث عن اللؤلؤ، البوم للسفر بين دول الخليج وللطواشه ونقل البضائع، البقّارة لشحن الحمولات، الشّوعي لصيد السمك القريب من سيف البحر، الشاشة اشتهر في إمارة الفجيرة لصيد السمك واللؤلؤ القريب من الشاطئ، وبظهور سهيل نبدأ حساب اللون والتي تقطر دبساً وأنتظر دوري معهم لأسألها عن سر النكهة فتجيبني الوالدة خديجة بلال بابتسامة تسكن القلب التزمي بالمكونات الرئيسية من دون إضافة منكهات، وإن كان ولا بد فالزعفران يكفي وأفضل الاستغناء عنه، فلكل عجينة نكهتها الخاصة وأضافت، فخبز الجباب سره في المثيبه «الشمر»، خبز المقلب يميزه الهيل من دون الإكثار منه، وخبز الخمير بماء الورد، أما خبز الرقاق كل ما كان رقيقاً ومقرمشاً ازداد لذة، واقبلي ضيافتي لك شاي أحمر بنكهة نبتة الفوطن عشبة طبية محلية تريح الجسد وتدفئ الجسم في هذا الجو البارد ■

المهرجانات التراثية تكشف للجمهور كنوز الماضي

فاطمة عطفة

يشكل التراث أهمية كبيرة في حياة أجيال الناشئة وترسيخ هويتهم الوطنية، ومن هنا تأتي ضرورة المحافظة عليه وإحيائه في المهرجانات والمناسبات الوطنية والرياضية، لأن التراث كجذور الشجرة التي تمد الأغصان بماء الحياة والنمو والأزهار والثمار. وحول أهمية الكنوز التراثية والمهرجانات التي تقوم في الإمارات لإحيائها ونقل تقاليدها من جيل إلى جيل، نلتقي بعدد من الكتاب والباحثين لنستطلع آراءهم.

يقول الكاتب محمد شعيب الحمادي: نحتاج إلى الماضي في زمن العولمة والتطور والتكنولوجيا، نحتاج إلى الماضي لكي نتذكر من نحن وما كان عليه آباؤنا وأجدادنا، نحتاج إلى الماضي لكي يكون لنا حاضر ومستقبل كالنخيل جذورها في الأرض جعلتها شامخة في السماء تقارع الرياح وعوامل التعرية. هكذا يجب ان نكون.. ونربي أبناءنا على ما كان يفعله أجدادنا وما كان يلبسه أجدادنا وما كان يعيشه من سبقونا. إن الاهتمام بالتراث كان من الترفيه سابقا، كما كان يعتبره بعضهم، أما الآن أصبح لزاما علينا أن نعلم أبناءنا تراثنا الماضي، في زمن العولمة والحداثة حتى يكون هناك تعاقب الأجيال، حيث إن الآباء المؤسسين قد رحلوا، وجاء بعدهم جيل عاصر الماضي في طفولته وصباه وأصبح الآن رب أسرة، ولكن جيل الألفية الثالثة لم يعرف كيف كان نمط الحياة في السابق إلا عبر إحياء التراث وإقامة مهرجانات لعرض كل نشاط أو أداة أو قيمة من قيم الأجداد وشيمهم. ويؤكد الحمادي أن من الضروري جدا مواكبة الحداثة والتطور، ولكن مع الحفاظ على التراث من عادات وتقاليد وقيم رفعت من شأن الأولين بين الأمم، وكانت أخلاقهم مضربا للأمثال. وهو يرى أن الاهتمام بتعاقب الأجيال ومعرفة تجاربها والاستفادة من دروسها ضرورة ملحة حتى لا ننسى فضل الأجداد على استمرار الحياة وتواجدنا، فلولاهم لما كنا أحياء.

ويرى عبد الرحمن النقي أن التراث الشعبي مصدر مهم وملهم للثقافة العامة ومرجع أساسي في الوصول إلى تاريخ الآباء والأجداد ودراسة الأعراف التي عاشوا عليها وسطرتها أفكارهم البناءة. وحين تقوم المؤسسات المعنية بتنظيم الفعاليات التراثية، إنما تربط ثقافة الآباء والأجداد بثقافة الشباب والجيل الحاضر. ومن الأهمية بمكان ممارسة الفعاليات التراثية كما كانت فعلا في الماضي، لتعزز الهوية الراسخة لأبناء البلد من دون تشويه وتحديث الأطر التي لا تتلاءم معها. ويستذكر النقي مقولة الشيخ زايد رحمه الله مؤكدا على أهمية فهمها العمل بها إذ يقول: من لا ماض له لا حاضر ولا مستقبل، كما يستذكر الاهتمام الكبير للشيخ سلطان بن زايد رحمه الله، حين أسس «نادي تراث الإمارات» ليصبح قلعة شامخة في حفظ التراث الإماراتي في كافة ألوانه وأشكاله المادية واللامادية الجميلة وما أثمرته جهود النادي في تزويد الثقافة العربية بسيل من الإصدارات الموثقة للثقافة والتراث الإماراتي، وما نتمناه تعزيز الأسر في ترسيخ التراث في الممارسات اليومية واعتماد اللغة العربية وسيلة للتخاطب المنزلي كي لا تؤثر مفردات اللغات الأجنبية على التحصيل المعرفي والثقافي والمحتوى الفكري لأجيال النشء الجديد.

وفي لقاء الشاعر والإعلامي هزاع أبو الريش يؤكد على أهمية برامج التراث التي تقدم بشكل دوري ومنتظم يقول: مثل هذه الفعاليات والمهرجانات التراثية تعد إضافة للوطن وللتاريخ، وهي كمدرسة تؤدي لصقل ومهارات الجيل، وتعزز من مفهوم التراث من نقل المعلومات والأشياء التراثية من مفهوم هذا الجيل خلال زياراته لمثل هذه المعارض والمهرجانات وتسهم في طريقة فاعلة في تعزيز الرؤية التراثية بما تحمل هذه الرسالة من معاني سامية لخدمة الإنسان وخدمة الوطن، ما دام للتراث هذه الأهمية البالغة في مفهوم الوطنية ومفهوم قيمة الوطن، فحين تقام هذه المهرجانات والفعاليات التراثية بلا شك تعد إضافة، كما تلبي حاجة مهمة وتعمل وتسهم في إرساء قيمة هذا التراث وإرساء المفهوم الوطني في تعزيز الهوية كما أكد المرحوم الشيخ زايد في أقواله وأعماله على ذلك. لأن التراث هو من الأشياء اليي يفتخر بها الوطن ويعتز بها المواطن، ويؤكد أبوالريش أن التراث دائما مرتبط بالهوية في إسهام وصب هذه القيمة التراثية في مفهوم القادم بما يعني تعزيز الهوية فيه وتعزيز الطينة الأساسية لديه، وتعزيز مكانة هذا الوطن والأرض والموروث في جعل هذا الجيل يدرك مكانته وقيمة نفسه وقيمة ذاته من خلال تراثة وماضيه.

وبقول الشاعر خالد الظنحاني: إن المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيب الله ثراه، أول من غرس بداخلنا حب التراث من خلال تعامله حتى مع المقيم والزائر للدولة، ما جعل كل من يقيم على أرض الإمارات يرتبط بطريقة حسية أو معنوية بالتراث والحفاظ عليه والعمل على نشره، وكأن، التراث، كائن حيّ ينمو ويكبر في وجداننا وعقولنا ونعلمه لأبنائنا جيلاً بعد جيل، فهو متغلغل في الوعي واللاوعي عند الإنسان العربي عموما والإماراتي على وجه الخصوص. وحول المهرجانات التراثية الإماراتية ودورها في تأكيد الهوية وتعزيز روح الانتماء، يؤكد الظنحاني أننا في حاجة دائمة إلى مثل هذه المهرجانات التراثية التي تعود بنا إلى ماضي الآباء والأجداد، واسترجاع ذلك الماضي الجميل وتعريفه للأجيال الجديدة، لأن شباب اليوم لا يعرفون الكثير عن عاداتنا وتقاليدنا وتراثنا، ومثل هذه المهرجانات تجسّد لهم ماضيهم العريق وتراثهم الأصيل، مبينا أن المرء عندما يرى هذا الموروث يتجسد أمامه ويشاهده بأم عينه فهو أفضل بكثير مما يقرأ عنه، لأن التراث عموما يمنحنا شعورا بالدفء والحنين لأيام الماضي الجميلة التي نعشقها، كما أن الفعاليات التراثية ترسّخ الهوية الوطنية الإماراتية وتعزز قيم الولاء والانتماء للوطن ولقيادتنا الرشيدة، وهذا ما نطمح إليه. ويابع الشاعر الظنحاني قائلا: إن مظاهر الحياة في عصرنا الراهن قد تشعبت ودخلت التكنولوجيا علينا من كل باب، حتى إنها سيطرت على جزء الجزء من حياتنا. وهذا الأمر في رأيه قلل من منسوب اهتمامنا بموروثاتنا الثقافية الوطنية، والتي يعتبرها صمام الأمان الذي يحفظ هويتنا الوطنية من الضياع أو التلاشي، خصوصا في عصر تعولم فيه كل شيء، كون أجيال اليوم نشأت في كنف التكنولوجيا وتشربت ثقافة جديدة. ويدعو الشاعر خالد الظنحاني في ختام كلمته إلى التشديد على دور الأسرة في البيت، وحثهم على أن يقوموا بمسؤوليتهم في الحفاظ على التراث، فتنصل الأهل من هذه المسؤولية وميل بعضهم إلى حشو أدمغة الأطفال بمبادئ الثقافات الدخيلة، سيؤدي في نهاية المطاف إلى ضياع الهوية.

المهرجانات التراثية محافل ثقافية تؤصِّل الموروث وتحتفي بالمعاصر

خالد صالح ملكاوي

رغم تنوُّعها، وتخصُّص عناوينها وأنشطتها، فإن المهرجانات التراثية الممتدة على خريطة فعاليات العام في الإمارات، تلتقي بشمولية مضمونها وبتشابه محتوياتها من المفردات التراثية التي تسلط الضوء على جوانب مهمة من تاريخ الإمارات، وتعكس ثقافة ثرية وقيماً نبيلة وعادات أصيلة يتلهَّف إيقاع العصر المتسارع لطمسها، لولا تسابق الجهات والمؤسسات المعنية في حفظ الموروث بطرح المبادرات والفعاليات المبتكَرة التي تبثُّ في التراث الحياة وتُلبسه رونقاً يضفي على المهرجانات زهاء، وتقوّي في مكوناتها عُرى الوصل بين الأصالة والمعاصرة، لتعظّم ما في جنباتها ومكنوناتها من مخزون الثقافة المعاصرة. لقد بات واضحاً أن التطور الحاصل في شتى الصعد، غيَّب معه الكثير من معالم التراث، لتواكب حيثيات الحياة تطورات العصر المختلفة، التي سهَّلت العيش في جوانبه المتعددة. ومع ذلك، لم تنعدم المشاهد التي ظل فيها هذا التراث بتفاصيله حاضراً في المهرجانات والفعاليات والأنشطة التي تقام بين الحين والآخر، وعلى مدار العام، لتمثل هذه المهرجانات حصناً منيعاً في وجه غياب الموروث وسنداً قوياً لحمايته من الضياع ودعم نشره وتعريف الآخرين به، وصون الهوية الوطنية التي تتجذَّر جذوتها في عمقه، لا بل والاستفادة من الحضور الجماهيري في مثل هذه المهرجانات بالعمل على خلق حالة خاصة من حراك ثقافي يمزج الأصالة بالمعاصرة بمكونات المشهد الثقافي المُقدَّم، وبالوسائل المبتكرة والعصرية التي تعرض التراث بقالب عصري.

تراث تفاعلي

فمما يميز هذه المهرجانات التراثية أنها غدت تتنافس في الاهتمام بكافة عناصر الإبهار والجذب العلمية والترفيهية؛ فالتراث لم يعد يُقدَّم بشكل متحفيٍّ للعرض فقط، بل بتنا نجده تفاعلياً يستطيع أن يوفر حالة من الاندماج بين الزائرين ومفردات التراث المشاركة في المهرجان، إذ يقدم الحرفيون ورش عمل تقليدية لمعظم الحرف التقليدية، مثل صناعة السدو والخوص والسفن الخشبية، ويبدعون بأدواتهم نتاجات حرفية تبهر الزوار المتحلقين حولها يشهدون صناعتها ويمارسون بعضاً منها بشكل حي، كما تقدم أركان الطعام المأكولات التراثية، مثل اللقيمات والبلاليط التي يتذوقها الزائر فور إعدادها طازجة، فيما تقدم معارض المقتنيات التاريخية بعضاً من وسائل وأدوات الحياة قديماً، بحضور عدد من مُقتَنِيها من الإماراتيين الذين عاصروا حقباً زمنية مختلفة في حياة الدولة، والذين يصطحبون زوار معارضهم في رحلة توضيحية لكل مفردة من مفردات معروضاتهم. وتوفر بعض المهرجانات الإبل والخيول والصقور ليجرّب الزائرون التعامل بشكل مباشر مع هذه الكائنات الحية التي ارتبطت بحياة الإماراتي بشكل وثيق.

إبداع في التواصل

ولا تعني زيارة المهرجانات التراثية الانفصال التام عن الحاضر، خاصة إذا كانت وسائل الحياة المعاصرة قد تم تسخيرها من أجل إبراز التراث، فبينما لا يخفى أن من أبرز أهداف المهرجانات التراثية ردم الفجوة ما بين الأجيال، باجتذاب أبناء الجيل الجديد، وهم من الذين يتعاملون مع التقنيات الحديثة سواء للعملية الترفيهية أو التعليمية، فإن التقرب منهم بالوسائل التي يفهمونها يعتبر سبيلاً جيداً لتوصيل المعلومة التراثية، وهذا الدور بات يتقنه القائمون على المهرجانات والفعاليات التراثية، إذ صار من المألوف في مختلف المهرجانات أن نلحظ دمج التراث بالحداثة الذي تمثله التقنيات الحديثة، منها شاشات

تعكس المهرجانات التراثية صورة الهوية الوطنية في أبهى حللها، لدى الكبار والشباب وكافة الزائرين بمختلف أعمارهم، لا سيما الأطفال الذين لم يعايشوا الفترة التي عاشها أجدادهم، وتنقل لهم تفاصيلها، من خلال الفعاليات المصاحبة للأنشطة الرئيسة للمهرجانات

الأبعاد الثلاثية، واللمس، بغية تمكين النشء والشباب من تتبع العناصر التراثية كالصقور والخيول والهجن وغيرها عبر شاشات تفاعلية يمكن التحكم في حجمها وفي المعلومات المستعرضة بشكل يدوي.

وتعكس المهرجانات التراثية صورة الهوية الوطنية في أبهى حللها، لدى الكبار والشباب وكافة الزائرين بمختلف أعمارهم، لا سيما الأطفال الذين لم يعايشوا الفترة التي عاشها أجدادهم، وتنقل لهم تفاصيلها، من خلال الفعاليات المصاحبة للأنشطة الرئيسة للمهرجانات، في مفردات وألوان متعددة؛ كالفنون الشعبية

مهرجان الشيخ زايد التراثي 22 سبتمبر 2014 في أبوظبي

والحرف اليدوية القديمة والشعر، إضافة إلى المأكولات التراثية والملابس الوطنية والفلكلورية، إذ تسهم كل هذه العناصر بشكل أو بآخر في نقل الموروث وتعزّز روح الهوية الوطنية للأطفال وللنشء والشباب.

تنمية الحراك الثقافي

ومن أميّز ما يُسجَّل للمهرجانات التراثية نجاحها الواضح في الإسهام النوعي في تفعيل الحراك الثقافي في المجتمع، وتشكيل المشهد فيه بمختلف ألوان الطيف الثقافي بما يسهم في نشر الوعي الثقافي؛ فكثير من المهرجانات التراثية سجلت بصمات خاصة في تحويل أحداثها إلى احتفالات كرنفالية لمختلف الشرائح والأعمار ومن مختلف الثقافات، عبر برامج ثقافية نوعية، تقدم باقات واسعة من المكونات الثقافية التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة، إذ هي تقدم فرق الفنون الشعبية، ومسابقات الشعر النبطي، وكذلك مسابقات الألعاب والأكلات الشعبية، والعديد من الفعاليات الثقافية المرتبطة بالموروث.

وإلى جانب ذلك فإن مثل هذه المهرجانات تقدم إلى جانب الفعاليات الثقافية التقليدية معارض فنية للمبدعين التشكيليين الذين متَّنت فيهم هذه المهرجانات روابط الاهتمام بالتراث وعزَّزت إبداعاتهم التشكيلية لسائر المفردات التراثية وكل ما يتعلق بالبيئة الإماراتية، ووسَّعت من دائرة المهتمين بتشكيلهم لتخرج من إطار النخبة والنوعية التي اعتادت ارتياد المعارض في قاعات المدن، إلى إطار العامة الذين لم يُتَح لبعضهم من قبل زيارة المعارض الفنية، أو لم يُدرج في برامج أنشطتهم يوما مثل هذا الأمر ظنّاً منهم أن مثل ذلك يكون لشريحة مجتمعية من دون غيرها. كما تقدم المهرجانات المسرحيات المتنوعة، وتنظّم الحفلات الموسيقية والغنائية التي قد تأتي بالنجوم من مختلف البلاد إلى قلب الصحراء موطن الحدث.

وقلَّما يغيب عن المهرجانات التراثية نشاط المحاضرات والندوات التي تستقطب الأدباء والمفكرين والخبراء للحديث في كثير من شؤون التراث بخاصة والثقافة بعامة، من دون إغفال العديد من القضايا المعاصرة التي تجذب زوار المهرجانات، لا بل إن بعض المهرجانات باتت تفرد نصيباً وافراً من اهتمامها لهذا الجانب، وتنظّم فيه مخيمات مصاحبة تستقطب آلاف الشباب والفتية ضمن برامج ممنهجة تمتد لأيام، وتربط الجيل الجديد بتراثه، وتنمي وعيه واستعداده لولوج المستقبل عبر ما يتعلمه في مثل هذه المخيمات من دروس ويعيشه من تفاعل مع الخبراء والمبدعين والمثقفين والمختصين.

ولا يمكن إغفال دور المهرجانات التراثية في تنمية السياحة الثقافية وتنشيط الحركة السياحية بل وتطويرها؛ فقد عملت معظم المهرجانات الثقافية على الترويج السياحي لكثير من المناطق في الدولة التي صار الجمهور يعرفها لارتباطها بإقامة فعاليات تراثية في سائر أرجاء الإمارات، مثل مهرجان الشيخ زايد التراثي بالوثبة في أبوظبي، ومهرجان عوافي برأس الخيمة، والشندغة بدبي، وغيرها من الفعاليات التراثية المهمة التي سلطت الضوء على أماكن مختلفة في الدولة، وأصبحت مقصداً سياحياً مهماً يخطط الناس لزيارته ضمن برامجهم السياحية، ويحتل مكانه ضمن البرامج السياحية التي تجذب السياح من مختلف بلدان العالم وأصقاعه، وتعمل على تعزيز التفاعل والتواصل الثقافي للإسهام في إيصال الرسالة الحضارية والإنسانية لدولة الإمارات إلى مختلف شعوب العالم.

عناوين متنوعة ومضمون مشترك

بالرغم من أن المهرجانات التراثية تقام في مختلف أنحاء إمارات الدولة، في المدن والصحاري والواحات، إلا ان لكل منها خصوصيته، فثمة مهرجانات تُعنى بالإبل؛ مزايناتها، وسباقاتها، ومحالبها، ومزادات بيعها، ومهرجانات تختص بالفروسية، وأخرى بالفروسية مع الصيد وكافة مستلزماتها، وهناك مهرجانات عنوانها الحرف الوطنية، وتعنى بمختلف الحرف والصناعات اليدوية والتقليدية، وأخرى تهتم بجوانب من الأدب الشعبي، مثل الرواة الشعبيين، أو الشعراء النبطيين، كما أنها جميعها لا تخلو من فعاليات تراثية مصاحبة تغطي مختلف الجوانب التراثية المرتبطة بالموروث الوطني، مادياً كان أم معنوياً، فتحضر الأسواق الشعبية بدكاكينها التي تشمل مواد العطارة والملابس الشعبية وأدوات الزينة والمشغولات اليدوية والمأكولات التراثية، وتحضر كذلك فرق الفنون والألعاب الشعبية، وتحضر بعض الحرف اليدوية بحرفيها وأدواتهم، كما تحضر بعض الحيوانات التي لازمت الآباء والأجداد لتمكينهم من التأقلم مع متطلبات الحياة في الماضي.

ولم تعد المهرجانات التراثية في الدولة مجرد محفل موسمي، بل غدت جزءاً لا يتجزأ من الحياة العامة لمجتمع الإمارات، إذ تشهد الدولة عدداً كبيراً من المهرجانات التراثية التي يختص بعضها بإحياء كافة عناصر التراث كمهرجان الشيخ زايد التراثي، ومهرجان قصر الحصن وأيام الشارقة التراثية ومهرجان رأس الخيمة التراثي وغيرها، بينما يختص بعضها الآخر بإحياء عناصر منه كمهرجانات الهجن والصقور والتمور وما إلى ذلك من عناصر التراث؛ فثمة مهرجان الظفرة، ومعرض أبوظبي الدولي للصيد والفروسية، ومهرجان ليوا للرُّطَب، والمهرجان الوطني للحرف والصناعات التقليدية في العين، ناهيك عن معارض الكتب. ويتسم تنظيم المهرجانات التراثية نسبياً بالعمومية، حيث تقدم تلك المهرجانات البيئات المختلفة الجبلية والبحرية والصحراوية والزراعية، وما يرتبط بها من مهن وأشغال يدوية تراثية، ما يسهم في تعريف كل من يقطن على أرض الدولة أو يزورها ببيئات الإمارات المختلفة وبماضيها وسبل العيش قديماً فيها ■

مدينة دوز.. الربوة الخضراء

ضياء الدين الحفناوي

تونس الخضراء، هكذا اشتهرت دولة تونس الحبيبه، ومع ذلك، وفي واقع الامر توجد هناك جوانب جمال أخرى في صحرائها الشاسعة وتاريخها الثري بالكثير من الفنون والإبداع على مرّ العصور. وتعد مدينة «دوز ابنة الصحراء التونسيّة وقبلة السياحة الصحراويّة في بلاد المغرب العربيّ، وهي تابعة إداريّاً لمدينة قبلي، وكانت تُعرف باسم المرازيق؛ لأنّ غالبية سكانها تنحدر أصولهم من قبيلة المرازيق، وبطونها، كالشتاوي، والعجامنة، والكمايلية.

اختلف الباحثون في تحديد أصل كلمة دوز، فبعضهم ادعى بأنّها بربريّة وبعضهم الآخر قال إنّها رومانيّة، وفي كلا الرأيين اتفقوا على معنى التسمية في أنّها تعني «الربوة الخضراء». وتسمي أيضاً بـ «بوابة الصحراء» لأنها مرت عبر التاريخ بالعديد من البدو والمستعمرين والغزاة، ويبلغ عدد سكانها 27000 نسمة تقريباً. ويعيش سكانها على الفلاحة الصحراوية وجني التمر وصناعة الجريد وتربية الأغنام والإبل. وتقع مدينة دوز في الصحراء التونسيّة، ذات الكُثبان الرمليّة الذهبيّة، التي تتوسطها واحة كُبرى تَسحر العين، حيث تنتشر حولها أشجار النخيل؛ مما يجعلها أكبر بستان نخيل في تونس. ويحدّها من الغرب مدينة تورز، وتبعد عن جنوب العاصمة تونس نحو خمسمئة وخمسين كيلومتراً. وتتبع لمدينة دوز العديد من القُرى، والتي في معظمها مازالت محافظةً على طابعها التراثيّ القديم في فنّ العمارة، الذي تتميّز به من ناحية البناء. وتعد صحراء دوز مقصداً لمحبيا لأماكن البدوية وللكثير من شركات السينما العالمية، وقد تم تصوير عدد كبير من الافلام العالمية على أرضها لطبيعتها الساحرة.

مهرجان الجمل (المهرجان الدولي للصحراء)

تحت سماء صحراء «دوز» المرصَّعة بالنجوم لا مكان أفضل لاحتضان المدينة مهرجان الجمل ولقد مر ما يقرب من قرن (في عام 1910 بشكل أدق) منذ بدأ هذا الحدث في جو من الاحتفال والبهجة، وتم تنظيمة بشكل رسمي عندما كانت تونس تحت الحكم الفرنسي في عام 1967، ليصبح أقدم وأشهر مهرجان في البلاد. ومنذ ذلك الحين وفي نهاية شهر ديسمبر من كل عام ولمدة أربعة أيام يتدفق آلاف الأشخاص ومعظمهم من جميع أنحاء تونس ودول مغاربية أخرى إلى دوز التي تتحول إلى صورة مصغرة ملونة للعالم العربي، وليصبح المهرجان مرآة تعكس بصدق صورة تونس المشرقة، وموضوع المهرجان الرئيس هو الاحتفال بتراث القبيلة العربية البربرية من المرازيغ (وتسمى أيضاً المرزوقي) وتشارك الدول الصديقة في العروض لتقديم موسيقى ورقصات تقليدية تعبرعن الحياة البدوية والصحراوية لكل دولة باختلاف قبائلها، وتعج مدينة دوز بالحياة والزائرين مع اقتراب المهرجان ويقصدها العديد من السائحين من الدول الغربية المحبين لهذا النوع من الفنون . ويتضمن المهرجان مجموعة فريدة ومتنوعه من المعارض التقليدية والعروض الحرفية، والألعاب البدوية وأيضاً هناك ألعاب ترويض رائعة ومعارك على الجمال وسباقات السلوقي.

ويعد ماراثون المهارة (الإبل البيضاء الرقيقة) أحد المعالم البارزة على طريق بطول 42 كيلومتراً عبر الصحراء وتثبت الإبل البيضاء النبيلة قوتها وقدرتها على التحمل بالإضافة إلى العروض الرياضية والقتالية.

وهناك أيضًا العديد من العروض التي تقدمها فرق الفولكلور التي تؤدي رقصات ومهرجانات من الحياة البدوية. ومن المعالم البارزة الأخرى لهذا المهرجان هو حفل الزفاف التقليدي على جمل وتزف العروس إلى منزل العريس في احتفالية رائعة من الموسيقى والأغاني البدوية وتُنظّم فيه فعاليات شعريّة من مختلف أنحاء العالم وهي واحدة من أهم فقراته وهي العكاضية الشعرية التي يتم تنظيمها طول فترة المهرجان، وهو خيار يرمي إلى إطلاق العنان للشعراء من داخل تونس وخارجها للابداع حسب ما يعن لهم من تفكير على حد تعبيره لتتجسد مقدرتهم الذهنية والفلسفية في كتابة قصائدهم ■

جائزة طاغور

شعر: **د. شهاب غانم**

طاغـــور يـــا أيها الصوفيُّ تمنحني
للسلـــمِ جائـــزةً والشعـــر والأدبِ

لـوكنتَ حيّا لسرنا فـي الدروب معاً
نمجـــد اللـــه فـي ناسٍ وفي كتبِ

هل كـنت تعرف أن اللـه خالقنا
فردٌ له المجـد في هنـدٍ وفي عـربِ

بل في شعوب الدني في الكون قاطبةً
وفي السماوات والأرضيـن والشهبِ

وأن أسماءه الحسنى قـد اشتملت
على السلام، وأهل الظلـم في حرَب

يسعون للقمع والطغيان في صلفٍ
تبًّت يداهـم كما أيـدي أبي لهـب

والمقسطـون لدى الرحمن منبرهم
نـورٌ، كما في أحاديثٍ لخـير نـبي

طاغورُ يـــا أيهـا الصوفي يجمعنا
حـب السلام وكره الظلم والكذب

والحـــب يجمعنـا والشعر يطربنا
لو أدرك الناس ما في الشعر من طربِ

كرمت باسمك يا طاغور حـــين رأى
أتباعك الغرّ ما في الشعر من نسبِ

عمار علي حسن.. يصارع عدسات الكاميرا والفيلم بالقلم!

1000 نافذة لغرفة واحدة.. جولات بين الطبيعة والطبائع

محمد عبد العزيز السقا

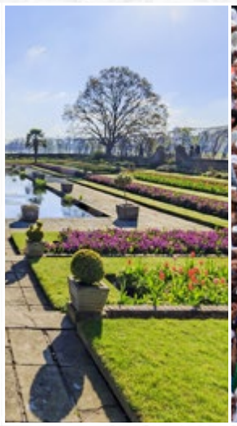

عمار علي حسن.. يصارع عدسات الكاميرا والفيلم بالقلم!

1000 نافذة لغرفة واحدة.. جولات بين الطبيعة والطبائع

محمد عبد العزيز السقا

كالثمار اليانعة جاءت الكتب الحائزة على جائزة ابن بطوطة لأدب الرحلة هذا العام، ما جعلني أبادر لأحمل للقارئ العربي شيئاً من جناها الذي دنا، فاخترت من فرع الرحلة المعاصرة كتاب للباحث الدكتور عمار علي حسن، والذي تأطر عنوانه «ألف نافذة لغرفة واحدة»، وفي سياحتي مع العنوان ثم الكتاب، أكاد أتصور العالم غرفة واحدة نعيش فيها جميعاً إلا أن لها ألف نافذة، ماذا لو تبادلنا النظر من تلك النوافذ؟ جولات في الطبيعة، وهذا هو الفرع الجديد بالنسبة للباحث، أما الطبائع فقد سبق وابتلاها بكتابات مطولة في علم الاجتماع والسياسة، وخبرها بدراسات مكثفة، جاءت طبعتها بارزة على سطور كتابه الأول في أدب الرحلات والسفر، وقد بسط فصوله من دون وحدة زمنية، إذ شدّه على مسطرة ممتدة عبر سنوات تنقل فيها الكاتب بين المدن، أو إن شئت فقل: بين النوافذ.

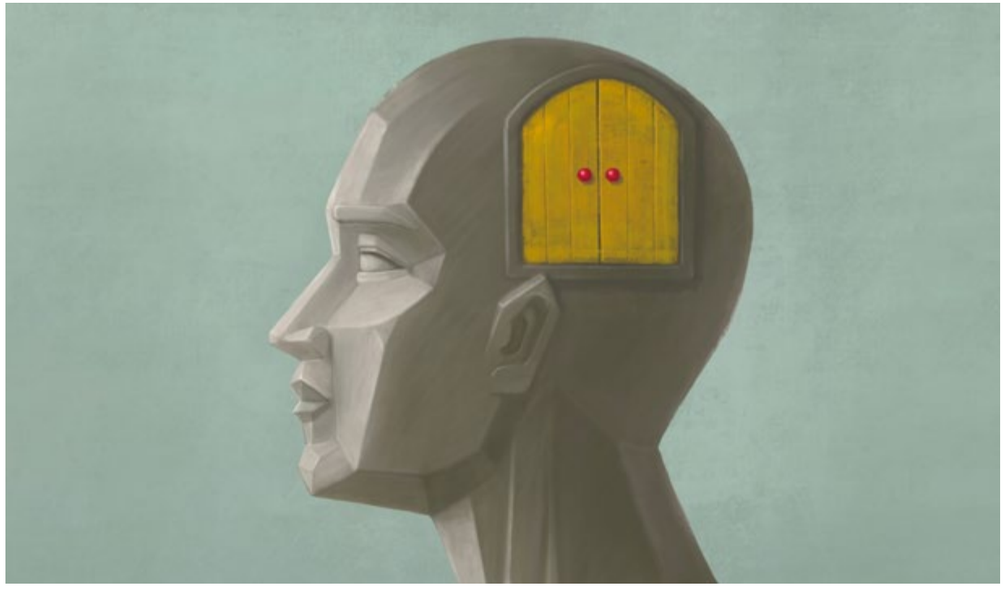

وكما إن الصحراء تصبغ أشجارها والدروب تشي بالمدن، فإن الطبيعة التكوينية للكاتب قد صبغت الرحلة، فلم تخل من طرائق الراوي، وسرد القاص الذي أتقنه عبر كتابات كثيرة في مجال الرواية والقصص، ولم تجاف منهجه الاجتماعي في تحليلاته الرصينة إلا أن التحدي الأكبر يمثل في مدى قدرة الكاتب على التلبس بحالة الرحالة التي أهم ما يميزها هو العين البصيرة التي تلتقط مالا تراه أعين القاطنين في الديار، فهل ستنجح الرحلة في ملء هذا الإناء؟ هذا ما ستتكشف عنه السطور التالية، بداية الكاتب مكشوفة على النفس منذ اللحظة الأولى فهو يشرح ذاته المرتحلة فيقول: ... ولأني امتلأت في زمن مبكر بأفكار الإسلام عن الرحمة والتعارف، وتصورات غاندي عن اللاعنف، ونداء كانط بالسلام الدائم، والتقارب الكبير بل التطابق أحياناً بين الموروث الشعبي للأمم من أساطير وأمثلة وحكم، فقد كنت معنيًا في ذهابي إلى البلاد بالبحث عما يجمع بين الناس، في الأفكار والطقوس والملامح والتحايل على العيش، والكفاح في سبيل تحسين شروط الحياة. كنت أبحث في سفري عن المؤتلف بين الناس، وعن الاختلاف الذي يصنع التنوع الخلاق، وعن كل ما يجذب الإنسان بعيداً عن الغابة، التي يعمل مغرضون ومهوسون على أن نظل هائمين في أدغالها بحثاً عن الفرائس. وتظل مشكلة الكاتب التي صدّر بها رحلته هي: كيف يمكن للقلم أن ينافس الكاميرا والأفلام والعدسات التي صارت تجوب الشوارع، توثق كل صغيرة وكبيرة وتلتقط المشاهد والحكايا؛ تزاحم بها الكتب! وتنافس أدب الرحلة الذي كان حكرًا على القلم. فهل ينجح القلم في صراعه مع العدسة؟ والإجابة حكراً على القارئ أتركها له وهو الحكم.

وجوه في باريس ونهر السين بكر للرائين

هنا تضع الرحلة قدمها على الطريق الصحيح، وتسافر الصفحات إلى فرنسا وهناك في مطار «شارل ديجول» تنقلنا الرحلة إلى التصوير من خلال الكتابة:

... اقتحمتني الوجوه، فرأيت فيها كل السحنات التي يعرفها جيدًا المختصون في دراسة الأعراق والنحل والملل، التي يمكنها أن تتبدى على الملامح والأزياء والنظرات الثاقبة، معلنة عن اختلافها، لكن ها هي تذوب، ولو مؤقتًا، في صالة المطار الوسيعة المتشعبة الذاهبة إلى حيث نقاط الانطلاق إلى باريس.

الرحلة مطعمة بالنصوص الروائية والسرد والحوارات التي لا تخلو من حكمة وطرافة..

.. عندما سألت أحدهم، وأنا أضحك: . ما هي باريس؟

بادلني الضحك وقال: . كل شيء إن أردته. تعجبت من إجابة حسبتها في أول الأمر شيئًا من عفو الخاطر يراد به أن أصمت، ثم تبين لي أنها لم تفرط في شيء. وقلت لنفسي: . أعيش باريس كما أرادت.

تلتقط الرحلة المشاهد البانورامية في باريس، مع مقارنة ومقاربة بينها وبين الشوارع في مصر، سيدة تحمل كيسًا من بلاستيك مقوى، عائدة من السوق، تجري لتلحق بالحافلة التي كانت محطة توقفها على مقربة من المقهى. مجهدة، وما في يدها يثقل خطواتها، لكنها مصرة على اللحاق بالحافلة، وكأنها واحدة من نساء بلاده

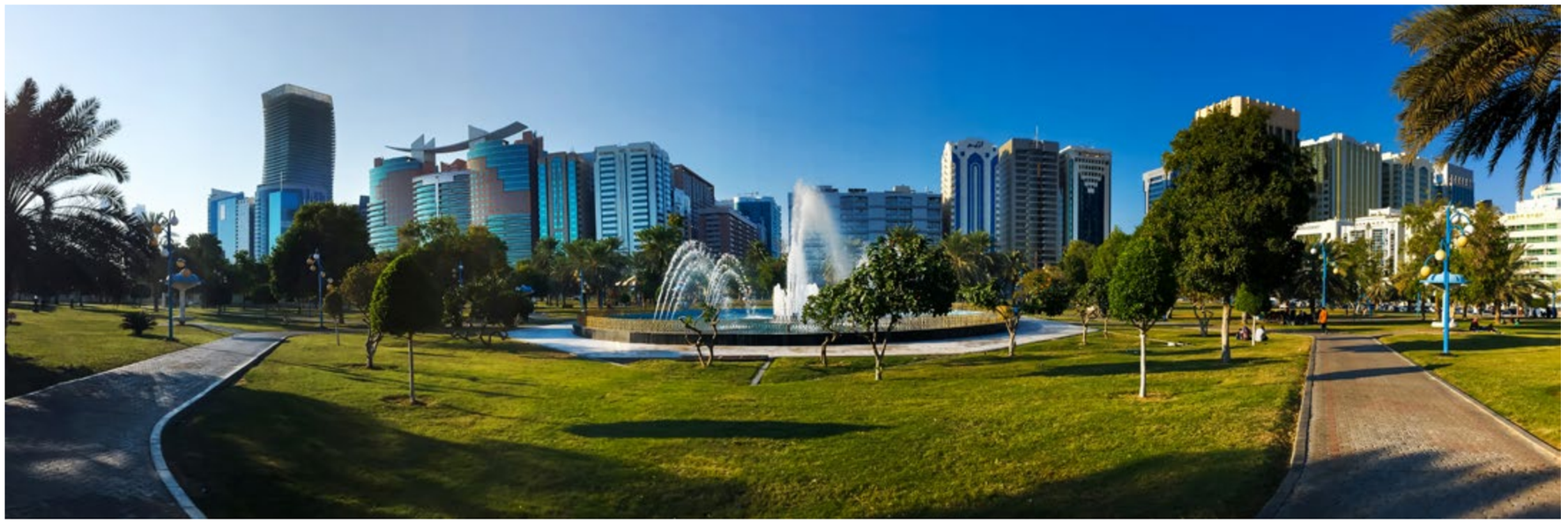

ليس في جيبها سوى ثمن تذكرة آخر رحلة يومية ذاهبة إلى حيها البعيد.

موسيقى وألحان في تركيا

في فصل آخر أو نافذة أخرى تحملنا الرحلة إلى تركيا، ليكون الشاهد الأول هو اللحن والموسيقى والغناء، ويقارنها بالموسيقى اليونانية العريقة ثم لا يلبث أن يضم للمقاربة موسيقى القصبجي التي تلتصق بالذاكرة، وكيف تبقى الموسيقى جسرًا بين النفوس تصلح ما تفسده السياسة والصراعات.

إندونيسيا: سرير عبد الناصر، واسلام ذو وجه حسن

تنتقل الرحلة إلى إندونيسيا شرقاً، ليطلعنا الكاتب على حوار في فندق به سرير نام فيه جمال عبد الناصر الرئيس المصري الأكثر جدلًا في العصر الحديث، يشاهد الناس الذين وصفهم بأنهم بسطاء مقبلين على الدنيا بصدور رحبة رغم رقة أحوالهم. وبنات يركبن دراجات بخارية، ولا يؤذيهن أحد بكلمة خادشة للحياء أو نظرة فاحصة. إسلامهم لا يلغي الآخر ولا يتعصب لمعتقده.

هنا لندن ..أصل الحكاية

من تلك الكلمة التي سمعتها أجيال سابقة على مدرا عشرات السنين ينطلق بها المذياع كل صباح، يوم كانت إنجلترا حديث الناس وإذاعة «بي. بي. سي» التي كان الناس ينتظرونها ليعرفوا أخبار ما يجري في بلادهم لأن أصل الحكاية في لندن. وعلى موعد مع الحرية والمساواة تمضي كاميرا الرحلة (القلمية) لينتصر القلم على الكاميرا في توثيق بليغ أترك للقارئ الشغف بقراءته في سطور الرحلة، إلى حديقة «الهايد بارك» التي يقصدها الناس للتعبير عن آرائهم في السلطة وأحوال البلاد كما يقصدها العشاق وأهل اللوعة والحنين.

الامارات: مشهدان

أبطأتُ القراءة عندما فتحت الرحلة نافذة الإمارات، والتي تكمن أهميتها في أنها توثق أول تجربة سفر للكاتب خارج مصر هذا من جانب، ثم من جانب آخر هي تؤرخ لنهاية العقد الأخير من القرن العشرين، من عام 1998م، وأكثر ما يستقر في مقابلة عين الرائي من نافذة الكتاب مشهدان، الأول بيت قديم يسمى «شعبية»، قبل أن تتمكن الدولة الفتية من أن تبني للمواطنين بيوتًا أحدث، يحكي الكاتب قصة باكستانيين، يعيشون جماعة في هذا البيت البسيط، يوزعون ساعات نومهم على مدار اليوم، ثلاثة على كل سرير، لكل واحد ثماني ساعات، ثم ينهض لعمله ويترك مكانه لغيره، الأمر الذي استدعى أن يفكر في عمل رواية عن هذا المجتمع المتعاون في زمن التناحر، في بلد ينحاز حاكمه إلى حق الناس في كل شيء. كانت أيام الشيخ زايد، الذي اتفق عليه العرب. والثاني أشجار وبسط النجيل في حديقة «الخالدية».

تمضي الرحلة في وصفها على لسان الكاتب:

«لم أشعر أبدًا أنهم غرباء هنا، فوجودهم في مكان واحد أشعرهم بالدفء، والمدينة التي فتحت لهم ذراعيها واحتضنتهم بين ذراعيَّ

أرزاقهم الشحيحة، وهم اطمأنوا إلى القواعد التي تحكم ما بينهم، وتحدد علاقتهم بما ومن حولهم، فأخلصوا لهذا التجمع الجميل الذي حوى كل هذه الأجساد والآمال والتطلعات، التي كانت هشة، ثم لم تلبث أن امتلكت قدرة على البقاء والاستمرار في الكدح. أدركت بمرور الوقت أنهم ليسوا سوى تجمع من ضمن تجمعات أخرى موجودة في هذه المدينة، بوسعها أن تفعل ما شاءت، طالما أنها لا تخالف القانون.

إنها تعددية التجاور، التي قد لا تسمح بالامتزاج والتفاعل المتناهي، لكن السياق الذي تتحرك فيه، والقوانين التي تحكمها، وطبيعة البيئة الاجتماعية، تسمح لها بهذا الوجود، وهذه الأدوار.

في دبي مختصر المجتمع العالمي

بعد وقت قصير يعلن الكاتب أن هذا التعدد مفتوح على مصراعيه في مدينة «دبي» التي بدت له بعد عدة زيارات لها، وتدقيق النظر إلى أحوالها الاجتماعية والثقافية، لتبدو له وكأنها مختصر المجتمع العالمي، في أيامه الراهنة، وهو ما يرتب على من يدبر أحوالها ضرورة تفهم كل هذا التنوع الرهيب، ومدى ملاءمته للحال وما مضى والمآل.

في مكة ألقي الجسد وهامت الروح

أختم قراءتي للرحلة، وأعتقد أن مشاعر الكاتب قد غلبته، عندما بدأ حديثه عن رحلته إلى السعودية، ولا عجب، فهو الصوفي في كتاباته، ورواياته، حيث لم يطلعنا على الكثير من المشاهدات في الطرقات والشوارع ولعل هذا ما يؤخذ عليه، لكن يغفر له جلال اللحظة الروحية في رحاب الحرم، التي وصفها برقة وعذوبة، وحول الكعبة أصناف من البشر، جاءوها من كل فج عميق، اختلفت الأعراق والألوان واللغات واللهجات والجهات والطبقات، لكن توحدت الغايات والطقوس وعاش الكل إحساسًا بأنه في مكان قريب من الله، فألقى الرحالة جسده بينهم، وهامت روحه معهم، يلهج بالتلبية، ويشير إلى الحجر، تنهمر كل الصور القديمة التي يحكيها الناس عن المكان على مدار مئات السنين، لينتهي الأمر أمام حلاق باكستاني، ضرب مقصه في شعورهم فقصرها كثيرًا.

ختامًا:

بجدارة استحق الرحلة جائزة الرحلة المعاصرة، من نافذة لندن إلى شباك ألمانيا، ثم نافذة على دمشق، ثم إلى المناظر الخلابة المغرب، والنيل بكرًا في السودان وسابح لا يغطس على ظهر البحر الميت، ونظرة إلى الشوارع الخلفية لقاع المدينة في المنامة، ثم نافذة على نقطة قامت منها مدن مثل أبوظبي إلى وجبة شعبية في الكويت وسؤال عن أصل المتاهة في بيروت، ثم جبال عالية وبيوت خفيضة حول البيت العظيم في مكة، ومنها إلى أبراج دبي المناطحة للسحاب، نزولاً إلى المقهى الذي يشبه أمثاله وسط القاهرة في حي باب واقف بالدوحة، والقصر القديم الذي يشبه مطعماً في مكناس، والبيوت التي قدت من جبل في صنعاء، وكل شيء في القاهرة والإسكندرية من أيام الفراعنة وحتى زماننا، ثم حدائق بابل المعلقة، وآثار الرشيد في بغداد، وصلاة في المسجد الأموي بدمشق 1000 نافذة لغرفة واحدة، البشر هم البشر والمعاناة هي المعاناة والنجاحات تبقى جزاءً لمن اجتهد والسلام لمن سلم والأمان لمن اتحد ■

عمار علي حسن: هو روائي وباحث في علم الاجتماع السياسي، من مواليد المنيا 1967، تخرج في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية . جامعة القاهرة، ويحمل درجة الدكتوراه في العلوم السياسية، وهو متفرغ للكتابة منذ عام 2010. صدرت له روايات: «خبيئة العارف» و«بيت السناري» و«جبل الطير» و«باب رزق» و«السلفي» و«سقوط الصمت» و«شجرة العابد» و«زهر الخريف» و«جدران المدى» و«حكاية شمردل» و«آخر ضوء» و«صاحب السر». ودراسات أدبية: «النص والسلطة والمجتمع: القيم السياسية في الرواية العربية» و«بهجة الحكايا: على خطى نجيب محفوظ» و«أقلام وتجارب». وتراجم: «فرسان العشق الإلهي». وكتب في الاجتماع السياسي. حصل على عدة جوائز منها «جائزة الدولة للتفوق» و«جائزة الشيخ زايد للكتاب» و«جائزة اتحاد كتاب مصر في الرواية» و«جائزة الطيب صالح للإبداع الكتابي (مرتان) في الرواية والقصة القصيرة، وجائزة جامعة القاهرة في القصة، وجائزة هزاع بن زايد في أدب الأطفال، وجائزة أخبار الأدب في القصة، وجائزة القصة والحرب. وأخيرا جائزة ابن بطوطة لأدب الرحلة.

أبواب امرأة العزيز

عبد الفتاح صبري
كاتب مصري مقيم في الإمارات

سنلاحظ أنه ليس باباً واحداً، بل أبواب، «وغلقت الأبواب وقالت هيئت لك». المفترض أن الباب الواحد في المكان أو الغرفة هو للستر وحجز الجسد والعين عن الداخل. الوظيفة الأساسية هي المنع والصد والحجز، ولكن في قصة سيدنا يوسف عليه السلام، قيل باب واحد وقيل سبعة أبواب، باب تلو باب لتكون أكثر عزلة وأماناً، فهل للمكان الواحد أكثر من باب؟ مثلاً في أكثر من جهة؟ هذا احتمال، أم أن حجرة اللقاء كان الوصول إليها عبر دهاليز أو طرقات ولكل دهليز أو طريق باب، وإغلاق كل الأبواب تأكيد على العزلة وعلى إفراغ مكان اللقاء من احتمال التلصص؟ «وغلقت الأبواب»، ربما صيغة مبالغة لإشاعة الطمأنينة في النفس الملتاعة من المفاجأة، بأن الأبواب أو الباب قائم بمهمته في المنع والحجز والإغلاق. والإغلاق هنا مؤكد حتى يغلق القلق ويمنعه. «وغلقت الأبواب»، أي حركت المغلاق الذي يغلق الباب، وغلقته هنا للتكثير إذا أغلقت أبواباً كثيرة، أو أغلقت باباً واحداً مراراً، أو أحكمت إغلاق الباب، ومن جمال اللغة وبلاغتها أن غلقت الأبواب أي أحكمت إغلاق الباب الواحد بكل رتاج متاح.

المهم أن الباب لما أغلقته امرأة العزيز أو الأبواب لما أغلقتها قامت الأبواب بوظيفتها المطلوبة، وحجزت الخارج عن الداخل، وعزلت أهل الداخل عن الخارج وأهل الخارج عن الداخل. الأبواب المادية أبواب من الخشب أوربما من أي مادة أخرى معدنية مثلاً لما تدور حول نفسها، وحولت الداخل إلى مكان مصمت معزول لا يمكن للأذن أن تخترق ولا للعين أن تسترق لكشف الحركة أو الصوت أو أي مشاهد لبشر الداخل الذين تجمعهم لحظة فريدة وعصيبة وعصية على التحقق لأن هناك أبواباً أخرى معنوية انفتحت في قلب ويقين سيدنا يوسف جعلته مكشوفاً لنفسه، وعلم لما انفتحت أبواب النور له أنه مكشوف إلى الله.

ورغم أن الباب أغلق بأحكام من قبل امرأة العزيز، أو أنها أبواب وأيضاً غلقت بأحكام، هذا الإغلاق للباب أو الأبواب هيأ لامرأة العزيز الطامعة بيوسف عليه السلام كي تأخذ منه ما لا يحق لها بإغلاق الأبواب أو الباب بقصدية فائقة، وبراعة شديدة فيها أحكام شديد ومتين يصعب على الآخر أي آخر فتحه أو اقتحام المكان عبر الباب الموصد بإتقان وأحكام، وهذا الإغلاق الذي تبغي منه امرأة العزيز التي هامت بحسن وجمال سيدنا يوسف عليه السلام، أن تأخذ منه ما تريده بلا شرعية أو سند ومسوغ قانوني شرعي ومجتمعي مقبول، فلجأت إلى الباب وإلى الخديعة ولتغدر به وتقدم نفسها في ظل أمان مصنوع سببه إغلاق الباب، وفي ظل طمأنينة سادت المكان الذي أصبح بفعل باب امرأة العزيز معزولاً عن الخارج وعن إجمالي المكان الأعم والأشمل، القصر، أو الدار الكبيرة والتي تشكل الآن سياجاً بينها وهذه الحجرة وما بها فأصبحت في أمان، ومنقطعة عن الكتلة الأكبر سمعاً وبصراً، ورغم هذه الطمأنينة وذاك الهدوء والسكون والانعزال والعزلة التي أضفاها باباً مغلقاً بأحكام شديد ودهاء المفاتيح وقوة المزاليج، وأنه أي الباب أصبح مكملاً لجدار صامت عازل مؤمناً من بالداخل، لأنه أصبح سياجاً عازلاً ضاماً لما لا يراد أن يرى أو نسمع نأمته أو حتى جلبته الداخلية، لكن سيدنا يوسف لم يهره هذا الإغلاق ولم يسعده أن تغلق الأبواب، ولم يفتح لمغاليق نوره أبواب لتسريب هذا النور أو الانحلال من نور الإيمان وقوة الصبر والتحمل، وإغلاق مكامن الشيطان، فلم يعني له هذا الإغلاق سوى الإصرار على ألا يفتح مسارب للشيطان، وسرى الانفتاح الأعظم على نوره الداخلي الرابط بينه وبين خالقه ليكون دافعاً وحاسماً في طرد أوهام الإغلاق الكاذبة وطمأنينة العزل الخادعة، وأن ما وفره الباب من رضا وسكينة وهدوء، هو فقط لأصحاب النفوس الضعيفة بوهن الأخذ الكاذب والتي تتحصن بباب، وتلجأ إلى المغاليق وإسناد الباب بالمزاليج لتوفر لنفسها دفء، وتبحث عنه في كذب خديعة سكون هي التي توهمته وهيأته، حين اعتقدت أن إغلاق الباب بإحكام سيفضي بها إلى التنعم بما أرادت، وأن لجوءها لباب يوفرلها الحماية المستمدة من خديعة الشيطان كان سلاحاً ذا حدين، إذ جعل منها أكثر استهاماً بما

تريد، ويوسف عليه السلام أكثر رفضاً لما تصورته وأعمق إيماناً بما عنده من نور ينسرب إلى أبواب قلبه المتصلة برحمة الرحمان ونوره وملاذه كي يظل على إصراره وعلى عزيمته.

ولما فتح الباب وجدت خلف الباب مباشرة سيدها أي زوجها الملك العظيم الذي كل من في المكان والبلاد يخضع له ويأتمر بأمره «فألفيا سيدها لدى الباب»، واقف عند الباب من الخارج، أي أن هذا العظيم ولا أحد ممن حوله من مساعديه أو حاشيته لم يسمع جلبة الداخل ولا صوت المرأة التي تراود آخر عن نفسه، وهي امرأة العزيز نفسه الذي يقف بالباب المفتوح، وهذا يعني أن الباب كان عازلاً ومحكم العزل ويقوم بوظيفته تماما لم يسمح بالصور أو الصورة تنسرب منه لتشيع خارجه بما يدور وراءه أو خلف صمته، أووراء بنيانه المانع والعازل.

الباب الذي كان موصداً على مكان، يجمع بين متناقضين في الهوى والسلوك والمشاعر، ظل حافظاً على كل ما يحدث من تجاذبات في القول وفي الرغبات المتنافرة بين الإقبال بهوى والابتعاد بإصرار بين الرفض الواضح المتيقن والقبول برغبة عارمة، كل ذلك لم يفضحه الباب الموصد استكمالاً لوظيفته، ولما أنيط له من خلال الإغلاق الكتمان ومدارة وإخفاء، ولكنه لما يفتح فإنه يكون في حل والوظيفة تتبدل إلى النقيض تماماً وتصبح عكسية، فالفتح ضد الإغلاق والإغلاق يمنحه جواز التكتم والتستر وحفظ حال الداخل والحفاظ على ما في سريرتهم إن أبدوها، وظاهرهم المكشوف لبعضهم من دون إطلاع الآخر خارج الباب وعبره، لأن وسيلة الباب لن تمكن هذا الآخر لأنه مأمور أن يغلق وأن ينغلق على الأسرار وعلى الخصوصية، وعلى حالة من بالداخل ووضعيتهم، ولكنه في حالة الانفتاح سواء كان سلساً أو بأوامر طبيعية أو عنوة، مثل ما هو حاصل في حالة امرأة العزيز التي غلقت الأبواب من دون إرادة من سيدنا يوسف «واستبقا الباب» سيدنا يوسف يحاول أن يسبق ليفتح الباب هروباً مما يراد به، وهي تحاول تمنعه للرسوف وتحقيق ما تريد.

سيدنا يوسف لجأ إلى الباب الموصد ليثنيه عن حالة الإغلاق والتي تداري حالته وما يحدث في المكان أو له، فلجأ متوسلاً إلى الخروج من الباب ليخرج من اسار العزلة المفروضة عليه والاضطراب الحادث في المكان إلى رحابة الخارج والأوسع، لفضح هذه التي تريد أن تأخذه عنوة أو تغريه بالاستسلام اللجوء إلى الباب سينجيه وسيخرج من الحصار المفروض عليه.

والباب المفتوح أو لما يفتح ستنفتح كوة تصل الغرفة التي كانت معزولة عن الخارج، وسيخرج من الحصار المفروض عليه من خلال الإغلاق للباب أو الأبواب، وفي الخارج حين ينفتح الباب وينسرب منه إلى رحابة النور ستغمره حالة من الأمان له، لأنه سيسمح للخارجين بالنظر إلى الداخل فيكون هذا رادعاً لمن أراد به سوءاً، وأن الخارج سيكون ملاذاً وأماناً وطمأنينة لسيدنا يوسف تخلصه من خديعة المكان المغاق وإسار ما يراد له من رزيلة، أو الاتيان بمنكر لا يرتضيه لأنه ضد إيمانه ونوره الذي يمتد إلى عمار بينه وبين الخالق سبحانه وتعالى، ولما فتح الباب وجد سيدها الملك وبهذا تحقق الفرارله وتخلص سيدنا يوسف عليه السلام بفتح الباب من مأزقه، ومن ربقة المكان، ومن خديعة إغلاق الأبواب، ومن مكر امرأة العزيز التي تحتاج الخطيئة لجنونها بهذا الجمال الإلهي الساحر، ولذا فإنها توصلت بالباب ليكون أداة عزل وتمكن لها ولرغباتها وإرادتها، ولكن الباب المغلق لم يهيئ الأمان والطمأنينة إلا لها من دون تحقيق لرغباتها ■

في ذكرى رحيله العاشرة

أحمد راشد ثاني ناقداً مسرحياً

عصام أبو القاسم

تمر في العشرين من الشهر الجاري (فبراير) الذكرى العاشرة لرحيل المبدع الإماراتي أحمد راشد ثاني، الذي عرف شاعراً لا سيما في سنواته الأخيرة ولكن بداياته كانت مسرحية؛ فأول نص نشره في الصحف كان نصاً مسرحياً «الواق واق» 1979، وهذا النص الذي نشر متسلسلاً في جريدة الفجر فتح له أول مهنة مارسها (الصحافة). ومما رواه الراحل، عن طفولته والمؤثرات التي توجهت به إلى سكة الإبداعي، يمكن رؤية «أبو الفنون» في صميم تكوينه الثقافي، وحين كان طالباً في جامعة الإمارات مطلع ثمانينات القرن الماضي، أسس فرقة المسرح الحر، إلى جانب آخرين، ولعل أخصب سنوات عمره ككاتب مسرحي مرت خلال ذلك العقد والسنوات الأولى من العقد التاسع، حيث كتب مسرحياته المعروفة، مثل: «صراخ»، «الأرض بتتكلم أردو»، و«الأرض سؤال»، و«قفص مدغشقر»، «العب وقول الستر»، و«راشد الخضر».

وعلى هامش انشغاله بالتأليف المسرحي، كان أحمد راشد ثاني يسجل وينشر، هنا وهناك، بعض الملاحظات النقديّة طارحاً أسئلة حول صلة المسرح المحلي بمجتمعه، وحول حساسية مخرجيه في تفاعلهم مع الواقع، وتوجهات كتّاب نصوصه ومنظورهم إلى الحاضر، ودور المؤسسة الرسميّة في ترسيخه، وتأثير أجهزة الإعلام على حركيته، وغير ذلك. وهذا المقال يسعى إلى تسليط الضوء على جانب من تلك الملاحظات، محاولاً استكشاف وإبراز ما انطوت عليه من رؤى وتأملات حول تجربة المسرح الإماراتي في تلك المرحلة، والمأمول أن يساعد ذلك في تحقيق جملة من الأهداف، أبرزها: بلورة إطار أولي لجهد أحمد راشد ثاني في مجال النقد المسرحي، وتشكيل رؤية لجزء من تاريخ المسرح الإماراتي من منظور ذلك المثقف الذي عُرف برؤيته العقلانية وحسه النقدي الساخر والمتهكم، و؟؟؟ ومتى ما كان ذلك ممكنا: سوف يتتبع هذا المقال ما كتبه أحمد راشد من ملاحظات نقدية بشكل رأسي، أي من الأقدم صعوداً إلى الأحدث، لعل ذلك يسهم في استيعاب المسار التطوري ليس لوعي الناقد الراحل فقط ولكن أيضا لمسيرة الحركة المسرحية، من البداية إلى الامتداد.

عرض وتقييم

لم يكن أحمد راشد ثاني قد بلغ سنته العشرين بعد عندما بعث رسالة إلى مجلة الأقلام العراقية ناقلاً ومقيّماً أجواء احتفالية «اليوم العالمي للمسرح» التي أقامتها وزارة الإعلام الإماراتية في شهر مارس من ذلك العام، واستمرت الاحتفالية لأسبوعين وعرضت فيها ثلاث مسرحيات هي «7/ صفر» لفرقة مسرح الفجيرة، و«أشواك على درب الفرح» لفرقة مسرح خورفكان، و«الرجل الذي صار كلباً» لفرقة مسرح الشارقة الوطني (أنظر: مجلة الأقلام، السنة 16/ العدد07/ يوليو1981). والمظهر البارز للأداء النقدي في تناول أحمد راشد ثاني لتلك التظاهرة تمثل في أنه عمد إلى تقديم معلومات ببلوغرافية حول المشاركين في تلك العروض من مخرجين وممثلين وكتّاب، من ثم راح يسرد مضامين الأعمال التي قدمت ويناقش حلولها التقنية ولكن ما يلاحظ على طريقته في مقاربة تلك الأعمال أنه اعتمد منهجاً ينظر إلى العمل المسرحي باعتباره أجزاء منفصلة وليس بوصفه وحدة واحدة متكاملة، إذ نجده يقسم العمل إلى فقرات عدة ويتناول كل فقرة على حدة، فثمة فقرة «النص»، ثم «التمثيل» فـ«الإخراج»، إلخ. وهي طريقة في النظر النقدي لعلها كانت سائدة خلال تلك الحقبة ولكنها إشكالية في تقديري، فهي إذ تفصل في قراءته للعرض المسرحي بين النص والممثل والإخراج فأنها تغفل أن كل ذلك من صنيع المخرج. أيا يكن من أمر، عند تأمل التعليقات التقييمية التي سجلها أحمد راشد ثاني في هذه المقالة يلاحظ أنها جاءت في تعبيرات اصطلاحية، مثل الحبكة والصراع والحدث، وهو ما يدل على إلمام هذا الشاب بالمعارف المتصلة بالفن المسرحي برغم من أنه لم يكن منتسباً لمعهد مسرحي في ما نعلم؛ ولننظر إلى ما قاله في تقييمه لتجربة سليمان جاسم في كتابة نص «7/صفر»: (هذا النص أول عمل للكاتب الناشيء سليمان الجاسم، وظهر سليمان من خلال النص مؤلفاً ملتزماً يهتم بالمضمون إلى جانب الشكل ويعرف كيف يرسم الحبكة الدرامية.. متمكناً من تحريك وإدارة المسرح وإرادة الصراع وتطوير الحدث عبر فصول المسرحية.. ثم الرمز الذي ظل محافظاً عليه من أول المسرحية إلى النهاية). وفي تناوله نص المسرحية الثانية يُظهر أحمد راشد ثاني مزاجه النقدي الرافض للأفكار الفنية النمطية أو التي لا تخرج عن دائرة المألوف والمتوقع في ما تتناوله من موضوعات وقضايا - وهو أمر يلاحظ حتى في مقالاته التي كتبها لاحقاً - إذ وصف النص الذي كتبه «الأمين جماع» تحت عنوان «أشواك على درب الفرح»، وتطرق من خلاله إلى موضوع غلاء المهور بأنه «نص محدد وطرحه تقليدي»، وهو يعرض «أسباب المشكلة من جانب واحد وهو غلاء المهور..» وما يسترعي الانتباه في تعليق أحمد راشد ثاني حول مسرحية «الرجل الذي صار كلباً» تصنيفه مسرح الشارقة الوطني في تلك الفترة الباكرة نسبياً باعتباره: «أحد المسارح البارزة في الإمارات.. يحاول دائماً تقديم أعمال مسرحية تجريبية من خلال نصوص عالمية وعربية جيدة..».

نحل النقد.. وعسله

في عددها الثاني (صيف 1985) نشرت مجلة الرولة التي كان يصدرها مسرح الشارقة الوطني مقالة لأحمد راشد ثاني تحت عنوان «تظاهرة أيام الشارقة المسرحية بين النحلة والعسل»، وقف من خلالها على تقرير «لجنة التحكيم» دورة تلك السنة من المهرجان التي حجبت جميع الجوائز، امتدح الراحل صراحة التقرير واتخذه مناسبة لإثارة جملة من الأسئلة حول الحركة المسرحية المحلية من حيث التكوين الثقافي للمشتغلين بها وما حضهم على الاشتغال بالمسرح وطبيعة تأثرهم بالتحولات الاجتماعية التي رافقت بدايات مرحلة ما بعد النفط. على ذلك، لعل من الممكن القول إن الجهد الذهني الذي بذله أحمد راشد في هذا المقال يقع في إطار نقد الثقافة المسرحية أو في حكم نقد ظواهر المجتمع المسرحي السائدة؛ إذ عمد أولاً إلى تصنيف العاملين في المسرح الإماراتي إلى فئتين؛ فهناك فئة متطفلة اقتحمت الساحة المسرحية لأن مقر الفرقة المسرحية «مكان لا بأس به لتقضية وقت الفراغ والخشبة منبر للقشمرة مع الربع والظهور والتلذذ بالتصفيق الحاد .. لا بأس أن يتقلد العضو في هذه الحالة شخصيات مستهلكة هنا كعبد الحسين عبد الرضا وأن يرصد أعجاب الصبايا والشلة بهذا التقليد. كما أنه لا بأس

أن تكون العروض طريقاً للتلفزيون والصحافة، ومقر المسرح مكاناً للعب الورق والدومة». أما الفئة الثانية فهي لأحمد راشد ثاني من جنس الفئة الأولى نفسها ولكنها تطورت وتنبهت إلى القيمة الفنية والثقافية للمسرح وصارت تتعاطى معه بجدية. يصف أحد أعضاء هذه الفئة قائلاً «يبدأ العضو في الانتباه إلى كون المسرح أداة فنية معرفية، للتعبير عن تمزقاته ومعاناته وأفكاره وهواجسه كإنسان وأنه في مثل هذه الساحة يحتاج إلى الكثير من الجهد لتأسيس ذوقه الفني وتعميقه معرفياً بالقراءة والتأمل والخبرات المتتالية والمناقشة وربما يدفعه هذا الوازع إلى دراسة المسرح أكاديمياً والتعامل معه كشاغل حياتي ومصيري لا وظيفة ميسرة يمكن أن يربح بها جولته الحياتية أو يحقق طموحاته المختلفة». ويشير أحمد راشد ثاني إلى أن «الصنفان من الممكن وجودهما في كل فرقة إلا أن طغيان الصنف الأول يدفع بخطابه إلى السيادة والتحكم في كل النتاجات، وهذا أيضا مسبب طبيعي إذا ما نظرت إلى طبيعة مجتمعنا ما بعد 1970 وإلى النشاط الثقافي الذي لم يستطع إلى الان أن يؤسس عاداته واتجاهاته».

المثقف الجاد

يضع أحمد راشد ثاني نفسه في الفئة الثانية ولكنه أيضا يسارع إلى القول إن هذه الفئة بدورها لها مشكلاتها التي لا يقل أثرها السلبي على سوية المنتج المسرحي من أثر الفئة الأولى؛ ومشكلات هذه الفئة الثانية / الجادة يحددها في أمرين:

- علاقتها بالتراث المحلي
- علاقتها بالاخر- الغرب.

يعاني أفراد هذه الفئة الثاني - بحسب أحمد راشد - من تحديات فكرية وفلسفية في الأساس تنعكس على طبيعة تعاملهم مع الإرث الثقافي لمجتمعاتهم ومنظورهم إلى الثقافة الغربية، ومن بين ما يفاقم هذه التحديات في رأي أحمد راشد هو: غياب العقلية النقدية المبدعة لما هو معاصر، وتحكم السائد ومؤسساته.

لكن ما السبب في ظهور هذه التحديات؟ يجيب أحمد راشد ثاني قائلاً: «إن التحول الذي حدث في مطلع السبعينات لم يكن تحولاً طبيعياً؛ فإلى جانب انتقال المجموعات السكانية المختلفة الأصول - والتي تعيش على منطقة مختلفة التضاريس وتمارس أنماط عمل مختلفة - مما هو بسيط إلى ما يمكن أن نسميه «حياة عصرية»، تتعرض إلى كل التأثيرات التي يحدثها العالم «المختلف» وهي تأثيرات إن لم تأت على شكل أفكار فأنها ستأتي على شكل تكنولوجيا، وليس من السهل على المجموعات البشرية البسيطة التعامل معها بطبيعية. وخاصة وأن الأمر حدث بما يشبه السرعة الخاطفة..» ونتيجة لهذا التحول الخاطف تخلقت مظاهر اجتماعية اتسمت بـ «بالضعف والمحدودية والتشتت والتسطح ما خلق صعوبة بالغة في امكانية وعي هذه الظواهر ومن ثم التعامل معها» في المقاربات الفنية لا سيما على مستوى الفن المسرحي. وسيعيد أحمد راشد ثاني طرح أفكاره حول التحدي الذي يواجه المبدع المسرحي المحلي/ العربي عندما يحاول التعاطي مع الواقع / الراهن، بعد نحو عشر سنوات في مقال نشرته مجلة «كواليس«التي تصدرها جمعية المسرحيين في الشارقة، إذ قال: «يا ترى لماذا لا يكتب الكاتب المسرحي هنا عن الحاضر، عن الآن؟ بمعنى آخر لماذا تنحو المسرحيات غالباً، بل دائماً، نحو الماضي، ما قبل النفط، متجنبة كلياً المغامرة في قراءة ما يحدث في مجتمعنا اليوم؟ يا ترى هل ذلك عائد إلى الحنين الغلاب إلى الماضي رغم قسوته؟ أم لما يوفره ذلك الماضي من معطيات صراعية، خاصة في الغوص مثلاً؟ هل ذلك عائد إلى أننا الآن، في الحاضر، نشهد تحولات اجتماعية سريعة ومتسارعة بحيث لا يستطيع الكاتب المسرحي تشكيل وعي شبه مكتمل بها؟». ولا يأخذ أحمد راشد ثاني على نصوص مسرح مطلع الألفية الثالثة انغلاقها على التراث فحسب ولكن أيضا قولبتها الماضي وشخصياته في قوالب مكررة وافتقارها إلى الحس النقدي في تعاطيها مع التاريخ «النوخذة المتسلط في السفينة، أو التاجر المتسلط في الحي والصراع معه، انتصار الخير أخيراً، هي بشكل عام التنميطات التي عملها الكاتب المسرحي المتساهل» وهو استثنى في هذا السياق نصوص إسماعيل عبد الله، وناجي الحاي، وجمال مطر (انظر: كواليس - العدد الثالث - مارس 2000م).

وبتأمل ما تسنى جمعه من مقالاته وأوراقه يبدو أن ما كان يشغل الحاسة النقدية لدى الراحل أحمد راشد ثاني أكثر من أي شيء اخر، هو: النص المسرحي. وهو ما سنفرد له المقال التالي ■

تاريخ اللغات الحامية القديمة

راشد سعيد مبارك

اللغات الحامية هي تلك اللغات التي تكلم بها مجموعة من الشعوب الحامية القديمة والتي ترجع في سلاسل انسابها إلى شخصية تاريخية وردت في المصادر التاريخية القديمة على أنه واحد من أبناء النبي نوح عليه السلام يدعى (حام بن نوح) ولقد ظهرت هذه اللغات الحامية القديمة الى حيز الوجود في حقيقة الأمر بعد حادثة الطوفان العظيم. وعليه سنذكر باختصار قدر الإمكان والمستطاع نبذ عامة عن تاريخ هذه اللغات الحامية القديمة وهي كالتالي:

1 - **اللغة المصرية القديمة: وهي تلك اللغة التي تكلم بها المصريون القدماء والمنحدرين من شخصية تاريخية وردت في المصادر التاريخية القديمة باسم (مصراييم بن بنصربن حام بن نوح) في رواية وفي رواية أخرى ورد باسم (مصراييم بن حام بن نوح) . وتجدر الإشارة بان هذه اللغة المصرية الحامية القديمة قد تفرع منها لغة قديمة وهي (اللغة القبطية) وهي تلك اللغة التي تكلم بها الأقباط في مصر وقد جاءت تسمية اللغة القبطية بهذا الاسم نسبة إلى شخصية وردت في المصادر التاريخية القديمة باسم (قفطيم بن مصراييم بن حام بن نوح) وبشكل عام لقد استطاع المصريون القدماء أن يؤسسوا الحضارة المصرية القديمة في وادي النيل وهي تعد في الحقيقة أحد أعرق الحضارات القديمة في التاريخ القديم.**

2 - اللغة الأمازيغية: وهي تلك اللغة التي تكلم بها مجموعة من الشعوب الحامية القديمة القاطنة في منطقة شمال أفريقيا وبالتحديد في منطقة الصحراء الكبرى ابتداء من منطقة غرب مصر (واحة سيوة) وحتى موريتانيا وقد انتشروا أيضا في مجموعة من الدول الإفريقية المحاذية لدول مثل ليبيا والجزائر وموريتانيا. وفي الحقيقة فان هذه اللغة قد تفرعت من شخصية تاريخية وردت في المصادر التاريخية القديمة باسم (فوت بن حام بن نوح) وهو يعتبر أبو الشعوب أو القبائل الامازيغية التي استوطنت المنطقة المذكورة نذكر منها ما يلي:

1 - قبائل الليبو القديمة وقد سميت ليبيا على اسم هذه القبيلة القديمة والتي كانت تقطن أقصى غرب مصر .

2 - قبائل صنهاجة

3 - قبائل كتامة

4 - قبائل زوارة وزناتة وبنو مرين وهوارة ومصمودة والبرانس وغيرها من القبائل الامازيغية الأخرى. ولقد حكمت السلالات الأمازيغية المشهورة بلاد الأندلس والمغرب في العصر الإسلامي مثل المرابطين والموحدين وبنو مرين وغيرهم ايضا

3 - اللغة الكوشية القديمة: وهي تلك اللغة التي تكلم بها مجموعة من الشعوب الكوشية الحامية القديمة والذين ينسبون إلى شخصية تاريخية قديمة وردت في المصادر التاريخية القديمة باسم (كوش بن حام بن نوح) . وبشكل عام قد تفرعت من هذه اللغة القديمة لغة مشهورة هي اللغة النوبية وهي تلك اللغة التي تكلم بها أهل النوبة المنتشرون في دولتين مثل مصر والسودان ومن أشهر لهجات هذه اللغة (اللهجة الدنقلاوية) وغيرها من اللهجات النوبية الاخرى. ومن مشاهير النوبيين في التاريخ القديم رجل يدعى (لقمان الحكيم) وقد اشتهر بالحكمة والصلاح والتقوى في عصره وقد كان من اهل اسوان بمصر وقد ذكره الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم وخصه بسورة هي (سورة لقمان) وقد ذكر أيضا في التوراة لدى أهل الكتاب على حد سواء بالإضافة أيضا الى وجود لغة أخرى متفرعة عن اللغة الكوشية وهي لغة البجا وهي تلك اللغة التي تكلم بها أهل البجا وهم جزء من الشعوب الكوشية القديمة الاخرى في افريقيا وغيرها الكثير في الحقيقة لا الحصر من اللغات الأفريقية الحامية والمنتشرة في جميع دول القارة الإفريقية على حد سواء ■

رسالة رحلة ابن فضلان

عبد الله يحيى السريحي

كان للتجار والرحالة والسفراء العرب الذين كلفوا بمهمات سياسية أو ثقافية أو دينية أو استطلاعية دور بارز في تطور علم الجغرافيا عند العرب، فقد ساح هؤلاء في أرجاء العالم الإسلامي وفي الأقاليم المجاورة له، ووصفوا تلك البلاد وصفًا علميًا دقيقًا قائمًا على الخبرة والمشاهدة، فعينوا حدود الأرض وتقسيم الممالك، ووصفوا البلدان وملامحها الخاصة والمسالك (الطرق) والجبال والبحاروالأنهاروالمعادن والآثار، وضبطوا المسافات بين الأمصار ضبطًا دقيقًا بحساب الأميال والفراسخ، وأحصوا مقادير الخراج ووصفوا أحوال الشعوب والأجناس وعاداتهم وتقاليدهم، وما يتميز به كل شعب من الخصائص النفسية والاجتماعية.. إلخ.

وكان في طليعة هؤلاء الرحالة السفراء: أحمد بن فضلان بن راشد بن حماد الذي كلّفه الخليفة المقتدر العباسي سنة 309هـ بالسفر إلى بلاد الصقالبة، وهم من سكان شمال أوروبا، ويقطنون في ذلك الوقت على أطراف نهر الفولجا Volga River (نهر إتل قديما) وعاصمتهم على مقربة من (قازان) الحالية، عاصمة جمهورية تتارستان في روسيا الاتحادية، في خط يوازي مدينة موسكو، وهؤلاء كانوا قد دخلوا في الإسلام حديثًا، وطلبوا عون الخلافة العباسية في بغداد ومساعدتها، فقد ذكر ابن فضلان أن ملكهم «ألمتن بن بلطوار» طلب إلى أمير المؤمنين المقتدر بالله أن يرسل إليه بعثة من قبله، تفقهه في الدين وتعرفه شرائع الإسلام وتبني له مسجدًا، وتنصب له منبرًا يقيم عليه الدعوة للخليفة في جميع مملكته، وسأله إلى ذلك أن يبني له حصنًا يتحصّن فيه من الملوك المخالفين له، وذكر ابن فضلان أن هؤلاء الأعداء من (الخزر)، وملكهم من اليهود، وكانوا يعتدون على قومه ويفرضون عليهم الضرائب يؤدنها عن كل بيت في المملكة جلد سمور، وابن ملك الخزر يخطب من يريد من بنات ملك الصقالبة ويتزوجها غصبًا، والخرزي يهودي، وابنة الصقلبي مسلمة.. إلخ. وقد استجاب الخليفة المقتدر بالله لطلب ملك الصقالبة فأرسل وفدًا فيهم أحمد بن فضلان (مؤلف هذه الرسالة). وقد وصف ابن فضلان رحلته منذ مغادرته بغداد في يوم الخميس 11 صفر سنة 309هـ، الموافق 21/6/921م متجهًا إلى روسيا مارًا بإقليم الجبال فهمذان فالري (أصبحت الري حاليًا حيًا من أحياء العاصمة الإيرانية طهران في الجنوب منها)، وعبرنهر جيحون، فبلغ إلى بخارى، ثم أوغل في البراري والبوادي حتى وصل إلى الفولغا عند ملك الصقالبة يوم الأحد 12 محرّم سنة 310هـ، الموافق 11/4/922م، واستغرقت رحلة ذهابه أحد عشر شهرًا لاقى خلالها مصاعب جمة وأهوالًا مذهلة، وصف ابن فضلان رحلته وصفًا جميلًا بارعًا، ووصف البلدان التي مرّ بها، ومناخها، وعادات وتقاليد أهلها، وأحوالهم المعيشية، وأزياءهم وطريقة مأكلهم ومشربهم، وأساليب زواجهم، ودفن موتاهم. إلخ. ووصف القبائل التركية البدوية الضاربة في فيافي آسيا الوسطى. وخصّ بلاد البلغار والروس (وهي مقصد رحلته) بالوصف التفصيلي الدقيق، فبالإضافة إلى ما ذكرنا، فقد وصف ملكهم ومراسم استقبال ضيوفه، وتعامله مع حاشيته ورعيته، وتعاملهم معه، ووصف قِصَرَ الليل وطول النهار في تلك البلاد، وحيرته في تأدية صلاة العشاء مع صلاة الصبح، وقرب طلوع الفجر، واستهجن معيشة الروس (الوثنيين) في نمط معيشتهم وقذارتهم، وعبادتهم للتمائم والأخشاب التي يصنعونها بأيديهم، ومعاشرتهم الزوجية المكشوفة على الملأ التي لا يشعرون فيها بحياء ولا عار، ووصف طريقتهم في إحراق موتاهم، وكيف تحرق معهم كذلك زوجاتهم أو جواريهم.. إلخ. وينتهي الموجود من الرسالة، وهو ما يزال في وصف الروس ولا يُعرف تمام رحلته، ولا خط عودته، ولا المدة التي قضاها هناك، لأن المخطوطة الوحيدة للرسالة التي اعتمدت في التحقيق مبتورة من آخرها. مع أن ياقوت الحموي يشير عند نقله عنها في معجمه «معجم البلدان» إلى أنها تامة تشمل وصف رحلته منذ خروجه من بغداد إلى أن عاد إليها.

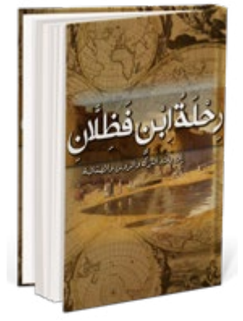

أهمية الرحلة والرسالة:

تحتوي الرسالة على معلومات تأريخية وجغرافية عن روسيا لم تكن معروفة لهم، لأن تاريخ روسيا في تلك الفترة غير معروف، وما يزال غامضًا ومبهمًا في أكثر نواحيه، فلما وقعت إليهم رسالة ابن فضلان فرحوا بها لأنها تسد ثغرة في الحديث عن ماضيهم البعيد، وكما هي مهمة للروس الآن، فقد كانت في حينها مهمة للجغرافيين العرب لأنه أول من وصل إلى روسيا ودوّن رحلته وما شاهد فيها، وظلت حتى عهد ياقوت الحموي (ت 626هـ) مصدرًا مهما عن المنطقة، بل إنها تكاد تكون المصدر الوحيد عند ياقوت في تعريفه لـ: (اتل) و«بلغار» و«باشغرد» و«الخرز» و«الروس». بدأ اهتمام المستشرقين الروس بصفة خاصة، والغربيين بصفة عامة، برسالة ابن فضلان مع بداية القرن التاسع عشر، قبل أن تكتشف مخطوطة الرسالة، فقد جمعوا ما كتبه ياقوت عنها في معجمه، وكتبوا عنه دراسات واسعة، وترجمت تلك النصوص إلى الإلمانية والروسية والفرنسية. وعندما اكتشفت رسالة ابن فضلان لأول مرة في خزانة المخطوطات بمدينة مشهد سنة 1924م، توالت الدراسات والنشرات عنها، فقد نشر العالم التركي زكي وليدي طوغان نص الرسالة بالعربية، مع دراسة وترجمة لها بالألمانية سنة 1939م، وفي السنة نفسها 1939م نشر المستشرق الروسي الشهير اغناطيوس كراتشكوفسكي، ترجمة للرسالة إلى الروسية مزودة بدراسة وافية عن الرحلة وصاحبها، ونشر في آخر الكتاب صورة (فتوغرافية) لمخطوطة مشهد العربية. ولم تنشر الرسالة في العالم العربي إلاّ عام 1961م حيث حققها وعلق عليها المرحوم الدكتور محمد سامي الدهان، ونشرها المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية بدمشق حاليًا)، وقد بذل في تحقيقها جهدًا مضنيًا، لأن مخطوطة الرسالة الوحيدة ناقصة وفيها الكثير من التصحيف والتحريف، وتآكل وطمس في بعض كلماتها نتيجة الرطوبة أو الأرضة، مستعينًا بالمصادر الجغرافية العربية التي نقلت عن الرسالة، وأهمها معجم البلدان، وكذلك بالترجمات والدراسات الأوروبية عنها.

وأعاد تحقيقها الصديق شاكر لعيبي، معتمدا على طبعة سامي الدهان، وصدرت في أبو ظبي عام 2003، عن دار السويدي للنشر ضمن المشروع الرئد لإحياء أدب الرحلات الذي تبناه الأستاذ محمد أحمد السويدي: (ارتياد الافاق)، وتقع في 151 صفحة، وقدّم لها بدراسة مطوله عن ابن فضلان ودارسيه.

مؤلف الرسالة:

كلّ ما نعرف عنه هو اسمه فقط، فهو أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، مولى الخليفة المقتدر، ولم تشر المصادر التاريخية إليه بشيء مع أن رسالته كانت معروفة ومشهورة في أوساط العلماء. والجغرافيين، ويظهر من رسالته أنه كان على قدر عال من الثقافة الدينية، وأسلوب أدبي رفيع، وخلق وورع وحب لنشر الإسلام وصدق في الحديث.. الخ. كما يظهر من أسلوبه في كتابة رحلته. وقد أشاد الدكتور سامي الدّهان محقق رسالة ابن فضلان في مقدمة التحقيق (ص28) ببراعة ابن فضلان في صياغة رحلته صياغة أدبية عالية، فقال: «العجب أشد العجب من هذه الرسالة، يخطّها رجلٌ فقيه، فيجيدُ الوصف على أروع ما يجود فيه الأدباء والشعراء، ويصوّر ما يجول في نفسه من مشاعر الفرح والغبطة والخوف والفزع، فيقربنا من هذه المشاهد التي رأى تقريب أديبٍ أريب، لا فقيهٍ مبشرّ، ولولا أنه ذكر مهمته وشدّ علها وألح على بيانها، لسلكناه في الأدباء والقصّاصين، وذلك لبراعة قلمه وحسن بيانه وجود عباراته». ومما يجدر ذكره أن المسلمين في أوكرانيا خلدوا ذكراه فأنشؤوا مسجدًا باسمه في مدينة دانيسك سنة 1999م، وملحقا به كلية للعلوم الإسلامية لتتولّى تأهيل ونشر مبادىء الإسلام في أوساط المسلمين الأكرانيين ■

«غواية التجريب» موسوعية الرؤية ومساءلة الحداثة

د. حمزة قناوي*

تمثل الكتابة عن «غواية التجريب: حركة الشعرية العربية في مطلع الألفية الثالثة»[1] للدكتور محمود الضبع تحدياً من نوعٍ خاص، فالكتاب موسوعيٌّ بامتياز فيما يخص الشعر، ويكتسب موسوعيته من فحص العناصر الخاصة بتشكلات الشعر الحديث، حيثُ يقدم محاولة حثيثة للوقوف على معطيات المتغيرات في الشعرية العربية المعاصرة، بدءاً من الاشتباك مع هذا المصطلح ذاته «الشعرية»، مروراً بالقضايا التي فرضتها المتغيراتُ في العصر الحديث.

يكتسبُ الكتاب قوته وتماسكه من وصل الماضي بالحاضر، وهي قيمة بحثية تستحق الإشادة والتقدير في الكتابات المعاصرة، لذا يتضح منذ البداية أننا نتعامل مع كتاب له قيمته الخاصة، حيثُ تمثلُ فكرة الاشتباك معه وعرضه تحدياً كبيراً؛ فوفق أي منهج نشتبك معه؟ أتصور أن الطرح الأنسب أن يكونَ التناولُ وفق أهمية القضايا التي يتناولها الكتاب، فعلى الرغمِ من أنه يسيرُ في تدفقٍ منطقيٍّ حول مشكلات الشعرية المعاصرة - أي أنه يحلل الظواهر التي يؤدي ظهورها إلى خلقِ أخرى - فإنني سأتناول، وفق الممكن والمتاح، أبرز ما تناوله الكتاب منها.

كانت أولى القضايا التي تناولها د. الضبع في كتابه هي «مفهوم الشعرية»، وهو تناولٌ يتجاوزُ العرضَ التَقليدي لمفهوم الشعرية عند جان كوهن وياكوبسون، أو تودودروف، وإنما يستقصي معنى

الشعر، ورؤية الإنسان العربي للشعر منذ عصر الأدب الجاهلي، أي أنه يتتبع القصيدة العربية في تطورها من شعر عمودي، إلى تفعيلي، انتهاءً بقصيدة النثر، فاحصاً في كل مرحلة ما طرأ من تغير على مفهوم الشعرية، كيف تغيرت سماتها الفنية، وعندما يصل إلى تغيرات مفاهيم الشعرية في العصر الحديث، يقوم باستقراء القصائد العربية، ليخرجَ بمفهومٍ عن الشعرية يتناسب مع التأليف العربي، وليس اعتماداً على المفهوم الغربي، وهو في سبيل تحقيق ذلك، يدقق في ملاحظات جوهرية، حيثُ يقول: «وقد سعى النقدُ الحديث إلى البحث عن طرائقَ جديدة لتشكلاتِ الإيقاع في بنية القصيدة، فأطلق على الإيقاع بمفهومه السابق - وعناصره من نبر وتنغيم ومدى زمني - «الإيقاع الخارجي»، وذلك في مقابل «الإيقاع الداخلي» الذي لا يظهر في القصيدة من خلال تأثيره الصوتي، أي لا يعتمد على الأذن كوسيلة وحيدة لكشف عنه، وإنما يضيف إليها الرؤية البصرية، والحس الدفين، ومراتب الذوق الرفيع ....»[2].

وتكمنُ أهميةُ محاولة د. الضبع في تقصّي مفهومِ للشعرية العربية المعاصرة- وهو ما يمكن اعتباره جوهرَ كتابه - في أنه كلما بحث في موضوع أو قضية، وجد أنها تستلزم البحث في قضية إضافية، فالوصول إلى تحديد لمفهوم الشعرية العربية المعاصرة، يحتاج إلى النفاذ إلى قضية التلقي، فإذا ما كانت الشعرية المعاصرة تعتمد على مفهوم ورؤية الفرد لما هو شعري عما هو ليس شعرياً، إذن فإن هناك ارتباطاً وتأثيراً لرؤية المتلقي على كيفية بناء مفهوم الشعرية، لذا فإنه ينتقل من البحث في الشعرية إلى البحث في التلقي، وهي رؤية دقيقةٌ وشديدة البراعة في الانتباه إلى العلاقة التبادلية في إنتاج الصورة النهائية للنص بين منشئهِ ومتلقيه، بتطور التفاعل المعرفي ومنهجيات إرساء الصورة النهائية للعمل الأدبي بين المبدع والقارئ، يقول دكتور الضبع: «تتعدد قراءة النص بتعدد قرائه، وتتعدد التأويلات بتعدد حالات التلقي، وحتى المعرفة الجديدة التي يمكن أن يحملها النص الأدبي، هي معرفة يتم تأويلها في إطار التلقي وإمكاناته وأبعاده الثقافية، وهو ما يؤكد عليه كثيرون من نقاد الحداثة على اختلاف توجهاتهم، عبر أن ما يعنينا في التلقي هنا ليس مجرد استقبال النص وتأويله فحسب»[3]. الطريف أن الحديثَ عن التلقي، يستدعي عند الدكتور الضبع العودةَ من جديدٍ إلى التأملِ والبحث في مفاهيم الشعرية، فإذا ما كانت رؤية الأفراد الذين يتلقون الشعر تؤثر

في مفهوم الشعرية، فإن هناك أيضاً مُتغيراتٍ عصريةً وتكنولوجية تؤثر في هذا المفهوم، من هذه المتغيرات ما طرأ على زمننا الراهِن من متغيراتٍ تكنولوجية وتحولاتٍ في مفاهيم الثقافة والمثقف، ويضطر إلى البحث عن موقع وقيمة الشعر والشعرية في مفهوم الثقافة، من دون إغفال التحولات السريعة للحياة المعاصرة، مضيفاً لذلك تحولات المعرفة ووسائل امتلاكها، وفي خضمّ هذه الأبحاث يجد نفسه مضطراً مجدداً لإيجادِ تعريفٍ جديدٍ لمفهوم «الجيل» في الكتابة الشعرية، ليصل من ذلك إلى تحديد الجيل بأنه مجموعة من الخصائص والقضايا والأسلوب التي تنضوي تحتها مجموعةٌ من الشعراء، حتى لو كان بينهم - أو بين كتاباتهم - فارق زمني، طالما أن هناك اتصالاً في مفهوم ورؤية وخصائص الشعرية، فذلك جيل، حتى لو امتد زمنياً أو تأخر أحد الشعراء في النشر عن باقي مجايليه، ويستمر هذا الجيل سائداً حتى تظهر مفاهيم أخرى من الشعرية والخصائص الأسلوبية، تغاير المفاهيم القديمة، وتقضي عليها مع الوقت، وتصبح هي المسيطرة، هنا نكون أمام جيل جديد، قد يكون بدأ زمنياً مع الجيل السابق، أو عاصره، لكن مع تقدم الوقت فإن الخصائص

الشعرية ستكشف عن نفسها بوضوح، ونصبح قادرين على نسب كل مبدع للجيل الذي يمثله بشكلٍ واضحٍ لا لبس فيه، وهذا أفضل بكثير من التحديد الزمني الذي قد يكون مراوغاً وغير دقيق في النهاية.

وإذا ما كان من سمة يمكن القول إنها خصيصة بالألفية الثالثة في مسيرة الشعر العربي فهي «التجريب»، حتى أن الكتاب في عنونته يُلمّحُ إليهَا، معتبراً إياها «غواية»، وفي الفصل الثالث، يناقش المؤلف التجريب الشعري، ولكن من وجهة نظر مفاهيم التلقي - التي هي أيضاً غواية النقد الحديث - حتى إنني يمكنني أن أقول باطمئنان إن العمودين اللذين يقوم عليهما الكتاب هما تحليل مفهوم الشعرية، ورصد وتحليل زوايا التلقي وتأثيرها على التجريب الشعري المعاصر.

إن كتابة د. الضبع عن الشعر ممزوجة بمحبة شديدة للشعر ذاته، وبتمثل لكافةِ مراحل تطوره، وليس هذا فحسب ما يميز تحليله للشعرية في الألفية الثالثة، بل أكثر ما يميزه أن لديه القدرة على التقاط عناصر الجمال في كل مرحلة، وفي الوقت الذي تبدو فيه عناصر الجمالية واضحة ومحددة طوال المراحل الماضية، من الشعر الجاهلي حتى الحديث والمعاصر، فإننا مع

مطلع الألفية الجديدة لم نعد نجد الإعلان المسبق من الشعراء على اتجاههم، بل يمكننا القول إنه لا يوجد تحديد للاتجاه ذاته لدى الشعراء، فالتجريبُ بدايةٌ لا يعرف صاحبها أين ستنتهي، وبالتالي فلا وجود على وجهِ اليقين لسمات الشعرية المعاصرة في أذهان الشعراءِ المعاصرين، وفي ظل استمرار عملية التجريب المستمرة لا يمكن القول إن أي عمليةٍ لاستخلاص هذه السمات دقيقةٌ، بل يستمر الأمر قابلاً للاستقراء، وللمحاولة الدائمة.

وعلى هذا الأساس يبحث أعقد قضية في مجال الشعرية في الألفية الثالثة، وهي التي يفرد لها الفصل الرابع، تحت عنوان: «السردي في الشعر، والشعري في السرد»، وبعد تناول التشابكات بين السرد والشعر، خاصة السرد بالمفهوم المعاصر، الذي كشفت الدراسات البنيوية عنه، فوضعت له مصطلحات خاصة به، مثل المفارقة والاسترجاعات والاستباقات، يبدأ المؤلف في تقصّي ظهور السردي في الشعري، منذ التراثي ومنذ بعض القصائد التراثية التي روت حكاياتٍ، ثم يمضي من ذلك إلى النقيض، أي إلى السرد الذي يحلق أحياناً في سماء المجازات، وفي اللغة الرومانتيكية، حتى يكاد يقترب من الشعرية، ثم، وبعد بحثٍ ومخاض طويل - وهنا نلاحظ غلبة وصف الظاهرة ورصدها عن التسرع باستخراج نتائج قطعية لها - يخلص من هذا البحث الطويل لعلاقة السردي بالشعري، والشعرية بالسردي، إلى نتيجة: «على هذا النحو يمكن رصد العديد من التشابكات

والتشاكلات بين الشعري والقصصي، أو بين الشعري والسردي، وسواء من خلال رصد السمات الفارقة للغة الخطاب القصصي والخطاب الشعري، أو من خلال دراسة تحولات العناصر والبنى السردية وانتقالها من القص إلى الشعر، ومن ثم دراسة تحولات العناصر والبنى الشعرية وانتقالها إلى الخطاب الشعري، وهو ما يمكن له الإسهام في رصد التماهي بين الأنواع الأدبية في الأدب العربي، ورصد آليات الكتابة المتعلقة بتبادل الاشتغال بين السمات والعناصر الفارقة بين الشعر والقص، ومناطق الالتقاء والاختلاف، وهو ما يعمل بشكل عام على تطوير الكتابة الأدبية من جهة، وعلى فتح آفاق متعددة لدراسة التحليلية والنصية، خاصةً عند دراسة جماليات هذه التحولات بين ما هو شعري وما هو قصصي.. فالدراسة عامةً لم تجب عن كثير من الأسئلة، وإن كانت تفتح الباب لما هو أكثر، وتلك غاية في ذاتها».

والعبارة الأخيرة توضح أنه كلما تعمق الناقد في البحث حول الشعرية المعاصرة، وجد مزيداً من الأسئلةِ، والحق أنه يصعب أن نتوقع - في ظل المتغيرات الراهنة - إجابة وافية من محاولة واحدة، رغم موسوعيتها، فالواقع الشعري ومتغيراته يحتاجان إلى كثيرٍ من الجهد البحثي، لكن ما يميز الناقد في عمله هنا دقة التحليل ودقة تحديد الهدف في تصويب الأسئلة الواجب سؤالها والبحث فيها، ففي الفصل الخامس يمضي باتجاه تحليل تأثير التكنولوجيا في القصيدة المعاصرة، ليستنتج أن أكثر من تأثر بـ «الميديا» المعاصرة هي قصيدة النثر، وبعد عرض بعض نماذجها، يتوقف أمام انعكاس التطور الحضاري على الشعرية، وعلى مفاهيم ومداخل التلقي، ومداخل تكوين الصورة في عصر برامج التصميم الفائقة والخدع السينمائية المثيرة، وكل ذلك يلقي بأعباء على البحث والدراسة.

الفصل السادس يمثل كتاباً بمفرده؛ فهو يقع في أكثر من سبعين صفحة، وقد جاء بعنوان: «التجريب الشعري العربي، المفهوم والآليات والاتجاهات»، ويبدو أن كثيراً من الموضوعات السابقة ذات ارتباط بفحصِ التجريب، حتى إنه يعود من جديد لفحصها، ولتحديد التجريب في ضوئها، وهو ما يعكس مقدار ما يفرضه الزمن الراهن من تشابكاتٍ وعلاقاتٍ مُتداخلةٍ في الظواهر الأدبية، وما يعزز ذلك التصور العناوين الجانبية التي يحفل بها الفصل من «تجريب طليعي» و«تجريب أسلوبي»، و«تجريب في التشكيل البصري»، وفي «الأثر عند المتلقي»، و«التجريب بالغموض» و«ثيمة السحر» و«البحث حول تفاصيل الحياة الشخصية»، و«معاني الجسد»، ثم من جديد «البحث في التجريب وعلاقته بالتكنولوجيا»،فيقول عن التجريب بالتشاكل

مع التكنولوجي: «والذي يعمد لاستخدام مفردات وأدوات وأساليب ونظم التطبيقات التكنولوجية في بناء نسق شعري يحاكي فيه وظائف هذه التكنولوجيا، ويصور من خلاله مدى تأثيرها على الحياة الإنسانية وعلى تحكمها في مساراته، إذ مما لا شك فيه مثلاً أن تطبيقات مثل البريد الإلكتروني (E-mail) والفيس بوك والتويتر ورسائل SMS، وغيرها من وسائل التواصل الاجتماعي، قد غيرت من طرائق التعبير الشعري عن الحب، وأحدثت في الآن ذاته جماليات جديدة يظل الوعي بها مرهوناً بمدى استخدام هذه النظم وتطبيقاتها في الأساس، وهو ما سبقت دراسته في الفصل الثالث «قصيدة النثر والتكنولوجيا» ص 262. هذا الوعي بمقدار التداخل بين العناصر السابقة التي تمت دراستها، وبين احتياج العنصر الجديد «التجريب»، 3,0 إلى استعادة الإشارة لما تم الحديث عنه سابقاً عن المعطى التكنولوجي، يجعلنا نطرح مجموعةً من الأسئلة حول عمله هنا، فربما كان الأمر أكثر إفادةً لو تمَّ استقصاءُ ظاهرةٍ بعينها من دون باقي الظواهر الكثيرة التي تم طرحها، ونجد أنفسنا أمام مفترقِ طريق، لو كان الكتاب بهذا الجهد استقصى جانباً واحداً من الجوانب المطروحة وحاول أن يصل إلى نتائج نهائية فيها، فإنه سيحرمنا موسوعية الطرح التي تكاد تكون أشبه برسم خريطة لمشكلات وموضوعات الشعرية المعاصرة في الألفية الثالثة، في الوقت نفسه تبقى الكثير من الموضوعات من دون حدِّ ري العطش في القضايا التي يتناولها، فيشتاق المتلقي أكثرلمزيد من الرؤية والمعلومات حولها. في كل الأحوال تبقى موسوعية الرؤية سمةً متفردةً وواضحةً في الكتاب الذي يفرض النظر والبحث والتحليل في القضايا التي تم تناولها، وعلينا أن نشيد بالكم الضخم من المراجع الحداثية والتراثية التي استعان بها الدكتور محمود الضبع واستقصائه القضايا الشعرية من التراث إلى الحداثة باحثاً عن سِماتٍ مميزة للشعرية العربية المعاصرة، في جهدٍ أكاديميّ ومعرفيٍّ هائل ■

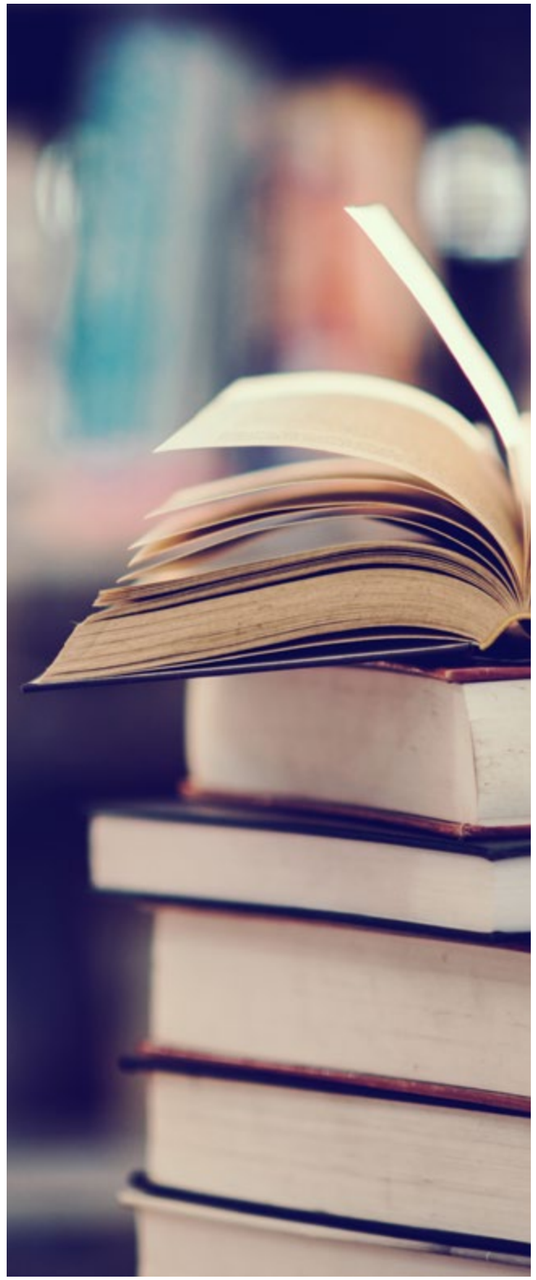

* شاعر مصري

الهوامش:

1 - د. محمود الضبع. «غواية التجريب. حركة الشعرية العربية في مطلع الألفية الثالثة». الهيئة المصرية العامة للكتاب. الطبعة الأولى. 2015.

2 - السابق نفسه. ص 31.

3 - السابق نفسه. ص 32.

4 - السابق نفسه. ص163.

5 - السابق نفسه. ص 262.

خفايا الجمال الموسيقي

د. نورا صابر المزروعي
أكاديمية من الإمارات

أجريت دراسات حول الجمال في الطبيعة، فأكدت نتائج تلك الدراسات أن الكون صور وفق هندسة معتمدة على نسبة ذهبية مقدسة تقدر ب 1.618033. وهذا يعرف بالهندسة المقدسة، وهي نسبة رياضية دقيقة أدرجها الخالق في كل شيء في الطبيعة بصنعة ودقة متناهية. قال الله تعالى «وكل شيء خلقناه بقدر». المتعارف عليه عند أهل التفسير بأن القدر يعنى به القضاء الذي يحكم الله به على عباده، تعنى في المعجم الوسيط التوازن أو تمام الشيء بدون زيادة ولا نقصان، أي إتقان الخلق بتوازن محكم «صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ».

قامت بعض الدراسات بتطوير أداة لاختبار وجود هذه النسبة وقياسها، وأظهرت أن المخلوقات تخضع لقانون النسبة الذهبية المقدسة. يسرد هذا المقال بعض الأمثله التي تثبت وجود قانون إلهي معتمد على نسب رياضية تحكم خفايا كافة الموجودات التي خلقها الله سبحانه وتعالى والذي يحدد الجمال الطبيعي الذي يتناغم مع الإنسان.

يخضع البشر سواء من ناحية الهيئة الخارجية أو الأعضاء الداخلية إلى النسبة الذهبية. يؤكد الأطباء أن انحراف النسبة الذهبية عن معيارها الطبيعي في الجسم يرجع إلى الحالة الصحية التي يعاني منها المريض. يذكر باحثون في علم الطاقة أن هناك خلقة انحرفت عن النسبة الذهبية بفعل مرض أو تدخل البشري. فمثلاً يرجح الأطباء الانحراف عن مقياس النسبة الذهبية بسبب الأمراض النفسية والفسيولوجية. إن عمليات التجميل وإعادة تشكيل هيئة الجسد تُحدث خللاً فادحاً في النسبة الذهبية لأنها تخل بالمقاييس النسبية في الخلقة. يؤكد الباحثون في علم الطاقة الحيوية أن انحراف الخلقة عن النسبة الذهبية يجذب الطاقات السلبية. فالأمراض العصرية من خوف وقلل وتوتر وكره، من أهم عوامل جذب الطاقات السلبية التي تخل بمعيار النسبة الذهبية.

عرفت النسبة الذهبيه المقدسة من قبل الحكماء في الحضارات القديمة، وأدركوا أن لها صلة وثيقة بما يعرف بالجمال. فقام البشر بمحاكاة الجمال الطبيعي بإدراج النسبة المقدسة في التماثيل والمنحوتات اليونانية والرومانية، ويرجع سر إعجابنا بالفنون القديمة لتناغمها مع النسبة الإلهية في الخلق. وهذا ينطبق على كافة الفنون (الموسيقى، النحت، الرسم على الألواح الطينية.. إلخ) في الحضارات المصرية والبابلية والأشورية واليونانية التي تخضع لقانون النسبة الذهبية.

تذكر دراسات أن آثار مصر القديمة نظمت وفق قانون النسبة الذهبية، وكذلك المباني في الحضارة اليونانية ومنها هيكل البارثينون - أكروبوليس أثينا، وأماكن العبادة في الحضارة اليونانية والإسلامية كمعبد نبتيون في اليونان، وجامع عقبة بن نافعة في تونس، وتاج محل في الهند، نظمت وفق النسبة الذهبية في الطبيعة. كما أن بعض عظماء الرسامين أدرجوا النسبة الذهبية في رسوماتهم فمثلاً لوحات الفنان ليوناردو دافينشي تحتوي على نسبة ذهبية مثل (العشاء الأخير، والموناليزا).

ربط الحكماء والقدماء في الحضارات القديمة بين النسبة المقدسة وعلم الموسيقى، إذ يخضع السلم الموسيقي الذي يعتمد عليه الموسيقيون لتأليف المقطوعات الموسيقية لمبدأ النسبة الذهبية. الجدير بالذكر أن علم الموسيقى مرتبط ارتباطاً وثيقاً بعلم الرياضيات في جانبها التركيبي. فالموسيقى عبارة عن إيقاع وتناسق للأصوات وتغير للعلامات الموسيقية بأزمنة رياضية دقيقة. الحضارة السومرية أول من ربطت بين السلم الموسيقي والنسبة الذهبية. وتؤكد د. دشين. غليمن من جامعة ليبغ في بلجيكا في دراستها بعنوان «النظرية الموسيقية تبدأ من سومر» وجود نظام موسيقي في بلاد السومريين وهو أول سلم «دياتونيكي» يعتمد على النسبة الذهبية. وألف الموسيقيون في الحضارات القديمة المقطوعات الموسيقية معتمدين على النسبة الذهبية لأنها تتناسق مع التركيبة السيكولوجية والفسيولوجية للإنسان وتتناغم مع ترددات الاهتزازات الكونية.

سار على نهج القدماء الموسيقيون العظماء أمثال بيتهوفن وموزارت إذ أدرجوا النسبة الذهبية في التأليف الموسيقى. وأثبت الدراسات الطبية في العصر الحديث أن هذه النسبة ترسل طاقة شفائية للمرضى. فأصبحت المستشفيات الأوروبية تعتمد على الموسيقى الكلاسيكية في علاج مرضهم وأهمها التأليف الموسيقى لموزارت. وأشار الكاتب الأمريكي من دون كامبل في كتابه الخفايا العلاجية للموسيقى الكلاسيكية، إلى قوة الموسيقى على شفاء الجسد وتقوية العقل. وأثبتت عدة تجارب أجريت على مرضى أن موسيقى موزارت تسهم في العملية العلاجية من الناحية الفسيولوجية والنفسية. وأثبتت أن الاستماع إلى الموسيقى الكلاسيكية الهادئة يحفز إفراز مادة تسمى الأنترولوجين، وظيفتها محاربة الفيروسات والبكتيريا، وحماية وتنشيط الجهاز المناعي، لذا ينصح الأطباء بالاستماع إلى الموسيقى الكلاسيكية التي تساعد على مد خلايا الجسم بالأوكسجين وتساعد كذلك في انخفاض ضربات القلب وضغط الدم. وأن الاستماع لموسيقى موزارت أثناء تناول الوجبات الغذائية يساعد في إبطاء عملية مضغ الطعام ما يؤدي إلى سهولة امتصاصها. وأن المزاولة على سماع الموسيقى الكلاسيكة بانتظام يساعد على تشتيت ذهن المريض عن الآلام ويسهم في تخفيف من حدة آلامه. ومن ناحية العلاج النفسي أجريت دراسة في ولاية فلوريدا تبين أن مواظبة المرضى النفسيين على الاستماع لموسيقى موزارت بانتظام يساهم في التخفيف من حدة الاكتئاب النفسي ويقلل من التوتر. وتثبت دراسة أمريكية أن الاستماع إلى الموسيقى أثناء الدراسة أو مراجعة الدروس، ينشط مركز الذاكرة في المخ ويساعد في التركيز ويزيد القدرة على الحفظ. حيث تعمل على شحن الجسم إيجابيا وتنشيط مراكز الإبداع.

إن نتائج تحليل المقطوعات الموسيقية لموزارت، أظهرت إدراجه «النسبة الذهبية» في موسيقاه. إذ أثبتت أنه ألّف المقطوعات الموسيقية باستخدام المعادلات الرياضية. وهو ما يعرف ب لهندسة الموسيقية. وتؤمن المدرسة الفيثاغورثية بأن فهم خفايا القواعد الرياضية ومبادئها في اللحن هو سر مُتعتنا الحقيقية بالموسيقى. الجدير بالذكر كان المؤلفون الموسيقيون يستخدمون تردد 432 هرتز في مقطوعاتهم

الموسيقية، وكانت السيمفونيات القديمة تنظم على تردد 432 هرتز. وتؤكد الدراسات أن تردد 432 هرتز يرسل قوة شفائية على طاقة المستمع، لأنه متوافق مع نسب الرياضيات الكونية، ومع تردد الدماغ البشري، وكذلك يتوافق مع حركة الايقاع الكوني. وألف الموسيقيون موسيقاهم استناداً إلى الاهتزاز الطبيعي على أساس أن 432 (la) A = هرتز في السلم الموسيقي. كما كانت الحضارات القديمة تضبط ترددتها الموسيقية على A= 432 هرتز. الموسيقى التي يتم ضبطها على تردد 432 هرتز تكون ملائمه لترددات الدماغ وتتناغم معه. لذا ينصح بسماع موسيقى بتردد 432 هرتز أثناء ممارسة التأمل والاسترخاء، لما لها من فوائد شفائية. وتستخدم المستشفيات الأوروبية الموسيقى الكلاسيكية المبنية على تردد 432 هرتز كإحدى الطرق العلاجية أثناء التدخل الجراحي خاصة مع مرضى القلب ■

الخيل... موروث وحضارة

في دولة الإمارات العربية المتحدة

شمسه الظاهري

«الخيل موروث وحضارة في دولة الإمارات العربية المتحدة»، أحد إصدارات مركززايد للدراسات والبحوث التابع لنادي تراث الإمارات، ضمن «السلسلة التراثية الثقافية»، وهو يتطرق لعالم الفروسية المتجذرة في ثقافة منطقة شبه الجزيرة العربية منذ آلاف السنين، حيث تقف هذه الرياضة جنباً إلى جنب مع الرياضات التقليدية الأخرى كالسباحة والرماية، والتي حرصت استراتيجية دولة الإمارات العربية المتحدة على الاهتمام بها وشجعت ومجدت أبطالها ورواداها.

ومنذ عهد الرومان وسباقات الخيل تشكل مصدراً رئيساً من مصادر الترفيه لدى الجمهور، وتطورت إلى فن مهم ومثلت منافسات ركوبها أحد مكونات الألعاب الأولمبية القديمة وأدت دوراً مهماً مزدوجاً، تمثل في تمكين المحاربين من التدرب والارتقاء بمهاراتهم في مجالات الفروسية لأغراض الحرب. ولم يخطر ببال أحد من رواد الخيول الأوائل من الإنجليز أن تصل هذه الرياضة إلى ما وصلت إليه.

ودارت هذه الرياضة دورة كاملة من خلال خيول السباق الأولى لتعود إلى موطنها الأصلي في الصحراء، فللحصان العربي قصة مثيرة وشيقة في التاريخ أثبتتها الدلائل الحفرية بأنه سبق الإنسان وبفترة طويلة على الأرض، ولكن القليل من المعلومات هو المعروف عن تاريخه قبل سنة 2000 للميلاد، وقد أجمع المؤرخون أن السلالات الموجودة حالياً من الحصان البري الآسيوي الذي ظهر لأول مرة في الجزء الجنوبي من آسيا، ومنها أتت معظم السلالات الحديثة وتاريخها طويل حافل بالأساطير، ولكن، يمكن القول إن أصول سباقات الخيل الحديثة تعود لفرسان إنجليز اصطحبوا معهم بعضاً من الخيول العربية إلى بريطانيا وهم عائدون من الحملات الصليبية، وذلك في نحو القرن الثاني عشر الميلادي، وتمت مزاوجتها مع خيولهم لتحسين النسل. وكانت الطبقة الارستقراطية تبحث عن السرعة استعداداً للرهان على ركوب الخيل أسرع من خيول أقرانها، وتطورت شيئاً فشيئاً منذ مطلع القرن السابع عشر إلى رياضة احترافية عندما أصبحت منافسات السباق تنظم على أساس فئة المشاهدين الذين يحق لهم المراهنة على النتيجة، وأصبحت ترصد لها جوائز مالية، وتحولت عملية تناسل الخيول واقتناء الأسرع منها إلى مشروع وصناعة من شأنها أن تدر أرباحاً. وقد أولى نادي تراث الإمارات اهتماماً كبيراً بالرموز التراثية الأصيلة ويأتي على رأسها الخيل العربي الذي يحتل جزءاً رئيساً من الموروث والحضارة الإماراتية الأصيلة التي هي امتداد للحضارة العربية فجاء تأسيس «قرية بوذيب العالمية للقدرة» بفضل توجيهات ودعم صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة-حفظه الله-، ومن المغفور له الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان - رحمه الله -، التي باتت جهودهما متميزة في تطوير رياضة القدرة وإعداد جيل جديد من فرسان الإمارات وتأهيلهم في جميع رياضات الفروسية.

كما اهتم النادي بنشر الدراسات المتعلقة بالفروسية، وجاء هذا الإصدار «الخيل موروث وحضارة في دولة الإمارات العربية المتحدة» من ضمنها وقد احتوى على عدة فصول تدور حول الخيل في الثقافة الإماراتية وعن بروتوكول بوذيب لسباقات القدرة والتحمل وعن الخيل في الثقافة العربية. ومن ضمن الموضوعات في تلك الفصول «الخيل في الموروث الثقافي، الأمثال الإماراتية أنموذجاً».

حيث إن للخيل نصيباً كبيراً من التوثيق والذكر في الذاكرة الشعبية، وقد صوّره ووظفه المتوصف الإماراتي في أمثاله مستخدماً لفظ: الخيل أو الفرس أو الحصان، وعلى سبيل ذلك المثل القائل: «أنقاد حصان ولا أنقاد حمار»، ويضرب هذا المثل بأهون الشرين، والمثل: «الفرس تعرف راكبها» أي أن الخيل تعرف فارسها، وكذلك المثل القائل: «قالوا للبغل: من أبوك؟ قال خالي الحصان» وهو مثل قديم وشائع عند العرب ويبين أن الفخرينبغي أن يكون بالأصالة الحقيقية، إلى غيرذلك من الأمثال الإماراتية التي ذكر فيها الخيل. كما تناول الإصدار كيف احتفت وكرمت مدينة أبوظبي الفرس «ربدان» وهوللشيخ زايد بن خليفة بن شخبوط آل نهيان حاكم أبوظبي (1855-1909) المعروف بـ«زايد الأول» و«زايد الكبير» وذلك بإطلاق اسم «ربدان» للشارع الذي يصل بين شارع «السلام» وشارع «الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم» تخليداً لذكر هذا الفرس حيث تزخر المخيلة الشعبية بالعديد من القصص التي نسجت حول «ربدان»، والعديد من الأشعار التي تعدد صفاتها بوصفها من أفضل الخيول العربية الأصيلة المعروفة في المنطقة، وهذا الشارع إشارة ثقافية واضحة على مدى عمق وقدم العلاقة التي تجمع أهل الإمارات

«الخيل موروث وحضارة في دولة الإمارات العربية المتحدة»، أحد إصدارات مركز زايد للدراسات والبحوث التابع لنادي تراث الإمارات، ضمن «السلسلة التراثية الثقافية»، وهو يتطرق لعالم الفروسية المتجذرة في ثقافة منطقة شبه الجزيرة العربية منذ آلاف السنين

بالخيول والمكانة السامية التي تحتلها في نفوسهم. كما يستعرض الإصدار السباق الذي عقد بين خيل المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيب الله ثراه - وخيل قوة ساحل عمان والذي يبين مدى حرص المغفور له الشيخ زايد على غرس حب الفروسية في قلوب شعبه وأبنائه، وكذلك عن بروتوكول نظام بوذيب لسباقات ركوب القدرة والتحمل والتي وضعت تحت إشراف «قرية بوذيب العالمية للقدرة». كما يتطرق الإصدار بالحديث عن سباقات الخيل في التراث العربي وكيف خلد التاريخ ذكر داحس والغبراء الذي ارتبط اسماهما بحرب دامية وقعت قبل الإسلام بين فرعين من قبيلة غطفان، كما يتناول الإصدار عن الفروسية المغربية التقليدية وهي «التبوريدة»، والتي هي عبارة عن فن فلكلوري تعكس تراتبية اجتماعية وتقاليد وعادات أسهم في بنائها وتشكيلها سكان المغرب من مختلف الأعراق والأديان والألوان عبر أجيال وقرون موغلة في القدم. كما يتناول الإصدار رياضة الخيول في فلسطين تحت عنوان «القدرة والتحمل للخيول في فلسطين»، ففي هذا البلد تعد هذه الرياضة من الرياضات القديمة والتي كانت تمارس في مدينة نابلس في ميدان خاص لها يعود إلى العصر الروماني وقد أنشئ في القرن الثاني الميلادي. ويتطرق الإصدار بالحديث عن المهرة والخيال في صعيد مصر، فقد ارتبط الخيل في الصعيد بالمناسبات الاجتماعية كالأعراس الشعبية والختان وغيرها. تبرز أهمية هذا الكتاب في تأمين مادة خصبة ومرجعية للباحثين والمهتمين بكل ما يتعلق برياضة الفروسية والخيل العربي وبطابع علمي مميز، ومن جانب آخر يسلط الضوء على الاهتمام الذي يوليه نادي تراث الإمارات بالخيل العربي لتاريخه ومكانته في الموروث الثقافي الإماراتي ولاهتمام الدولة بسباقاته ورعاية عشاق ركوبه ■

* مركز زايد للدراسات والبحوث

أحلام شاعـــر

عادل خزام
شاعر وكاتب من الامارات

في البداية كان الدهرُ أغنيةً صمّاء. مجرد صوتٍ بلا أصلٍ أو صدى. وكانت الحقيقةُ فتاةٌ خجولة تخاف الخروج في الطرقات الوعرة وتهاب المنحدرات والأماكن المظلمة.

لكن جرساً حرّكتهُ يدُ الريح ارتطم بجدارٍ وأحدث دوياً يُشبه صوت العاصفة. قالت الناسُ: إن الزمن القزم المنحني ظهره يحاول الآن أن يقف، وإن أباه وأمه وهما في الأصل عقربا الساعة، يساعدانه على هذا النهوض. نعم، حدث هذا في غمضة عين عمياء، عندما استفاق المؤرخون على صرخة شاعرٍ قطعوا قلمه بدلاً من لسانه، ولكن بدلاً من نزيف شفتيه، تساقطت قصائده من ورق الأشجار الحزينة وجرفها التيار المعاند في النهر. عند ذلك غرّد العصفور شيئاً يُشبهُ ولادة المعنى الغامض والمستتر. هل أنا امرأة ناضجة؟ قالت الشجرةُ في سرّها. هل أنا رجلٌ حافٍ؟ قال الجبل. وكان تلك أسئلة البداية التي استمرت بلا أجوبة حتى ظنها الناسُ مجرد خرافات قديمة.

اليوم

المؤرخون: سدنة الماضي

الشاعر: التمثال المكسورة يده

الحقيقة: الشجرة التي تسلقتها القرود وأكلت بيض أعشاشها

سيقالُ غداً إن الناس استهوتهم الخرافة فراحوا يصدّقون كل شيء. تصدّقُ المرأة الرجل الواقف بانتظارها على الرصيف، لكنها لا تذهب إليه وهو يخافُ أن يقترب من أحلامها. ويصدّقُ سائق الباص أن طلاب المدرسة يحترمونه، لكنهم مثل العفاريت يلصقون اللبان في قبّعته عند النزول والصعود. ويصدّقُ الفقراء وعود الأغنياء، لكنهم يموتون سريعاً قبل تحققها. لذلك سيكتب الشاعر غداً:

الخبزُ: أسطوانة الجوع

المدرسة: مُتحف المعاني الضائعة

البنك: نادي هواة جمع الساعات الفارهة

سيقول الفيلسوف أيضاً: ها هو الماضي يلدُ الحاضر ويحنو عليه. وها هو الحاضر يدخل المستشفى، فيجبّسُ الأطباءُ الخائفين خطوته ويضمّد الممرضون الجبناء عينيه وشفتيه. لكن طفلةً اسمها (الحرية) ستبدأ بالركض من جديد في الدفاتر وعلى الأوراق المبعثرة والجافة. وسوف يلاحقها الطفل الذي اسمه (صائد المعنى) ويلتقيان في الأخير عند نهاية الأرض. هناك حيث البداية ممكنة دائماً، وحيث الحقيقة فستان زفاف معلّق ولكن لا أحد يريد أن يرتديه. سيكبر الطفلان وهما يدركان أن:

الحب: سبب الأسباب الجديدة

الزواج: وسيلة تعارف ليس إلا

أغاني الأمهات في المهد: تلفزيون الأحلام

لا تذهب، عُد حتى لو كنتَ مترنّحاً يا ظلي الهارب. اتبعني وسوف ندخل معاً حفلة الفلاسفة والمؤرخين ونراقبهم وهم يكرّمون المهندس الذي بنى جسراً بين الحياة والموت. سيسمونه (جسر الكلمات المسافرة) وهذا خطأ أحمر. إذ ليس من واجبهم إطلاق الأسماء، بل عليهم أن يشعلوا الشموع في وجه الريح وأن يعيدوا تصفيف شعر الأشجار كي تكتمل أغنية الربيع ولا تهجرنا الطيور الى البحيرات البعيدة.

الورقة الخضراء: تراث الزمن

الزمن: درس النهاية اللامرئي

الريح: اسفنجة الأيام

من أين أبدأ إذن والمسافة ليست على مقاس حذائي؟ كيف أطالبُ بتأجيل حتفي لأن ساعي بريد الموت لم يصل الى بيتي؟ هذا ليس عدلاً. أنا رجلٌ كان في الأصل كلمة محاها الرواةُ من القواميس، لكنها عادت وظهرت في بكاء الأطفال وضحكاتهم. عشتُ حرفاً داخل كلمة، وكلمةً داخل فكرةٍ صامتة. وربما أظل هكذا راحلاً من المعنى القديم الى المعنى الجديد والمختلف. كأن يظن الناس أن السفينة هي فم البحر، وأنا أقول إن شراعها هو منديل العاصفة ■

القصيدة والتوشيح وما يتبعهما

مصطفى سعيد
عازف وباحث في علم النغم

ذهبت الغالبيّة العظمى من أهل النغم لمذهب تثبيت لحنٍ على نصٍّ أو دونه، نصٌّ موسيقيٌّ ثابتٌ سواءٌ لزمه نصّ كلامٍ أو لم يلزمه، وكان ضدّ ذلك اعتقاد أنّ كلّ ما ليس ثابتاً فهو مرتجلٌ حكماً، والحقّ أنّ الثبات والارتجال مظهران فرديّان في النغم، حتّى لو نفّذتها جماعة، فالنصّ الثابت يُنفَّذ بإرادةٍ فرديّة، واللحن المرتجل يقع نفس الموقع، فهو على تمام ارتجاله إرادةٌ فرديّة، وقد ترجع هذه النظرة أصلاً لمنطق «سوق النغم» لا بدّ من اسمٍ لتسويق هذا النغم، لا بدّ من أساطير لإقناع الزبائن بهذا النغم. إذن، فالنغم، جيّداً أو غير هذا، ليس ما يُعوَّل عليه في سماعه منذ تسليعه، والنتيجة أنّ كلّ ما ليس فرديّاً انتهى أو كاد. بين النصّ تامّ الثبات والنصّ تامّ الارتجال بأنواعهما أشكال كثيرة، فالثابت والمرتجَل كلهما قشرة، أمّا اللؤلؤة فبين هتين القشرتين، تلك الأشكال التي يخاطب فيها المؤدّي الماضي ليستحضر المستقبل هي عين ما فقده نغمنا فلم يعد يحبّ ماضيه وليس له طريقٌ واضحٌ لمستقبلٍ غير مزيدٍ من الاستبراد. القصد بتلك اللؤلؤة النصوص النغميّة التي يُبنَى عليها، مثل ما أسلفنا في المقالَين السابقَين، أو ما نعرض هنا في هذا المقال حيث أشكال وُجِدَتْ بها حوارٌ بين الثابت والمرتجل، طريقٌ كلّه تواضعٌ للجمال من كلّ من شارك فيها. ظهر في مصر مع الدور المذكور في المقال السابق، شكلٌ نغميٌّ أُطلِق عليه «القصيدة» وبعضهم أطلق على هذا الشكل «القصيدة على الواحدة» تمييزاً لها عن إنشاد القصيدة المُرسلة دون دورة إيقاع، يبدو لأنّ نصّ الكلام في الشكلَين لم يتعدّى الأبيات على بحور العروض في القصيدة دون الأوزان المختلفة في الموشّحات أو الشعر العامّيّ. التزم هذا القالب ضرباً رباعيّاً بسيطاً، يُذكر سببه لاحقاً، واعتمد اللحن أصلاً على بناءٍ لحنيّ ثابتٍ حسب بحر كلّ قصيدة، هذا اللحن الثابت، اللازمة، مرجعٌ يُقطّع عبره هذا العروض على الواحدة الرباعيّة. يأخذ المؤدّي هذا اللحن البرعم، يصيغه في النغمة أو المقام الذي يريد الغناء منه، يعود إليه كلّما أراد التسليم لتعزف الآلات بعد مجموعةٍ من الأبيات يحدّدها هو، قد تردّد البطانة معه اللازمة كما هو الحال مع لازمة العواذل المشهورة (يُرجى سماع قصيدة أراك عصيّ الدمع بصوت عبد الحيّ حلمي، منشورةٌ في إصدار مؤسّسة التوثيق والبحث في الموسيقى العربيّة في مائويّته)، دور البطانة هنا يعيدنا لمنشئ هذا الشكل من الإنشاد، ألا وهو حلقات الذكر وأهل الطريقة. عند أهل الطريقة في حلقات الذكر، تُردَّد الأوراد والأذكار جهراً في إنشادٍ جماعيّ، لكلّ وردٍ لحنٌ برعم، قد يكون درجةً أو درجتَين، المهمّ الانسجام في النغمة والزمن بين أهل الطريقة، بين كلّ وردٍ وآخر، لذا اختيرت أبسط الألحان على درجاتٍ قليلة، وأبسط الضروب، الواحدة الرباعيّة، فيسهل إنشادها جماعيّاً لمن لا يعرف النغم مراساً أو دراسةً، ينقل الشيخ بدعاء، ابتهال، قصيدة، بما شاء، يضفي هذا سلاسةً في الانتقال، ويزيد حال الذكر خشوعاً، بعض الطرق تنشد قصائد مطوّلةً إنشاداً جماعيّاً، حتّى إن كان اللحن مكرّراً، فإنّه طويلٌ نسبيّاً، أقلّه بطول بيتٍ في قصيدة، منعاً لتكرار النصّ النغميّ، تحدث المجاوبة، فينقسم أهل الطريقة قسمين أو أكثر، قسمٌ يثبت، وقسمٌ ينوّع الأداء ويسلّم للمنشد المنفرد فيحدث الحوار بين مجاميع أهل الطريقة بعضهم مع بعض، وبينهم من جهةٍ وبين منشدٍ منفردٍ أو أكثر (يُرجى سماع إنشاد الطريقة الليثيّة، موجودةٌ ضمن تسجيلات مؤتمر الموسيقى الشرقيّة، القاهرة 1932، وفي تسجيلات الشيخ علي القصبجي مع بيضافون حوالي سنة 1912، منشورةٌ على موقع مؤسّسة التوثيق والبحث في الموسيقى العربيّة) انتقل هذا المنطق للغناء الدنيويّ، لكنّ البطانة أقلّ، فهم موسيقيّون محترفون ليسوا أهل طريقةٍ في حلقة ذكر، فالحوار بين المؤدّي المنفرد والبطانة ومجموعة العزف، أو بين المؤدّي ومجموعة العزف دون البطانة، لحنٌ برعمٌ يبني عليه المؤدّي تقطيع عروض الشعر على الواحدة الرباعيّة البسيطة، يختار المقام الذي يريده فيشكّل اللحن عليه، ثمّ يجول في النغمة وفروعها ما شاء له، تردّ عليه مجموعة العزف، تستلم منه وتسلّمه حتّى ينهي غناءه (أشهر ما يُعرف من هذا الشكل قصيدة «وحقّك أنت المنى والطلب» نظل الشيخ عبد الله الشرقاوي أداء الشيخ أبو العلا محمّد، أدّتها السيّدة أمّ كلثوم حفظاً منه ولتحليلها حلقاتٌ في برنامج سمع من روضة البلابل على صفحة مؤسّسة التوثيق والبحث في الموسيقى العربيّة) فمنطق القصيدة على الواحدة لا يبعد كثيراً عن منطق الصوت في الخليج العربيّ مثلاً، وإذا فحصنا وجدنا أنّ المجسّ، الحجازيّ، رغم كونه لحناً مرسلاً لا دورة إيقاعٍ فيه، إلّا أنّ عروض الشعر يفرض ما يفرض من التزام طريقٍ لحنيّ ليس فقط سير المقام المُختار، بل لازمةً ما تُحسّ، فيردّد المستمعون النغمة حين يصل المؤدّي لهذه اللازمة. غرباً في الملحون المغربيّ الدنيويّ، نجد نفس منطق اللازمة الصغيرة ضابطة العروض على ضربٍ بسيط، يُبنى عليها بالحوار بين المؤدّي المنفرد والمجموعة، استقى الملحون من نفس المنبع، حلقات الذكر، فإذا عاينّا في الزوايا في المغرب، العربيّ، نجد نفس ألحان الملحون ولوازمها تُنشد ويُبنى عليها ما يُبنى من ارتجالٍ حواريّ بين أهل الطريقة الذين يقسّمون أنفسهم في الحلقة مجاميع إنشاديّةٍ تجاوب بعضها بعضاً فيبرز كلّ صوتٍ في مكان. الحاصل أنّ اللحن بسيط، يُبنى عليه كثيرٌ من الارتجال، كلّ دور اللحن ضبط عروض القصيدة على الواحدة، والباقي حسبما يفيض صاحب الفيض على أهل النغم.

عكس هذا تماماً نجده في التوشيح، هذا الشكل الذي ندر بل كاد ينعدم استخدامه في الغناء الدنيويّ، نصٌّ شعريٌّ من البحور الاعتياديّة أو غيرها من بحور الموشّحات، إلى آخر أشكال النظم، تامّ التلحين، فلكلّ بيتٍ في النصّ الكلاميّ ما يوازيه لحناً في النصّ النغميّ، فالنصّان متكافئان حجماً، لماذا يُدمج هنا إذن مع لحن الطريقة؟ إذا أُنشد التوشيح بمنطق لحن النصّ فسيخرج تامّ البناء، سيخرج لحناً مُرضياً طروباً لا بأس به أبداً، ماذا يحدث فيه إذن؟ تأويل النصّ من بطانة المنشدين: أوّل ما يطرأ على اللحن هو رؤية كلّ عضوٍ من المنشدين لهذا النصّ النغميّ، لأنّ عمليّة تلحين التوشيح ليست كسائر الألحان، فالملحّن يعرف ضمناً، بل يريد، أن يُؤوَّل هذا اللحن من المؤدّين، لذا فهو لحنٌ يصعب قراءته من ورقةٍ حدّ الاستحالة في رأيي، بناء اللحن إذن على طوله يسمح بالتأويل الجماعيّ، والوقف فيه على كلّ بيتٍ أو مقطعٍ ضرورة، حتّى إذا ما أراد مؤدٍّ منفردٍ استيقاف البطانة ليُفاض عليه من المعاني ما يترجمه آنيّاً إلى لحنٍ مُرتجلٍ على نفس البيت المُنشَد، فيسلّم بالإعادة أو الإكمال، لذا، نرى مؤدٍّ واحدٍ يؤدّي نفس التوشيح مع البطانة تارةً في دقائق معدوداتٍ وتارةً في أضعاف هذا إلى ما قد يصل ساعةً دون أيّ مللٍ أو تكرار، (نموذج توشيح أضاء النور بصوت الشيخ علي محمود في الإذاعة اللاسلكيّة للحكومة المصريّة، وله في المشهد الحسينيّ، لاحظوا تأثير المستمعين وأهل الطريقة عليه في المشهد الحسينيّ) لا تكرار لأنّ الوقوف يوجب على المُؤدّي المنفرد لحناً جديداً، وإلّا، لا توقف البطانة ودعهم يكملون إذا لم يُفَض عليك الجديد. نفس هذا المنطق نجده في الحُمَيني اليمانيّ، وسائر أشكال حلقات الذكر والموالد شرقاً وغرباً، على أنّ ذكر الحميني لأنّه أكثر ما استفاد من هذا المنطق في الغناء الدنيويّ، فهو لحنٌ ثابتٌ ظاهراً، إنّما باطناً يستطيع المؤدّي الوقوف عند ما باللحن من وقفٍ ليزيد عليه، فالملحّن يعرف أنّ لحنه سيتجدّد ويتطوّر مع الزمن، ليس بإعادة توزيعه حسب المودا، بل يتطوّر ذاتيّاً ويتجدّد بالفيض وما يُفتح على المؤدّين في كلّ زمانٍ ومكانٍ. إذن، فاللحن ليس بالضرورة ثابتاً أو مرتجلاً، إنّما بين هذا وذاك سبل ودروب كثيرةٍ لو سلكها أهل النغم لحظوا منها بالفائدة العظمى، وليس القصد من شرح هذه الأشكال والقوالب إعادتها أو إعادة الإنتاج فيها بالضرورة، فلكلّ زمانٍ أشكاله وقوالبه، إنّما قراءة هذه الأشكال واستيعابها واستيعاب كلّ هذا الفكر الحضاريّ ما سيمكّن أهل النغم من إنتاج الجديد دون جدليّة الزمن الجميل والحداثة المستوردة، النغم ظاهرةٌ حضاريّةٌ، مثله مثل سائر أشكال الأدب والفنون، إذا استوعب أهل النغم هذا ومستمعوه، ندرك به سموّ الروح لا ظاهر المتعة ■

قراءة في كتاب الخليج والجزيرة العربية في المصادر الروسية

فاطمة مسعود المنصوري
موزة عويص علي الدرعي

يعد كتاب (الخليج والجزيرة العربية في المصادر الروسية)، من الكتب المهمة التي تتناول تاريخ الخليج في المصادر التاريخية الروسية، وتنبع أهميته في كونه يعتبر أحد المصادر التي تسد فراغاً في هذا الجانب، خاصة في ظل شح الدراسات والكتب والمراجع التي تتناول الأرشيفات الروسية وتتبع ما فيها من وثائق تتعلق بالخليج والجزيرة العربية.

وقد ورد الكتاب الصادر عن (الدار العربية للعلوم ناشرون) في عام 2013، في 237 صفحة، ويضم مقدمة وثلاث فصول، بالإضافة إلى قائمة الملاحق والفهارس. فقد أورد الكاتب في مقدمة كتابه، أهمية الخليج والجزيرة العربية باعتبارها أدت أدواراً مهمة، في التجارة الدولية منذ أقدم الأزمنة ويرجع ذلك إلى أهمية موقعه في منتصف الطريق بين بلدان آسيا من جهة والشرق الأقصى من جهة أخرى وبين الهند وبلاد ما بين النهرين والشام والشرق الأدنى من جهة أخرى، وقد كان لهذا الموقع السبب الرئيسي في تطلع القوى وتوافدها وتنافسها لإيجاد موطئ قدم في هذه المناطق والاستفادة من خيرات الموقع ومن موارد المنطقة الاقتصادية في تأمين مصالحها. وقد ذهب العديد من الرحالة إلى ذكر ذلك خاصة ما ذكره ابن فضلان حول ذلك، حيث أكد الأدوار المهمة التي لعبها العرب في تجارة المنطقة وظلوا يتمتعون بمركز السيادة حتى مطلع القرن السادس عشر، وذلك على أثر وصول البرتغاليين والهولنديون والبريطانيون إلى المنطقة فانتقلت السيادة لهم، إلا رغم ذلك ظل النشاط التجاري العربي موجود وظلت أدوار الخليجين واضحة باعتبارهم كانوا يمثلون وسطاء للتجارة العالمية، وخبرتهم الطويلة التي اكتسبوها عبر سنوات طويله بالعمل الملاحي، لم تستطع الاتفاقيات الاستعمارية الجائرة أن تقف في طريقها. كما تطرق الكاتب في مقدمته إلى موضوع مهم وهو المتمثل في التعريف بالمصادر والوثائق الروسية التي يمكن الرجوع إليها في البحث عن وثائق منطقة الخليج والجزيرة العربية، وهي ذاتها المراجع التي اعتمدت عليها فصول الكتاب، فهناك الوثائق الموجودة في الأرشيفات التأريخية الرسمية الروسية ومقرها في مدينة سان بطرسبرج وتعد واحدة من أكبر الأرشيفات التاريخية في روسيا إذ تم تأسيسها عام 1922، وتحتوي على أكثر من 6 ملايين وثيقة مكونة من صور الوثائق والمخطوطات والرسائل الشخصية والرسمية والمراسم والقرارات من رجال الدولة والمؤسسات والمنظمات التابعة للإمبراطورية الروسية، والأرشيفات الرسمية للقوات البحرية الروسية، فهذه الأرشيفات ضمت بين دفتيها أخبار خاصة عن مدن الخليج العربي وموانئه، وأرشيف الدولة المركزي للأسطول الحربي،

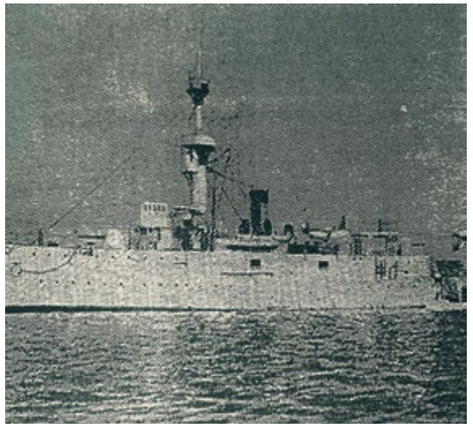
احدى سفن الاسطول الروسي في مياه الخليج العربي عام 1902

استقبال شيخ الكويت مبارك الصباح لقبطان وبحارة السفينة«غيلياك» في الكويت في آذار 1900

بالإضافة إلى الدوريات الرئيسية للعاصمة (موسكو)، ومنها صحيفة «ذي نيوتايمز»، مع ملحقها «الأسبوعية الملونة» و«ملخصات سان بطرسبرج»، وهناك مصدر آخر مهم وهو المتمثل في التقارير الدبلوماسية من القناصل والضباط عن الأقاليم المجاورة للإمبراطورية العثمانية وبلاد فارس.

أما الفصل الأول فقد جاء تحت عنوان (التطور التاريخي للمصالح الروسية في الخليج العربي حتى عام 1917)، وفيه يتطرق الكاتب إلى بواكير الوجود الروسي في المنطقة، وأوجه ذلك النشاط وما هي مظاهره الأولى في مسيرة علاقات روسيا مع شيوخ وسكان المنطقة، وهل التجارة كانت فقط هي المحور الرئيسي لتلك العلاقة، فالكاتب يبحث في هذا الفصل عن أهداف السياسة الخارجية الروسية اتجاه منطقة الخليج، وقد ذهب الكاتب إلى تأكيد حقيقة تاريخية مهمة وهي المتمثلة في وصية بطرس الكبير والتي جاء فيها: «توغلوا حتى تبلغوا سواحل الخليج العربي فتعيدوا الحياة إلى الطرق التجارية القديمة مع الشرق الأدنى». هذه الوصية التي اعتمدت كسياسة روسية للوصول للمياه الدافئة وهو ما يشكل اهتمام السياسة الخارجية الروسية بالخليج العربي، فروسيا محكومة بواقع جغرافي مغلق، فهي بحاجة إلى منافذ بحرية مفتوحة، فالبحار الروسية غير مفتوحة وقسم منها داخلي مثل بحر البلطيق المتجمد طيلة أيام السنة، أما البحر الأسود فهو من البحار الداخلية، فالأهداف الاقتصادية والتجارية هي كانت المحرك الرئيسي حول تواجد الروس في الخليج.

أما الفصل الثاني (الخليج والجزيرة العربية في المصادر الروسية 1471 - 1900)، يتضمن هذا الفصل عرضاً للمعلومات التي ذكرها البحارة والرحالة الروس، وأعضاء البعثات الطبية والهندسية وأفراد من الهيئات أو الوكالات القنصلية التي أنشات في مدن مسقط والبحرين والبصرة وبوشهر، الذين كانوا يعملون وبالتعاون مع وزارة الخارجية والبحرية والروسية لمتابعة النشاط الروسي في تلك المناطق. وقد ضمت تلك التقارير معلومات مهمة عن جغرافية مناطق الخليج وأوضاعها الطبيعية بما فيها المناخ السائد، وتفاصيل عن سكان تلك المناطق من حيث لباسهم ومعيشتهم، بالإضافة إلى وصف للمدن التي وفد إليها البحارة والمهندسين والتجار الروس، من حيث موقعها والأبنية المشيدة فيها، ونبذة تاريخية عن نشوء تلك المدن وتطور وظائفها التجارية وأهميتها السياسية للدول الأوروبية التي راحت تتنافس للسيطرة عليها. كما سلطت تلك المصادر الضوء على الحياة السياسية في الجزيرة العربية، ولا سيما الحجاز ونجد في القرنين التاسع عشر والعشرين، ومكانة شريف الحجاز وعلاقته بسكانها ومدى صلاته بالدولة العثمانية من خلال والي جدة وولاة مصر والشام العثمانيين. كما احتوت المصادر الروسية في هذه الفترة معلومات عن الحركة السلفية التي تأسست في السعودية وتحالفها مع محمد بن سعود أمير نجد في عام 1745، ولعل من

أهم المصادر التي برزت في هذه الحقبة التاريخية مخطوطة للتاجرة الروسية (اناناسيا نيكيستينا)، والتي ابحرت إلى الهند عن طريق الخليج العربي قبل فاسكوديكاما باربعمائة سنة، حيث ذكرت في مخطوطتها مدينة هرمز، حيث ذكرتها بأنها محطة تجارية عظيمة يأتيها الناس من جميع أنحاء العالم وتوجد فيها مختلف أنواع البضائع. ومن المصادر المهمة كذلك كتاب «السفر وراء ثلاثة بحار» الذي ألفه تاجر روسي يسمى (افاناس نيكيتن) وهو أول روسي يزور عمان كما قضى بعض الوقت في البحرين وبعض الموانئ في الإمارات حالياً، والكتاب يحتوي على معلومات قيمة عن الاقتصاد والوضع السياسي وبعض مظاهر الحياة التقليدية وعادات الناس. أما الفصل الثالث المعنون (بالخليج والجزيرة العربية في المصادر الروسية 1900-1917)، وفي هذا الفصل يبحث الكاتب عن تطور العلاقات الروسية في منطقة الخليج، وخاصة العلاقات التجارية والاقتصادية التي اعتبرت هي المحرك الأساسي في علاقة روسيا اتجاه المنطقة. فقد أوفدت الحكومة الروسية السائح (سيروماثيكوف) مطلع عام 1900، إلى المنطقة ليمهد الطريق للتعاون مع إمارات الخليج العربي ويتحرى إمكانية التوغل التجاري والمالي والروسي في موانئها ومدنها، وقد ألقى محاضرة عن انطباعاته عن سفره إلى الخليج العربي تحت عنوان (أهمية الخليج والكويت الدولية).

كما يبين الكاتب في هذا الفصل انطباع دول الخليج من الروس، حيث حظي الروس بحفاوة بالغة وكان هناك نوع من الود

يعد كتاب (الخليج والجزيرة العربية في المصادر الروسية)، من الكتب المهمة التي تتناول تاريخ الخليج في المصادر التاريخية الروسية، وتنبع أهميته في كونه يعتبر أحد المصادر التي تسد فراغاً في هذا الجانب، خاصة في ظل شح الدراسات والكتب والمراجع التي تتناول الأرشيفات الروسية وتتبع ما فيها من وثائق تتعلق بالخليج والجزيرة العربية.

اتجاههم من قبل حكام الخليج، ولاسيما إذا استرجعنا موقف الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت عندما استقبل السفينة الروسية «جيليالك»، بكل ود وترحاب رغم محاولة البريطانيين واقناعه بعدم استقبال الروس.

فقد رأي الخليجيين في التقرب من الروس في تلك الفترة حليفاً في النضال ضد بريطانيا. أما في الملاحق فقد أورد الكاتب 15 ملحقاً تحتوي على مجموعة مهمة من الوثائق التاريخية من الأرشيف الروسي، تكشف العديد من العلاقات التي ربطت روسيا بالمنطقة، كالشؤون التجارية على سبيل المثال، والسفن الروسية القادمة من موانئ البحر الأسود إلى موانئ الخليج العربي بين عام 1904 - 1900 وعدد رحلاتها.

وأخيراً تظهر أهمية هذا الكتاب في كونه يسط الضوء على المصادر التاريخية الروسية، فهذا الأرشيف يرجع لدولة شكلت قوى عظمى لما يقارب القرن وكانت لها العديد من المواقف، صحيح قد تبدو واضحة أحيانا ومحيرة في أحياناً أخرى، إلا أن هذا لا يمنع من جمع تلك الوثائق، خاصة إنها تغطي جوانب وأخبار تتعلق بالتاريخ الاقتصادي والثقافي، فخوض غمار الأرشيف الروسي يعتبر ظاهرة جديدة لم يشهدها البحث التاريخي العربي من قبل، هذه الظاهرة جاءت بعد سقوط الستار الحديدي وتفكك الاتحاد السوفيتي وهي في الوقت الذي تكشف فيه عن عدد من الوثائق من أرشيفات سان بطرس برج (اشتهرت كمركز هام للدراسات الشرقية، وبالطبع للدراسات العربية، ويوجد فيها العديد من الوثائق المختلفة المهمة حول التاريخ السياسي والعسكري والاقتصادي والثقافي لروسيا وعلاقاتها مع جيرانها ومن بينهم الخليجيين.)، إلا أنها تقدم للباحث في التاريخ مادة خصبة للغاية تحدد كيف كانت القيادة الروسية تفكر تجاه الشرق الأوسط والخليج كما تقدم أجوبة لأسئلة كانت ملحة حول مواقف الاتحاد السوفيتي السابق من بعض قضايا المنطقة ■

رسالة سلطان مسقط فيصل بن تركي إلى القنصل الروسي العام ببوشهر نيقولاي باسك عام 1904

حمدة بن محمد بن ثاني بن زنيد السويدي

مريم النقبي

شاعرة إماراتية مخضرمة، ولدت وعاشت لفترة طويلة من حياتها في إمارة دبي. نشأت في أسرة أدبية قرض أفرادها الشعر النبطي، فوالدها الشاعر محمد بن ثاني بن زنيد السويدي، الذي يعد أحد أهم شعراء النبط في دولة الإمارات العربية المتحدة، وكذلك عمها ماجد بن زنيد السويدي.

للشاعرة تاريخ شعري حافل، أصدرت أكاديمية الشعر في أبوظبي ديوانها الذي ضم ستين قصيدة تمثل تجربتها الشعرية الطويلة في كتابة الشعر النبطي لأكثر من خمسة عقود من الزمان، نظمت فيها قصائد شعرية في مختلف الأغراض، خصوصاً قصائد الشكوى والمدح والرثاء والنصح. ربطت الشاعرة علاقات وثيقة بعدد من شاعرات الإمارات، منهن الشاعرة الشيخة صنعا بنت مانع آل مكتوم (لمياء دبي)، ودارت بينهن مساجلات شعرية تضمنها الديوان. تمثل تجربة الشاعرة حمدة نموذجاً مهماً من نماذج التجارب النسوية في الشعر النبطي في الإمارات، بما يعكس وضع المرأة في أسرتها ومجتمعها. وشكلت موضوعات قصائدها لوحة شعرية مميزة، تجلت فيها الشاعرة بمختلف مشاعرها الأنثوية، فهي تنطق بصوت الأم حيناً، وبصوت الابنة حيناً آخر، والأخت في أحيان أخرى، وشكلت حالات الفرح والحزن والمواساة والعطف في هذه القصائد حالات متفردة من المشاعر في تجربتها الإنسانية. كما تميّزت شاعرتنا رحمها الله بجودة الشعر وجزالة وقوة السبك، وجمال اللفظ.

توفيت رحمها الله في الرابع والعشرين من ديسمبر سنة 2021م.

مقتطفات من قصائدها

تقول رحمها الله في مدح والدها الشاعر الكبير محمد بن ثاني بن زنيد السويدي:

فـــي الصبح يصبـح بك بديـــرة بني يـــاس
في الراشديّـــه لـــي نحـــن طالبينـــــه
شاعرولـــــه منا ســـــلامٍ بلا قيـــــاس
وقل لـــــه على الميعـــــاد مستنيينـــــه
يَبَّتك يا الوالـــــد على العـــين والراس
ولك في النواظـــــر مـــنزلٍ باسطينـــــه

وتقول:

م العام انا اتحرى صفاتـــك وممشـــــاك
واودّ حـــدٍ فـي حضـــوري بيطريـــــك
واليـــــوم عيني من على البعـــــد تربـاك
عسى الولي مـن قاصـــد الشريحميـــك

وفي قصيدة أخرى تقول:

زان العويـــــرولبس حلـــــة جمـــــاله
وأنوج نسيمـــــه من عـــــبير المعاطيـــر
وبين المـــــروج الخضـــروالما زلالـــه
يازين جـــــولات الغـــضي وقت لعصـير

ومن شعرها أيضا:

إذا الأنظـــــار لاحظهـــا نظـــــيرك،
مضت خَجلـــــى توارت فـــي حياهـــا
عن التعريـــــف .. متعانـــي جنابـــك،
كمـــا الشمس اعرفـــتْ عنها سماهـــا ■

حلمٌ كماء وفي الحرف ارتواء

شيخه الجابري
إعلامية وشاعرة من الإمارات

ما كان الحلم سهلاً، وما كانت الأيام تأتي على هوى من يشاء أن تكون على هواه، كالمطر لايأتي إلاّ بمقدار وفي وقت محدد، مواسمه كطائر ربيعي يحط من غصن إلى آخر من دون أن يقبض عليه البصر، ما كان الحلم بسيطاً، ولم يكن معقداً، ما كان عادياً، ولم يكن سهلاً، كان توليفة من أشياء كثيرة خالجت عقل الصغيرة، وداعبت قلبها الشفيف، تارة تسمع صوتها مذيعة في من وراء غشاء إلكتروني وتارة تتهادى أمام بصرها تلك الصحفية الواعدة التي تتقافز من مكان إلى آخر بحثاً عن قضية، وعبها المبكر شكّل ورطة كبرى له لها وحدها، ووحدها فقط.

كل شيء كان يسير طبيعياً، حركة الحياة من حولها لم تترك لها سوى الفرصة الأكبر للتحرك باتجاه العلم، الحلم، التفوق، الكتابة كانت تأسرها، في المدرسة كانت تكتب باستفاضة حتى إن إحدى معلماتها التي تحبها نصحتها بأن لاتتكلم، إذ عليها أن تكتب وتكتب فقط، ليس لديها وقت للحديث، فالأفكار التي تنطقها تضيع لذا كانت مدرّستها باستمرار تحثها على استثمار الموهبة للإتيان بالجديد، إذ لا وقت للكلام.

ولا وقت للكلام تلك كانت تشكل عقبة أمام الصغيرة التي كبرت وما فتئت تنبس لمن حولها أن الأكبر منك بسنة أعلم منك بمائة عام وهي لم تتجاوز بعد الخامسة عشرة من الأعوام، لكن النضج الراكض نحوها صحواً كان كافياً لأن يمنحها مساحة رحبة من التميز، والاختلاف، الذي ظهر وهي على مقاعد الدرس الصغيرة، فكان المسرح المدرسي ميدان إبداعها الرحب، وكانت اللوحات الحائطية والنشرات المدرسية المتواضعة ميدانها الأثير/ الكثير الذي صالت فيه وجالت، وحصدت الجوائز والتكريمات في وقت مبكر من فجر العمر النّدي. كبُرت الصغيرة وصار بوسع الحلم أن يتمطّى، وأن يمتد صنو الريح، ليغدو مطراً هادئاً وادِعاً بكل ماهو منتظر من وعد الأيام، صار للبحر لونه الناصع، وللملح بياض الثلج، وللماء سلسبيله الرائق، وللصحبة نهار الود، وللكتاب ليل الوجد، وللمعلم القامة العُليا من الحب المقرون بالخوف والاحترام. ما كان للفتاة الصغيرة أن تجتاز مرحلة الحلم لولا القلوب التي أحاطتها بالعناية والرعاية والحب، وأسكنتها في قلب النبض لتكون كما تبتغي وارفة الحضور، بهيّة الفكر، نضِرة الحرف، كما شاءت لها اللحظة/ القدر.

هناك على مقاعد الدرس، كان الحلم أبسط من خيال طفلة، والأمنية أشسع من جنونها النافذ، وما يدور حولها كثير، الزمن بحر تتلاطم أمواجه، الوقت زحمة من العمر والألوان والحكايات الطوال، الحدث، القضية التي جعلت العالم على صفيح أشد حرارة من صيف الخليج العربي.

المدارس كانت مختبراتنا الحقيقية، لم تفصلنا عن الحدث، كنّا في قلبه فكراً ورأيا وسلوكاً، جيل مرتبك كان جيلنا، لكنه متمسك بثوابت لا تتزعزع أو تُقهر، ورغم صلابة الأرض التي يقف عليها إلاّ إنه كان قادراً على استيعاب المرحلة بكل تجلياتها، عقول صغيرة رغم صعوبة المواقف كانت تستطيع التعبير عن ذاتها، وأن تعبر بسلام نحو وعيٍ أشمل، وفهمٍ أوسع، وإدراكٍ أكثر شمولية ورعونة.

في المدارس تعلمنا الكثير، المدرسة كانت هي الحاضن الأول لنا، فيها رسمنا أحلامنا، وعايشنا قضايانا، ونما وعينا بكل شيء، المدرسة كانت تعني لنا الشيء الكثير بجدرانها، بفصولها البعيدة والقريبة، بمقاعدنا البنيّة الصغيرة، ومقاعدنا «كراسينا» الخشبية الصابرة، بكتبنا التي لم يعلوها غبار، وبطموحاتنا وأحلامنا، وآمالنا في غدٍ أفضل، بإيماننا بقيم الحب والخير والسلام، وباتجاه أعناقنا كل صباح نحو السماء نحيي العلم.

طوابير الصباح كانت هي المدرسة الحقيقية من خلالها عرفنا قيمة الوطن وأحببناه، هتفنا للعلم ورسمناه بين ضلوعنا ألوان وفاء، طابور الصباح علّمنا قيمة الصبر، ومعنى الإصرار على التفوق، غسل أرواحنا بماء الحب، والتميز، والألفة، من هنا كان للشابة الطموحة، والإعلامية الواعدة حضورها، وجنونها، ولهفتها، وأمنياتها التي تمتشق صدر الريح كل صباح لتتجه نحو الضوء، النور الذي زرع هالة من فرح في روحها، وأثمر زرعاً جنيّاً.

دانات*

وذكـرّني هـــواي وزاد مـــا بـــي
حمـــامٍ نـــاح فـــي روس الروابـــي
حمـــامٍ فيـــه مختلـــفُ اللحـــون
حزيـــنٍ مستليـــع وشْيَ رابـــي
ولا أدري بِمـــا وآلـــهْ عليـــه
ولا هـــو زاد فـــي الماضـي درى بـــي
على دهـــرٍ مضى لـــي مـــن زمـــان
رعاك اللـــه يـــا عصـــر التّصابـــي!

*للماجدي بن ظاهر رحمه الله تعالى المتوفى سنة 1871.

شعراء كبار ماتوا شباباً

عزت عمر

رأى بعض الدارسين أن الشعراء عموماً أعمارهم أقصر من أعمار الناس الآخرين، ولعلّ تفسير هذه الظاهرة الغريبة يعود إلى الحساسية الزائدة ورهافة الحسّ وتوقد المشاعر فيما لو أردنا تعليلها أدبياً، ولكن كظاهرة عامة قد تكون من اختصاص علماء النفس، فهم القادرون على تحليلها علمياً وتبيان أسبابها المحيّرة. إنهم، كما يبدو لي، أشبه بالطفرات الإبداعية التي تولد كبيرة أو لعلهم كالنجوم التي تولد مشعّة لتهدي ضوأها لسابلي الدروب، يقولون الشعر مبكّراً ثم ما يلبث الموت أن يختطفهم تاركاً على وجوهنا ملامح الحيرة والذهول من هذا الظلم أو الغبن الذي وقع عليهم، لكن عزاءنا أنهم يتركون نتاجاً إبداعياً يخلّد ذكرهم ويجعلهم أحياء وكأنهم يعيشون بيننا.

امرؤ القيس

يأتي في مقدّمة هؤلاء الشعراء الشاعر الجاهلي امرؤ القيس (500. 540 م) الشاعر الجاهلي صاحب المعلقة الأشهر وصاحب المكانة الرفيعة في الذاكرة الثقافية والإبداعية العربية لما اجترحه من مقترحات في بنائية القصيدة العربية في العصر الجاهلي وهو ما اصطلح عليه النقّاد بعمود الشعر الذي نهضت عليه القصيدة كالوقوف على الأطلال وتذكّر الحبيبة والتغزل بها ووصف الراحلة والغرض أو المقصد المراد إيصاله الذي بدوره ينطوي على بعض القصص الفرعية والذكريات والختام بالحكمة غالباً.

ومن جانب ثان سيرته الشخصية كونه ابن ملك كندة، وكان قد قتل وبات على امرئ القيس الشاعر اللاهي الذي أمضى شبابه في معاشرة النساء وقول الشعر في الحسناوات اللاتي يعاشرنه، وبحسب العرف القبلي الجاهلي بات ملزماً بأخذ الثأر، وفي هذا الصدد تذكر المراجع قولته الشهيرة: «ضيعني أبي صغيراً وحمّلني دمه كبيراً، اليوم خمر وغداً أمر» فباتت هذه العبارة مضرب مثل حاضراً في الذاكرة أيضاً. ومن أجواء معاناته في الطريق إلى قيصر الروم لطلب السلاح والمساعدة نظراً للعلاقات الوطيدة الكائنة ما بين كندة والبيزنطيين عبّرت عنها سيرته الشخصية وقصيدته الشهيرة:

بكـــى صاحبي لمـا رأى الدرب دونـــه
وأيقـــن أنا لاحقـــان بقيصـــرا
قلت لـــه لا تبـــك عينـــك إنمـــا
نحـــاول ملكـــاً أو نمـــوت فنعـــذرا

ومات الشاعر الأشهر في أواخر الثلاثينيات من عمره مخلّفاً 35 قصيدة هي كلّ ما بقي من شعره استهلها الزوزني بمعلّقته الشهيرة:

قفا نبـك مـن ذكـرى حبـيب ومنـزل
بسقـــط اللوى بين الدخـــول وحومـل

ومن وصفه المتقصي المتغزل في المعلقة ذاتها عن أم الحويرث وجارتها أم الرباب:

إذا قامتـا تضـوّع المسـك منهمـا
نسيـم الصّبـا جاءت بريّـا القرنفـل
ففاضـت دموع العـين منى صبابـة
على النحـر حتّى بل دمعـي محملـي
ألا ربّ يـوم لك منهـن صالـح
ولاسيّمـا يـوم بـدارة جلجـل
ويوم دخلـت الخـدر خـدر عـنيزة
فقالت لك الويـلات إنـك مرجلـي
تقول وقد مـال الغـبيط بنـا معـاً
عقرت بعـيري يا امرئ القيـس فـانزل

طرفة بن العبد

ومن شعراء الجاهلية أيضاً الشاعر طرفة بن العبد (543. 569م) صاحب المعلّقة الخالدة:

لخولـة أطـلال ببرقـة ثهمـد
تلوح كباقي الوشـم في ظاهـر اليـد
وقوفاً بهـا صحـبي علي مطيّهـم
يقولـون لا تهـلك أسـى وتجلّـد
كـأن حدوج المالكيـة غُـدوة
خلايـا سفينٍ بالنواصـف مـن دِدِ
عدوليـة أو مـن سفـين ابن يامِـنٍ
يجور بهـا المـلاّحُ طوراً ويهتـدي

مات وهو في السادسة والعشرين من عمره وفق بعض الروايات، ولكنه موضعَ نفسه في قائمة الصدارة، وبين السبعة المختارين الكبار، لما امتاز به شعره من صدق المشاعر ونبل العواطف والوجدان في زمان حفل بالشعراء العظام.

خلفان بن مصبّح

وقد تتبعنا في هذه الدراسة سيَر شعراء آخرين ممن عاشوا عمراً قصيراً لكنهم بالرغم من ذلك خلّدوا أسماءهم في صفوف الكبار، ومنهم الشاعر الإماراتي خلفان بن مصبّح (1923 - 1946) وهو من جيل الروّاد وشعراء منطقة الحيرة في الشارقة.. مات في ريعان الشباب ولم يتجاوز الثالثة والعشرين، لكنه كتب شعراً وجدانياً لا يقلّ إبداعاً عن سابقيه لاسيما وأنه ترك عدداً من القصائد التي يمكن الإشارة إليها والإشادة بها، ولكنه لم يجمعها في ديوان بسبب المرض والظروف القاسية التي عاشها في ذلك الزمان، غير أن المهتمين بالتراث الشعري الإماراتي تمكّنوا من جمع قصائده بواسطة بعض أهله، ثمّ نشرت في ديوان سمّي بـ «الشاعر الجامح» وفي طبعة ثانية «ديوان خلفان بن مصبح». ومن هنا، فإنه ليس غريباً أن يبدع خلفان بن مصبّح في قصيده ويقدّم إضافته المميزة في كلّ قصيدة نظمها، ولا سيما القصّة أو الحوارية الشعرية كما في الأبيات التالي:

هذا مغـــنّ أغـــنُّ الصـــوت ذو هيف
العـــود في يـده يرجـــوك إيذانـــا
قالـــت فغنّ لنـــا شيئـا فقـــال لهـــا
يا نظـــرة قدحـــت في القلـــب نيرانـــا
فاستضحكـــت ثم قالـــت إن ذا حسـنٌ
لكـــن أريـــد ســـوى هذا فغنانـــا

فماذا سيغني لها من أغنية تنسجم وكلّ هذا الجمال الفتان، لابدّ أن الحيرة فعلت فعلها في الشاعر المفعم بالحبّ فغنّى لها من تراث الحبّ بيتي جرير المشهورين:

إن العيـــون التـــي في طرفهـــا حـــور
قتلننـــا ثـــم لم يحـــيين قتلانـــا
يصرعن ذا اللـــب حتى لا حـــراك بـــه
وهنّ أضعـــف خلق اللـــه إنســـانـــا

أبو القاسم الشابي

وهذا النوع من التناص يسمّى تضميناً ويدلّ على ثقافة الشاعر وعلى حساسيته الشعرية، فضلاً عن الغاية البنائية، وقد رأى أنه من المناسب أن يفعلها جرياً على عادة الشعراء ويمكننا في هذا الصدد التماس شيء من هذا القبيل لدى الشاعر أبو القاسم الشابي (1909-1934) في عدد من قصائده، وبخاصة قصيدته الشهيرة «نشيد الجبّار»، المعبّرة عن معاناته من المرض وبعض الحاسدين:

سأعيـــش رغـــم الداء والأعـــداء
كالنســـر فوق القمّـــة الشمـــاءِ
أرنو إلى الشمـــس المضيئـــة، هازئـــاً
بالسحـــب، والأمطـــار، والأنـــواءِ
وأسيرفـــي دنيـــا المشاعـــر حالمـــاً
غـــرداً، وتلك سعـــادة الشعـــراء

ولسنا في صدد المقارنة بين شعر الشاعرين، فلكلّ منهما رؤيته ولغته وتعابيره الخاصّة، وإنما للتنويه إلى التقاطعات الكثيرة بينهما من حيث المعاناة والعزلة والنبوغ. مات الشاعر أبو القاسم الشابي الذي ولم يتجاوز الخامسة والعشرين، وخلال هذا العمر القصير كان أحد أهم شعراء النصف الأوّل من القرن العشرين وأحد أهم شعراء حلقة أبولو الشعرية، وقد اشتهر ديوانه «أغاني الحياة» في الحياة الثقافية والإبداعية العربية مسجلاً اسمه في قائمة الخالدين.

رياض الصالح الحسين

وإلى جانب الشابي ومصبح يقف الشاعر السوري رياض الصالح الحسين الذي مات سنة (1982) وهو في الثامنة والعشرين من

رياض الصالح الحسين

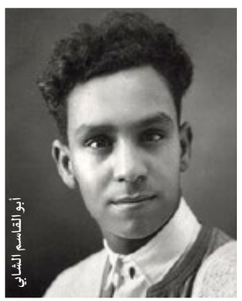
أبو القاسم الشابي

عمره مخلّفاً أربع مجموعات شعرية انعطفت بشعر الحداثة السوري نحو آفاق إنسانية وشعرية تقارب شعرية «رامبو» في مسألة الشاعر الرائي، كان بدوره طفلاً هائماً كوعل في غابة موحشة، آثر أن يضيء مجاهيلها بتلك اللغة الرمزية البالغة في عفويتها وإنسانيتها، كومضة خلاّقة تنفتح على حبّ كبير للناس والطبيعة والأشياء.

سنقرأ له ما كتبه عن نفسه... عن ذلك الرجل المنسيّ الذي عمره اثنتان وعشرون برتقالة، كلاماً يدهش قارئه:

«قالـــت المـــــرأة لـــي:
أنت تهذي كثيرًا بأسماء الأسماك والأعشاب البحريَّة
وتفتح مملكة دماغك ليل نهار لقوافل الغجر التائهة
وتمزّق بأظافرك لحم الأبواب والجدران السميكـــة
فأيّ الأشياء أحبّ إليك:
أن تمضغ بشـــراسة رؤوس العصافـــــير؟
أو أن تكسّر الصحون والموائـــد المصنوعة
مـــن خشـــب الجـــوز؟
قالت له: عيناك مرآتان لخمسين قارة من الوجع والانتظار»!

إنها، كما تبدو لقارئ النصّ امرأة أسطورية ترتدي العاصفة وتشبه تلك التي آنست الكيد وفي ملحمة «جلجامش»، بل لعلها تشبه «عرّافة طيبة» التي أنبأته بقدره «قالت المرأة القاسية: أبتكرلك الدنيا.. خمسة جدران بيض وسريرًا أبيض ووردة بيضاء في كأس»

وفي الوقت ذاته تحرّضه على مزيد من الكشف من خلال الحوار الدائر بينهما:

«وقالت لي أيضًا
وهي تنظر إلى الرأس
المشوّه المتوتّر في لوحة لسعد يكن:
أمك بجانبك تنحني عليك كيمامة
وأصدقاؤك يقبلون في المناسبات
وأنا أدفئك في ليالي تشرين الباردة
وأرسل إليك الأحلام الشاسعة والمكاتيب
فماذا تطلب غير ذلك؟
أتريد أن تفجّر النبع؟ أم تودّ أن تحرث المجرّة؟
أنا الرجل السيء
كان عليّ أن أموت صغيرًا
قبل أن أعرف الأشجار الارهابية ومافيا السلام
وفاة بائع المرطبات على سكة القطار
والغجرية التي أهدتني تعويذة وقبلة
وكثيرًا من الأكاذيب
أنا الرجل السيئ
كان عليّ أن أموت صغيرًا
قبل أن تفترسني الوردة،
وينحت الفنان النظيف من عظامي القلائد
والأقراط».

آرثر رامبو

ومن الشعراء الأجانب الذين ماتوا وهم في سن الشباب نتوقف عند الشاعر الفرنسي آرثر رامبو (1854 - 1891) الذي كتب أشهر أعماله وهو في سنّ المراهقة، وانعطف بالشعر الفرنسي وموضع نفسه كأحد أكبر شعراء فرنسا من خلال قصيدتين شهيرتين: «المركب النشوان» و «ما يقال للشاعر عن الأزهار.

وفي كتابه «رامبو وزمن القتلة» أكد الروائي الأميركي الكبير هنري ميللر أن الأدب الفرنسي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان يعيش حالة صراعية بين ثلاثة اتّجاهات: الواقعية، الطبيعية، والرومانسية، وكان كل اتجاه يسعى إلى فرض رؤيته على الآخرين، ثمّ جاء بودلير بموهبته الفذّة ليجمع بين هذه التيارات في جدول واحد أسماه «عفوية الشاعر» وأن الشعر هو الشاعر، وهو هذه الفعّالية المبدعة التي تصهر العالم الخارجي

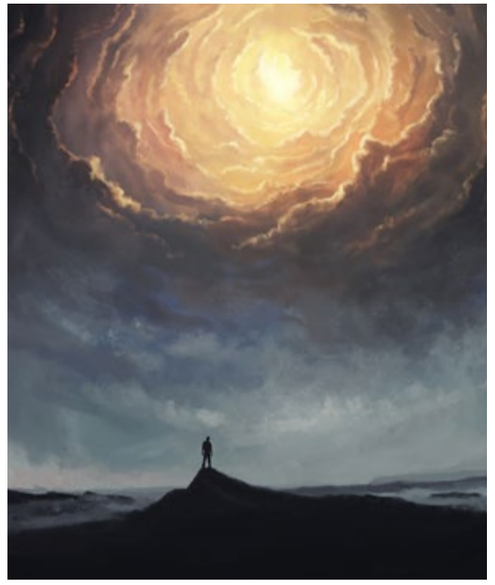

آرثر رامبو

الكسندر بوشكين

لوتريامون

ميخائيل ليرمنتوف

والشاعر في خيال مبدع أشبه ما يكون بالسحر...

وقد استفاد رامبو من هذا المفهوم الحي العميق للشعر فوضع فلسفته الجديدة التي أسماها «فلسفة الرائي» وعلى حدّ تعبير ميللر أنه بهاتين القصيدتين ارتقى إلى مرتبة أعظم شعراء فرنسا وهو لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره. ومن المركب النشوان اقتطفنا النصّ التالي:

«غسلتـــني قصيـــــدة البحـــــــر
وابتللـــــــت بلمعـــــان النجـــوم
وانطلقـــــــت متلألئـــــاً ناصعـــــاً
لكـــــي أفترش الآفـــــاق الخضـــــراء»

وعن الطيور الذهبية التي تحفل بها قصائده، يذهب ميللر إلى أنها ليست حمائم ولا جوارح، إنها تسكن الأنواء، رسلاً تحضنها الظلمة، وتنطلق في نور الإشراق.. إنها طيور الروح العابرة المتنقّلة من شمس إلى شمس، وهي ليست سجينة القصائد، وإنما هي حرة، متحررة، لم يتقبلها المجتمع الثقافي في باريس بعدما هزّ كيانه هذا الشاب المقبل من الريف، فانسحب الشاب من هذا المجتمع ومن الأدب غيرآسف.

لوتريامون

ومن فرنسا أيضاً نختار الشاعر الشاب لوتريامون (1846 - 1870) واسمه الحقيقي «إيزيدور دوكاس» الذي مات في الرابعة والعشرين وكان، بدوره قد انعطف بالشعر الفرنسي نحو الحداثة ووعيها فكان أوّل من كتب قصيدة النثرفي كتابه «أناشيد مالدورور» على الإطلاق ، ومن المفارقات التي تحدث عادة مع أصحاب المواهب الأدبية المغايرة للأنماط التقليدية السائدة أن لا يهتمّ النقّاد والوسط الثقافي بهذا المبدع ويتم تجاهله ولذلك فإنه طبع ديوانه على نفقته الخاصة، ولعلّ الشاعر بودلير هو الوحيد الذي أعجب بهذه الأناشيد وأوصى الناشر الاهتمام بها وفق مقدمة مترجم الكتاب إلى العربية.

الكسندر بوشكين

الشاعر والروائي الروسي الكبير الكسندر بوشكين(1799 - 1837) مات في الثامنة والثلاثين لكنه كتب المسرح والرواية والشعر وهو في مطلع العشرينيات من عمره إذ نشر روايته «روسلان ولوديميلا» عام 1820، ثمّ توالت أعماله الإبداعية إلى يوم وفاته المؤسفة، وقد اتفق دارسوه على تسميته بـ«شاعر روسيا العظيم» ومؤسس الأدب الروسي الحديث. وكان بوشكين من الشعراء الرومانسيين الكبار الذين ووقفوا إلى جانب نضال الشعوب المظلومة ودعوا إلى تحررها وإرساء قيم الإخاء والمساواة وسوى ذلك من قيم حرص عليها وفي مقدمتها الحرية:

«هل ستأتي ساعـــة حريتي؟
حان الوقت، حان الوقت، إنني أدعو لها
وأنا أتجوّل فوق البحر، وعبثاً آمل فيها
وأهيب بأشرعة السفن
وأستلّ قدّاس العواصف، وأنا أتجادل مع الأمواج
بمفترق طريق البحر الحر»

وكان بوشكين قد تعاطف مع حركة الديسمبريين وثورتهم، وهم مجموعة من النبلاء الروس الذين سعوا إلى إلغاء نظام القنانة ونيل الحرية ووضع حدّ للظلم ولاستبداد ومنظومة الفساد التي أخّرت روسيا عن سيرورة التقدّم الجارية في أوربا، ومن هنا فإن الشاعر تبنّى هذه القيم الرفيعة وضمّنها أشعاره:

«وسأظل طويـــــلاً عزيـــزاً على شعـــــبي
لأنني قد أيقظت بقيثـــارتي مشاعر طيّبـــة
ولأنني باركـــت الحريـــــة في زمني القاســـي
فمـــــــــتى أبـــدأ في الركض الحـــرّ؟
فقد حان الوقت لمغادرة الشاطئ الممـــل»

ميخائيل ليرمنتوف

ومن روسيا أيضاً نتوقّف عند الشاعر الكبير ميخائيل ليرمنتوف

(شاعر القفقاس (1814 - 1841) الذي مات وهو في السابعة والعشرين من عمره وكان قد كتب قصيدته الأولى «الشيطان» عام (1829) وهو في الخامسة عشرة من العمر وهذا يعني أنه موهبة استثنائية وقدّم أعمالاً استثنائية بحق من مثل قصيدته الرثائية للشاعر بوشكين، و«الشركسي» و«أسير القوقاز» إلى جانب مسرحيتين «حفلة تنكرية»، و«الشقيقان». وروايته المهمة «بطل من هذا الزمان» وبعد موته في مبارزة قال الناقد الروسي بيلنسكي، بعد أن تناهى إليه نبأ مقتل الشاعر ليرمنتوف: «نستقبل طبعة جديدة لرواية«بطل من هذا الزمان» بدموع حارة على خسارة الأدب الروسي بموت ليرمنتوف». كما قال بيلينسكي أيضاً: «لقد ظهرت في روسيا موهبة جديدة قوية - ليرمنتوف.. ويبدو لي أنه سيظهر في هذا الفتى شاعر روسيا الثالث، وأن بوشكين لم يمت من دون أن يترك وريثاً له:

ومن قصيدته «موت الشاعر»:

«مات الشاعر!
سقط عبداً للشرف
الرصاص في صدره يصرخ للانتقام
والرأس الشامخ انحنى في النهاية
مات!
فاضت روحه بالألم من الافتراءات الحقيرة
حتّى الانفجار
وحيداً وقف في المواجهة، وها قد قتل!»

وعوقب ليرمنتوف بسبب هذه القصيدة التي تشير إلى تورّط الأمن القيصري بنفيه إلى القفقاس بعدما انتشرت القصيدة في الأوساط الأدبية والشعبية، وبعد أن جرّد من رتبته في الحرس الإمبراطوري وألحق بفرقة الفرسان التي كانت تحارب هناك على أمل مقتله أو أسره، لكنه تعاطف مع الشعب القوقازي، وعلى حدّ تعبير رفعت سلاّم «تمثّل الجغرافيا القوقازية طرفاً أصيلاً في تكوين عالم القصيدة لديه، ومن هذه الأجواء اخترنا قصيدة «الخنجر» ويقول فيها:

«أحبّك كثيراً يا خنجري الأمين
أيها الرفيق المجبول من صلب دمشقيّ بارد!
لقد صاغتك أيدٍ جورجية بنية الانتقام
ومع الشركسي الأبيّ أصبحت باكراً من أجل الحرب.
يدٌ طاهرة من أسلمتك لي
فكنت تذكار حبّ، كنت هبته الأخيرة..
وما كان دماً، بل دموعاً من اللؤلؤ أطلقها عذاب
الفراق المرير لتنساب على نصلك سريعة.
واستراحت عيناها السوداوان المفعمتان بالألم
بالأسى والغموض على وجهي
مثلك عندما تبدو غلى ضوء اللهب الوامض
غائماً وكئيباً حيناً وحيناً لامعاً ومشرقاً».

وتهاوى ليرمنتوف إلى الأرض الجبلية الندية والرصاصة في قلبه من دون أن يكمل السابعة والعشرين»

والقائمة قد تطول كثيراً لتشمل عدداً كبيراً من الشعراء عرباً وأجانب خلّدوا اسماءهم بأحرف من نور بالرغم من أعمارهم القصيرة فاستحقوا المجد والخلود ■

* ناقد سوري مقيم في الإمارات

من حكايات إيسوپ

محمد عبد الفتاح

1 - الديك واللؤلؤة

في يوم من الأيام، كان الديك يتمشّى في المزرعة بين الدُجاجات وهو نافشٌ ريشَهُ، متباهٍ بنفسه، وفجأةً لمح شيئًا يومض تحت القش الذي يغطي أرض المزرعة، فالتقطه في الحال وهو يصيح قائلاً: «مرحى! مرحى! هذا لي أنا». ولم يكن هذا الشيء إلا لؤلؤة ضاعت ذات يوم من شخص ما بالصدفة في المزرعة. خاطبها السيد الديك قائلاً: «قد تكونين كنزًا بالنسبة لشخص يعرف قيمتك.. أما بالنسبة لي، فحبة واحدة من الذرة أغلى عندي من مئة لؤلؤة».

الحكمة: الأشياء الثمينة لمن يعرف قيمتها.

2 - الذئب والحمل

مبكرٌ في صباح يومٍ من الأيام، وقف حَمَلٌ شارد ليشرب من جدول ينساب ماؤه من أعلى التل. في هذا الصباح أيضًا، جاء ذئب جائع ووقف بعيدًا أعلى الجدول ليبحث عن شيء يأكله. وسرعان ما وقعت عيناه على الحمل.

بصفة عامة، الذئب يحب هذه الحيوانات اللذيذة ويلتهمها بلا أي تردد، ولكن هذا الحمل الصغير يبدو عاجزًا وبريئًا لدرجة جعلت الذئب يشعر أن من واجبه أن يجد لنفسه عذرًا لكي يأكل هذا الحمل الوديع. صرخ الذئب بصوت عالٍ قائلاً: «كيف تتجرأ وتحرك يديك ورجليك في جدولي وتعكّر الماء هكذا؟ أنت تستحق عقابًا شديدًا على عملتك هذه!» رد الحمل قائلاً: «ولكن يا صاحب السمو.. تذكر أنك في أعلى الجدول وأنا في أسفله».

رد الذئب بغضب قائلاً: «أنت فعلاً تعكره.. وفوق ذلك.. فأنا سمعتُ أنك قلت عني أشياء كاذبة في العام الماضي!" فتوسل إليه الحمل والدموع تملأ عينيه قائلاً: «كيف أكون قد فعلتُ ذلك؟ أنا مولود هذا العام يا سيدي».

«إن لم تكن أنت.. فربما هو أخوك!»

«ليس لي إخوة يا سيدي.. أنا وحيد.»

زمجر الذئب قائلاً: «على كل حال.. كان شخصًا من عائلتك.. لا يهمني من هو.. ولن يقنعني أحد بأن أتخلى عن إفطاري». وبلا أي كلمة أخرى، هجم الذئب على الحمل المسكين، وحمله بعيدًا إلى داخل الغابة.

الحكمة: الطاغية يستطيع دائمًا أن يجد سببًا لطغيانه. والظالم لن يستمع أبدًا إلى حجة الضحية البريئة ■

النصب الأصلي سيغموند فرويد في براغ

الجنون عبقرية أم العبقرية جنون

نوزاد جعدان

على مختلف العصور، اهتمت الأمم بموضوع العبقرية، ومدى تقاطعه مع الجنون، ودرسوا انحرافات العباقرة عن السلوك المألوف، وعاداتهم الغريبة، وخلطوا بين الجنون والعبقرية، أو العبقرية، والتلبس بالجن. ووردت الكثير من القصص والروايات العربية عن العبقرية ووادي عبقر وارتباطه بالعبقرية. وذكر ابن منظور الأفريقي المصري في لسان العرب أن «عبقر موضع بالبادية كثير الجن. ويقال في المثل: كأنهم جن عبقر... ثم نسب العرب إلى ذلك الموضع كل شيء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعه وقوته فقالوا: عبقري، وهو واحد وجمع، والأنثى عبقرية، يقال ثياب عبقرية».[1]

ويؤكد هنا ابن الأثير، ما أشار إليه ابن منظور، من أن كلمة عبقرية منسوبة إلى وادي عبقر: «عبقر قرية تسكنها الجن فيما زعموا، فكلما رأوا شيئا فائقاً غريباً مما يصعب عمله ويدق، أو شيئاً عظيماً في نفسه نسبوه إليها فقالوا» عبقري، ثم اتسع فيه حتى سمي به السيد أو الكبير. وفي الحديث: إنه كان يسجد على عبقري وهي هذه البسط التي فيها الأصباغ والنقوش، حتى قالوا ظلم عبقري، وهذا عبقري قوم، للرجل القوي، ثم خاطبهم الله تعالى بما تعارفوه: فقال «عبقري حسان».[2] أما في اللغة الإنجليزية فتشير «كلمة genius التي تعبر اليوم في اللغة الإنجليزية عن معنى العبقرية، أو العبقري، وهي في الأصل كلمة لاتينية استخدمت عند الرومان للتعبير عن معنى ديني، هو روح أب الأسرة، أو أم الأسرة، وقد كانوا يعبدونها، ولم يكن المقصود بروح الأب أو الأم الأسرة الزوجين الموجودين على قيد الحياة، أو المتوفيين. فواضح من الوثائق القديمة، أنها لا تذكر روح أي شخص ميت. ولم تكن ثمة عبادة تقدم إلى روح أي فرد من الأسرة، والمحتمل ان يكون المقصود بروح الأب، وروح الأم تلك الأشكال الذكرية والأنثوية لقوة الأسرة، أو العشيرة خلال الفترة الحالية، ثم هي تخرج عن نطاقهم عند الموت للتلبس بأبنائهم وبناتهم».[3]

تطور عند الرومان معنى جيناس إلى الجري وراء الهوى في الحياة، ويذكر الشاعر الروماني هوراس، أن الجيناس وحده يجعل الشخص مختلفا عن سواه، وتطلق العبقرية أيضاً على القدرة الإبداعية في الفنون الجميلة. يقول شاتوبريان: «إذا كان الشخص مفطورا على العبقرية، فإن تذوقه هو الذي يحفظها له. ويعرف شيني العبقرية بأنها العقل في أعلى مراتبه. أما فيكتور هيجور فإنه يعرفها بأنها العقل الكبير، أما لابروبير فإنه يعرف العبقرية بأنها الإلهام. فالعبقري يصدر عن عبقريته، بغير إعداد وتعرف العبقرية أيضاً بأنها أخلاق متميزة. وأنها طبيعة خالصة نقية».[4]

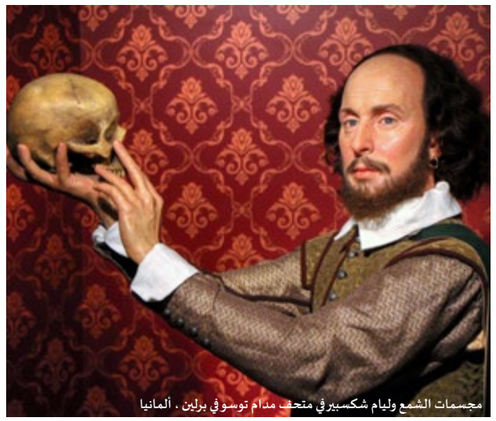
مجسمات الشمع وليام شكسبير في متحف مدام توسو في برلين . ألمانيا

الجنون الإيجابي

وهذا هو الاختلاف الجوهري الذي يجعلنا نحكم على أحد ما بالجنون بمعناه الإيجابي، أي المتحمس، والمختلف، والثائر ضد القوانين الثابتة، وربما قد يشارك الأصل اللغوي للكلمة في تعزيز هذا الغموض؛ لأن كلمة مجنون fou مشتقة من الأصل اللاتيني follis ومنه اشتُقت كلمة مجنون fol في العصور الوسطى- والتي تعني كِيسًا أو بالونًا منفوخًا بالهواء تتقاذفه الرياح هنا وهناك، وهي روح هائمة تقفز من مكان إلى آخر على غير هوادة باحثة لا تعرف الاستقرار، نفس غير مطمئنة تريد أن تجد لنفسها مكاناً عبر هذا العالم، وتريد أن تكتشف نفسها المادية، وموقعها من هذا الكون.

يترك التمرة ويأخذ النواة!

ولابد أن نشير إلى ظاهرة التقليد في العبقرية، وهي ظاهرة أصبحت مستفحلة جدا بطريقة مقززة، ونذكر هنا قصة سقراط حين دأب على التفكير في موضوع شغله، فلم يغير موضوعه، وظل جالساً يتأمل يوماً كاملاً من دون أن يغير موضعه، مما دفع ببعض الأيونيين بتقليده ليأخذوا بالظاهر والقشور من دون البحث عن الجوهر، والآن نرى الكثير ممن يدعون العبقرية يهللون في الشارع، أو يبدون سلوكاً راديكالياً ليتشبهوا بالعباقرة شأنهم شأن من يترك التمرة ويأخذ النواة.

• يقول مؤلف «رحلات غوليفر» الكاتب الإيرلندي جوناثان سويفت «لا توجد على الإطلاق موهبة فطرية خالصة إلا بمسٍّ من جنون»، فهل هذا هو الجنون بمعناه المطلق أم انزياح في المصطلح يدل على الاختلاف، وأعني تباين في طريقة الحياة والتفكير، فالكاتب عموماً ميال إلى نوع من العصاب الذي يكون على شكل وسواس المعرفة، وشغف الاكتشاف والتنقيب في المجهول، ومحاولة احتوائه، والقبض على هذا الكون من خلال اختزاله في جملة من الأرقام، والمفاهيم المجرّدة المنتظمة، والمرتبة في مكانها إلى الأبد. وعلى الرغم من كون «نظرية التحليل النفسي الحديثة تعتقد أيضًا أن العبقري شأنه شأن العصابي والمريض العقلي من حيث إن ما يصدر عنه يتمثل في الصراع الأساسي فيما بين الذات والبيئة، فإن هذه الصراعات تجد لها حلاً لدى العبقري بطريقة تجعل الأعراض، والنتائج مفيدة اجتماعياً وتلقى تقديراً من الناس».[5]

وفي المقابل، يشير أفلاطون إلى أن الشاعر يسمو إلى مرتبة عليا، إذ إن الإلهام مرتبط عنده بهيمان الروح إلى سماوات أخرى وتجاوز العالم المادي إلى عوالم روحانية، ويقول في هذا الصدد: «إن الشاعر كائن أثيري مقدس ذو جناحين لا يمكن أن يبتكر قبل

أن يلهم فيفقد عقله، وما دام الإنسان يحتفظ بعقله فإنه لا يستطيع أن ينظم الشعر».[6]

أما فرويد، فإنه يؤكد أيضاً فكرة كون المتاعب النفسية لدى العبقري، وإحساسه بالتوتر هي ما تدفع به إلى العبقرية فهو يقول مثلاً «إن الناس السعداء، لا يمكن أن يلجؤوا إلى أخيلتهم ولا يعمدون إلى الغوص في الخيال، بيد أن حالات الحرمان وحدها والرغبات غير المشبعة وحدها هي القوة الدافعة خلف الأخيلة، ولا شك أن كل خيال منفصل يتضمن إشباعاً لإحدى الرغبات، ويعمل على تحسين، واقع غير مشبع».[7] وفي سنة 1928 نشر «لانج إيكباوم» كتاباً سماه «مشكلة العبقرية»، وفيه يقرر أن أقلية من بين العباقرة هم الذين لم يعرف عنهم أنهم عانوا من الاضطراب العقلي، في حين أن الغالبية العظمي كانت تعاني من بعض الاضطرابات، ولو لفترة محدودة في الحياة. وقد أورد هذا الباحث احصائيات عن عدد كبير من العباقرة، وبالنظر في حياة 78 عبقرياً هم أعظم الأسماء جميعا يتبين أن 83 % منهم كانوا يعانون من بعض الاضطراب العقلي أو النفسي وعدما قصر تحليله على 35 عبقرياً يمثلون القمة من العباقرة الثمانية والسبعين تبين أن 90 % منهم كانوا يعانون من اضطراب عقلي ونفسي».[8]

عباقرة أم مجانين!

ونذكر أن كثيراً من العباقرة ساهموا في صناعة التاريخ وشاركوا في إيصال رسائل الفن، فهل كان الرسام الهولندى فان كوخ، مجرد معتوه أبله أم عبقرياً ومجنوناً في آن واحد يمزج تلك الألوان مع بعضها وتظهر في النهاية لوحة فنية تعتبر انقلابا في مجال الفن التشكيلي؟ وهل كان البروفيسور ويليام تشيستر ماينور مجنونا فاقدا للعقل والوعي أثناء مساهمته في صياغة قاموس أكسفورد، بعدما اطلع على إعلان من أجل المشاركة تطوعيًا، في كتابة قاموس أكسفورد الانجليزي، فكان من أنشط المشاركين، إذ قضى بقية حياته في هذا العمل، وهو يستخرج كافة المصطلحات والاقتباسات، ويحولها إلى مفردات انجليزية، تقبل الاستخدام والتداول، مستخدمًا في ذلك الكتب التي قرأها مصدراً له؟

وربما يمكن الاستشهاد بنص مسرحية شكسبير على لسان هاملت حين يقول: «إذا كان هذا جنوناً إلا أنه يحمل بداخله منهجاً».[9] ويمكن القول، أن هذه الغرائبية في شخصية العبقرية نابعة من إحساسه بتفوقه على أقرانه، وتصميمه على التفوق على كل المعايير القائمة وانشغاله الدائم بإثبات هذا التفوق متحديا كل الظروف حتى لو نعته المجتمع بالمجنون، كثيرة هي الأمثلة بدء من الحياة الماجنة للورد بايرون الذي نعته صديقه الكاتب الطبيب جون ويليام بوليدوري في قصته القصيرة بمصاص الدماء، أو صديقه الشاعر شيلي والتي نسجت عنه زوجته ماري شيلي روايتها فرانكشتاين. ففي خطاب وجهه شيلي إلى بايرون في

تمثال لسقراط من أكاديمية أثينا بالنمسا

29 سبتمبر 1816 يقول: «ولست أرجو إلا أن تشعر منذ اللحظة التي يبدو لك فيها الجانب الحق من الأشياء أنك مختار من بين الناس أجمعين، للقيام بمشروع فكري أعظم مما يستطيعون، ويقول بايرون في خطاب إلى كينارد يوم 31 مارس 1817: إذا لم أستطع الفوز على الجميع فلن تعني المحاولة شيئا بالنسبة لي»[10] كما ترتبط العبقرية كثيرا بالظروف العائلية والمتطرفة التي يحياها المبدع في طفولته أو في سني صباه الأولى كما يشير المؤلف أندرو روبنسون «إنَّها لفكرة جذَّابة أن نعتقد أن العبقرية تترعرع في هذه الظروف المتطرفة في الطفولة، سواء ظروف المحنة والصراع أو ظروف الدعم والحب. ومن اليسير أن نظن أن الإبداع الاستثنائي ناتج بالضرورة عن انفعالات استثنائية. لكن الظروف الأسُرية للعباقرة لا تؤكِّد صحة هذه الصورة إلا بدرجة جزئية، وتزيدها تعقيدًا في الوقت نفسه».[11]

الشعرة بين العبقرية والجنون

إنها فوضى الحياة، والبشر، وجزء من هذه الفوضى والعبثية، ولعل السمة البارزة بين مختلف هؤلاء العباقرة ميلهم إلى الانطوائية الجزئية التي هي ظاهرة مشتركة بينهم. فالانطوائي إنسان عاجز عن التأقلم مع مجتمعه فيحاول صنع وإبداع علم خاص به، وهذه الانطوائية تتيح لهم الوحدة، والاستقلالية، وفرصة التأمل. لتتآلف هذه الأفكار، مع مقولة الفيلسوف الدنماركي سورين كيركجارد عن العباقرة عندما قال: «هناك شعرة رقيقة جداً تفصل بين العبقرية والجنون»، فالاثنان ميالان إلى الانطوائية إلى الخارج عن المألوف هائمون في عالم من

سيغموند فرويد

وليام تشيستر مايتور

صنعهم لا يشاركهم أحد فيه.

ففي سنة 1836 أعلن ليلو Lelut أن سقراط «كان يعاني كثيراً من أعراض المرض العقلي، فكانت تنتابه نوبات من الغيبوبة والتخشب والهلوسة، وأطلق ليلو على هذه المجموعة من الأعراض اسم الجنون الحسي او جنون الإدراك، ثم تحدث عن عبقري آخر هو باسكال عبقري الرياضيات والفلسفة فقال: إنه كذلك كان يعاني من كثير من أعراض الجنون ولاسيما الهلوسة»[12] وفي أنطولوجيا الشاعرات والشعراء المنتحرين التي أنجزتها الشاعرة جمانة حداد (سيجيئ الموت وستكون له عيناك)، تتعرض جمانة إلى حياة مئة وخمسين شاعراً انتحروا في القرن العشرين، وتغوص جمانة في حيواتهم التي انتهت بشكل متطرف بالانتحاركان أغلبهم يعاني من دوامة الاكتئاب على مدار سنين كفرجينا وولف، وسليفيا بلاث، وعبد الباسط الصوفي وغيرهم.[13]

هؤلاء الذين نهضوا بأوطانهم عبر أدبهم، وشعرهم، وجنونهم أليست عبقرية فذة وجنونا متفردا، فقصائد عبد الباسط الصوفي الذي مات منتحراً وهو في التاسعة والعشرين من عمره مازالت تدرس في مناهج الأمم، ولوحات فان جوخ يتهافت عليها الناس من أصقاع الدنيا، وأشعار الشاعر الكويتي فهد بورسلي الذي انتهى به المطاف في مصح عقلي تسمع صداها في الإذاعات الخليجية، نجد فرويد يقول في هذا الصدد، وأثناء تحليله لمزاجية الشعراء، وسموهم الروحي، فلا هم يمشون على الأرض، ولا يحلقون بأجنحة، إنما مكانهم هو عدم التوازن في هذا العالم. ذلك أن، «الشعراء والروائيون حلفاء كرام على كل حال، ومن الواجب تقدير شهاداتهم حق قدرها، لأنهم يعرفون، فيما بين السماء والأرض، بأشياء كثيرة لا تجرؤ حكمتنا المدرسية على أن تحلم بها بعد، وهم في معرفة النفس البشرية، معلمونا وأساتذتنا، نحن معشر العامة، لأنهم ينهلون من موارد لم نفلح بعد في تسهيل ورودها على العلم».[14] وهكذا، لطالما ربط العلماء، والفلاسفة، العبقرية بالجنون، ولكن الجنون الذي يسير بالفنان نحو عوالم أخرى يكتشف من خلالها كنه الوجود ويرسم أعذب الأناشيد عبر روحه المعذبة، فقد «كان أفلاطون يربط بين العبقرية والجنون، فيقول: إن كلاً منهما نوع من الاضطراب العقلي، وربما كان هذا هو المصدر الذي استلهمه لامارتين (شاعر فرنسا الحزين) رأيه وهو يتحدث عن (المرض العقلي الذي يسمى العبقرية) وكان لامارتين يردد هذا الرأي في القرن التاسع عشر، وكان إلى جانبه علماء يقولون بهذا الرأي أيضا».[15]

وما يدل على ما قلناه بشكل أفضل، بعض المسوحات

باسكال

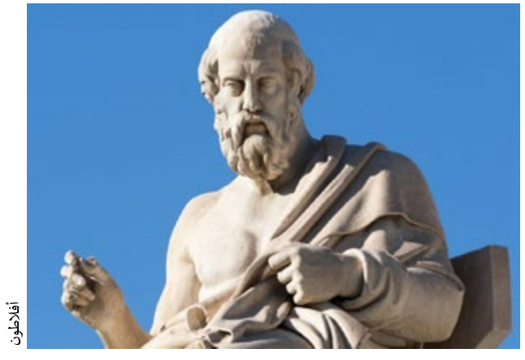
أفلاطون

الأركيولوجية التي قام بها العلماء لربط حالات الجنون بالإبداع اكتشفت إحدى الباحثات ارتباط العبقرية بحالات الاكتئاب، والسوداوية المفضية إلى الجنون.

و«يُشِير مَسْحٌ آخَرُ للسِّيَر الذاتية تناولَ ستةً وثلاثين شاعرًا من الشعراء البريطانيين والأيرلنديين الذين وُلِدوا بين عامَيْ 1705 و 1805 إلى وجود علاقة مختلفة كل الاختلاف بين المرض النفسي والإبداع. كتبت الطبيبة النفسية كاي ريدفيلد جاميسون التي أجرت هذا المسح في كتابها (متأثر بالنار: مرض الهوس الاكتئابي والمزاج الفني) ملاحظة أن معدل حدوث اضطرابات المزاج والانتحارودخول المصحات لدى شعراء هذه المجموعة وأسُرهم مرتفع ارتفاعًا مدهشا»[16] وكما يقول شارون «إن الحكمة

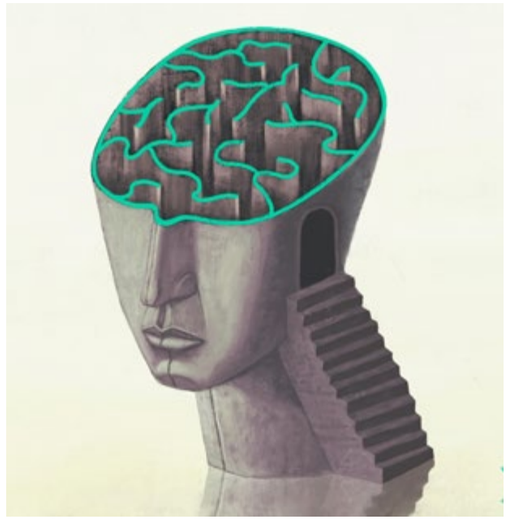

والجنون متجاوران، فليس بين هذا وذاك سوى خطوة، وهذا ما يتضح من سلوك الحمقى».[17] ■

* كاتب سوري مقيم بالإمارات

الهوامش:

1 - ابن منظور، لسان العرب: المجلد الرابع، دارصادر، بيروت، 1955، ص 534 - 536.

2 - يوسف ميخائيل أسعد: العبقرية والجنون، دار غريب للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001، ص 5.

3 - يوسف ميخائيل أسعد: العبقرية والجنون، مرجع سابق، ص 10.

4 - م. نفسه، ص 14.

5 - يوسف ميخائيل أسعد: العبقرية والجنون، مرجع سابق، ص 16.

6 - مصطفى سويف: العبقرية في الفن، وزارة الثقافة والإرشاد الفني، دار القلم، المكتبة الثقافية، د.ط، د.ت، ص 9.

7 - يوسف ميخائيل أسعد: العبقرية والجنون، مرجع سابق، ص 84.

8 - يوسف ميخائيل أسعد: العبقرية والجنون، مرجع سابق، ص 35 .

9 - وليام شكسبير: هاملت أمير الدنمارك، ترجمة: صلاح نيازي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979، الطبعة الخامسة، ص 143.

10 - يوسف ميخائيل أسعد: العبقرية والجنون، مرجع سابق، ص 38.

11 - أندرو روبنسون، العبقرية، ت: رحاب صلاح الدين، مؤسسة هنداوي للتعليم، القاهرة، 2014، الطبعة الأولى، ص 30.

12 - يوسف ميخائيل أسعد: العبقرية والجنون، مرجع سابق، ص 81.

13 - انظر جمانة حداد: سيجيئ الموت وستكون له عيناك، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت الطبعة الأولى، 2007.

14 - سيغموند فرويد: الهذيان والأحلام في الفن، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 1978، ص7.

15 - مصطفى سويف: العبقرية في الفن، وزارة الثقافة والإرشاد الفني، دار القلم، المكتبة الثقافية 20، بدون طبعة أوعام. ص 14.

16 - أندرو روبنسون: العبقرية، ترجمة: رحاب صلاح الدين، مؤسسة هنداوي للتعليم، القاهرة، الطبعة الأولى، 2014، ص 68.

17 - ميشيل فوكو: تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، مرجع سابق، ص 56 .

التطور الفني للقصة النسوية الإماراتية

أحمد حسين حميدان

من ضمن السمات التي أكدت عليها المقاربات والدراسات النقدية التي تناولت آفاق القصة الإماراتية القصيرة ميلادها من دون المرور بمراحل النشوء والتكوين وذلك جراء ولادتها المتأخرة عن ميلاد القصة القصيرة العربية وغير العربية أيضاً وهو ما جعلها تحظى بالاستفادة من أساليب السرد في القصص التي سبقتها في الظهور.

ويبدو أن الجيل الذي جاء في أعقاب مرحلة تأسيسها حاول الاستفادة من هذه الأساليب وخصوصاً من الناحية الفنية وبنية القص التي سبقته في التجربة سواء في القصة العربية أو القصة الإماراتية نفسها التي أنجزها رائداها عبدالله صقر أحمد وشيخة الناخي وآخرين من أمثال عبدالحميد أحمد وناصر جبران وسعاد العريمي وسلمى مطر سيف وأسماء الزرعوني... وأخريات معهن؛ وآثرنا في هذا السياق التوقف عند بعض الكاتبات اللواتي جئن بعدما قطعت القصة الإماراتية غير مرحلة في اكتساب قوامها الفني والتعبيري وقدّمت صحيفة «الاتحاد» في كتابها القصصي «على الدرب.. مختارات قصصية» الذي أعده الكاتب جمعة اللامي بعضاً من هؤلاء الكاتبات عائشة الكعبي في قصتها «فشل سبتي» وصفية محمد القاسمي في قصتها «إلى أين» ووفاء المشايخي في قصتها «حفنة رمل وقواقع» وسنحاول من خلال هذا الإصدار التعرف على الملامح الأخرى التي وفدت معهن إلى النص القصصي الإماراتي ومدى المغايرة التي تبدّت في سياق كل منهن والشيء الذي يلفت الانتباه من البداية في نتاج هؤلاء

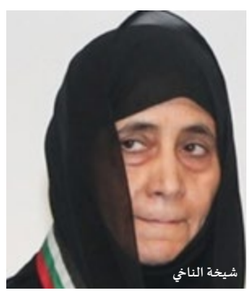
شيخة الناخي

عبدالله صقر أحمد

القاصات هو دفع الشخصية الرئيسية إلى ساحة الحدث الذي يقوم على البحث عما هو مفقود في حياتها.. عبر هذا التوجه دفعت عائشة الكعبي بطل قصتها «فشل سبتي إلى وسط الحياة الحديثة وأبنيتها الشاهقة ليبحث في معتركها عن عمل ، مصوّرة لنا أثر المدينة فيه وعليه في آن.. فتصفه وهو يسعى للقاء المدير: (توقّف راشد برهة أمام المدخل الزجاجي ليتأكد من هندامه، رفع يده ليعدل من وضع غترته المعصوبة على رأسه بإحكام.. لكنه لا ينجح في بلوغ مبتغاه ولا يستطيع لقاء المدير رغم الموعد المسبق معه.. .. ويأتي تبرير ذلك من السكرتيرة - ذات الطبيعة الانفعالية - بأن المدير في اجتماع لن ينتهي قبل نهاية الدوام.. وتفادياً لكلام السكرتيرة الصارخ ينصرف راشد ولسانه يكيل لها السباب والشتائم .. ويقضي بقية نهاره متسكعاً في الشوارع وعلى شاطئ البحر.. والغريب أنه عندما يقترب من الهاتف العام يتردد في الاتصال وفي جيبه لا يوجد سوى درهم واحد !..وكأنما الكاتبة أرادت أن تبين وتصور حجم ضياعه وخلطه للأمور.. إذ أن المفاجأة تعقد لسانه عندما يعود إلى البيت ليعلم من أمه أن اليوم هو السبت في حين أن موعده مع المدير هو يوم الأحد.. إذا الأمور بدأت تختلط عليه ولم يعد يميز حتى بين الأيام!..

وتصفه الكاتبة قائلة: «فهو لم يعرف حتى الآن ما يناسبه.. وعلى الرغم من ذلك كله أجهدت الكاتبة نفسها وأثقلت على قصتها كثيراً نتيجة التكثيف القسري في إعادة صياغة هذه الشخصية .. فهي كانت تعده من جديد لأنها طرحت من خلاله همّاً وطنياً في غاية الأهمية وهو أن يقف الوطن بقدم أبنائه لذلك جعلت بطل القصة لا يتردد في قطع صِلاته بفتيات المراهقة كما جعلت نفسه راضية رغم خسران المرأة الوحيدة التي أحب حتى بلغت به المسجد وفضائه الروحي المفتوح.. فهي تريد نقله من واقع راهن متأزم إلى واقع مستقبلي طَموح فيه بناء الدولة مبقية له باب الأمل مفتوحاً على مصراعيه مؤكدة له بأن الفشل الذي جاء يوم السبت ما هو إلا وهم بدأ ينجلي في اليوم التالي حيث الموعد مع الجد والعمل..

أمّا قصة «إلى أين» لصفية محمد القاسمي تبدو مختلفة تماماً.. إذ إن الكاتبة تقتحم صميم الحياة الحديثة لتطرح قضايا المبادئ والعقائد والأيديولوجيا مستخدمة أسلوب الرمز في صياغة أحداث قصتها التي تدور في سفينة مزدحمة الركاب يقولون عنها بأنها ستجوب العالم .. وعلى متنها يصادف بطل القصة راكباً أنيقاً لا يتكلم إلا الشعر وعندما يضيق بثرثرته الشعرية تأتيه مضيفة حسناء وتعطيه شراباً أحمر اللون كانت تطوف به على الجميع لكنه يصاب منه بالغثيان ويسمع قهقهة وضوضاء في أنحاء متفرقة جعلت السفينة حصاراً وفوضى لا صديق فيها ولا أنيس ثم يسمع صوت عجوز يقول له:

عبدالحميد أحمد

أحمد جبران

سعاد العريمي

سلمى مطر سيف

لا تُتْعب نفسك بل عودها على مثل هذه المواقف .. لكنه لا يقتنع.. فتأخذه الغفوة إلى حلم يشبه الكابوس تنشق فيه الشمس عن كرة من اللهب وتأتيه ثعابين .. ثم يد غليظة تدفعه إلى اللهب وبمجيء اليقظة يختلط الحلم بالواقع ويذهب ليرى السفينة إلى أين ذاهبة فتنكشف له الحقيقة المخيفة عندما يجد ربان السفينة مخموراً وحتماً سيعجز عن إيصالهم إلى مدينة الخير بل سيدفع بهم إلى الهلاك والغرق .. وفي النهاية تأتي الصحوة ويقيد الركاب الربان المخمور بحبال متينة ويعود بطل القصة بالسفينة إلى مكان انطلاقتها مشيراً إلى أن السفر إلى مدينة الخير يجب أن يتم وسط أمواج هادئة..

ومن خلال هذا الفحوى تطرح الكاتبة في قصتها قضايا المبادئ والعقائد كما أسلفنا.. فتتكئ على الشعر في سياقها السردي لتبرز لنا موقف بطلها المفعم بالتردد والحيرة والغموض معيدة إلى الأذهان طلاسم إيليا أبو ماضي التي يختم كل مقاطعها بـ«لست أدري»!.. ويأتي موقف العجوز خاضعاً مليئاً بحسرة العاجز.. أما الشباب فقد أخذ اللهو والضياع قسطاً كبيراً من قوتهم وأعمارهم .. ورغم ذلك كله تأتي الصحوة في ختام القصة وتظهر عزيمة جديدة لمواصلة الرحلة إلى مدينة الخير لكن الكاتبة توقفها إلى يوم آخر يكون فيه البحر أهدأ موجاً وهذا لا يستقيم في حرب العقائد الضروس ولا جدوى من إعادة السفينة إلى مكان انطلاقتها طالما أن الانطلاقة كانت كما صوّرتها القصة فوضى ومشروبات كحولية وضياعاً وتردداً .. فالأمر بات بحاجة إلى انطلاقة ثانية تكون أكثر جدوى لرحلة أخرى دفعت الكاتبة شخصياتها القصصية إليها ليبدأ منها تحقيق الحلم .. وتأتي القصة الأخرى «حفنة رمل وقواقع» للكاتبة وفاء المشايخي امتداداً واستكمالاً لما انتهت إليه في قصتها السابقة عائشة الكعبي، فهي منذ البداية تدعو الانتباه لكشف السر في رمال الشاطئ وليس

في البحر وتكتب على السطر الأول: «الكثير يستهويهم الغوص في البحر، لكن من فكر بالغوص في رمال الشاطئ؟!..» .. إنها الدعوة للتعمق والبحث عن المخبوء تحت رمال اليابسة .. فالبحر يتمثل فيه الغذاء واللؤلؤ والأحجار الكريمة، وهو بهذا المحتوى يعتبر النص المادي للحياة لكن ثمة أهمية أخرى تكمن في الركن الآخر منه عند الشاطئ الذي يبدو للوهلة الأولى هامشاً غير لافت للنظر في حين أنه يمتد ليشمل اليابسة وما عليها وما خفي تحت رمالها

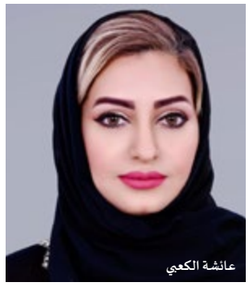
جمعة اللامي

عائشة الكعبي

أسماء الزرعوني

كان أعظم !.. فتقول الكاتبة: « هوايتي الجذور والبحث في أحشاء الرمل !..» عبر هذا المسار الذي ترسمه الكاتبة لبطلتها كي تتعرف على ماضيه الذي ينكشف من خلاله المستور عن بعض الخبايا فإذا هي عبارة عن ضحايا انتهت إلى الهلاك تحت وطأة فرعون البحار رمز الاستبداد المطلق، أو بمخالب الطبقة الطفيلية التجارية اللاهثة خلف الكسب بشتى الطرق وبأي ثمن!..

وتأتي المفاجأة في نهاية القصة، حيث تتعرف بطلتها على شاب له نفس هوايتها في البحث عن جذور الكائنات على اختلافها؛ وبعد اللقاء بينهما تقول: «وقعت تنازلات عن هوايتي ورملي وهجرت عالمي وذهبت معه في رحلة الأوهام ولم أعد!.. » واصلة بذلك إلى نهاية تبدو غير معقولة وغير منطقية لأن مقدماتها وأحداثها لا تتفق مع نتائجها، ويبدو السؤال مشروعاً عن أسباب ومبررات هكذا انسحاب طالما أن هوايتهما ورؤيتهما مشتركة؟!.. ومهما يكن من أمر فإننا نعترف بجودة هذا النص من الناحية الفنية رغم الخلل الحاصل في النهاية؛ كما أننا لا نتردد من الاعتراف أيضاً بأن القصة الإماراتية الجديدة قد برّأت نفسها من اتهامات الانكفاء على رصد الحياة السابقة الموغلة في الماضي بل انطلقت منها لتقتحم معترك الحياة الحديثة ولتصور همومها وأزماتها المختلفة بأساليب متعددة فاعتمدت قصة «فشل سبتي» لعائشة الكعبي على الأسلوب الواقعي في رصد آمال وآلام بطلها .. بينما اعتمدت قصة «إلى أين» لصفية محمد القاسمي على الأسلوب الرمزي في رصدها العقائدي للأمة والمجتمع.. في حين أن قصة «حفنة رمل وقواقع» لوفاء المشايخي اعتمدت على الأسلوبين معاً؛ ومن خلال ذلك نستطيع التأكيد على أن القصة الإماراتية التي أنجزت نصها بعد قطعها مرحلة التأسيس طوّرت من أدواتها ومن أساليبها الفنية وانتقلت في تجسيد حدثها وفكرتها القصصية من التسجيل إلى التخييل المعتمد على طرق تعبيرية غير تقليدية غنية بإيحاءاتها الدلالية الواقعية والرمزية وهو ما جعل نصها يبلغ حدوداً متقدمة تسير من خلاله جنباً إلى جنب مع القصة العربية وغير العربية أيضاً .. ■

قراءة في مباحثات الاتحاد التساعي

د. خالد بن محمد مبارك القاسمي

كان إعلان الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان والشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم (رحمهما الله)، في 18 فبراير سنة 1968م، عن قيام اتحاد يضم كل من إمارتي أبوظبي ودبي، حافزاً ومحركاً لباقي الإمارات للدخول في مباحثات من أجل إقامة اتحاد أوسع وأشمل، يكون له القدرة على مجابهة الأوضاع الجديدة، وملء الفراغ الذي ستخلفه بريطانيا عقب انسحابها من تلك الإمارات.

وفي الخامس والعشرين من شهر فبراير 1986م، أي بعد أقل من عشرة أيام من إعلان قيام الاتحاد بين أبوظبي ودبي، كانت استجابة جميع إمارات ساحل عمان فانعقد في دبي مؤتمر ضم الإمارات التسع: أبوظبي، ودبي، وأم القيوين، ورأس الخيمة، والفجيرة، والشارقة، وعجمان، وقطر والبحرين. والملفت للنظر في خضم هذه الأحداث ذلك الترحيب الأخوي الحار الذي استقبل به شعب دبي حكام الإمارات، والروح الوطنية المتأججة أيدت بها شعوب سائر الإمارات قرار عقد المؤتمر، مما يعكس عمق الروابط التي تجمع بين شعوب هذه الإمارات[1]. ورغبتها في الاتحاد على اعتبار أنهم شعب واحد لم يفرق بينهما إلا سياسات المستعمر الذي بثّ بذور الفُرقة بينهم من أجل فرض سيادته وهيمنته تحقيقاً لمصالحه الذاتية.

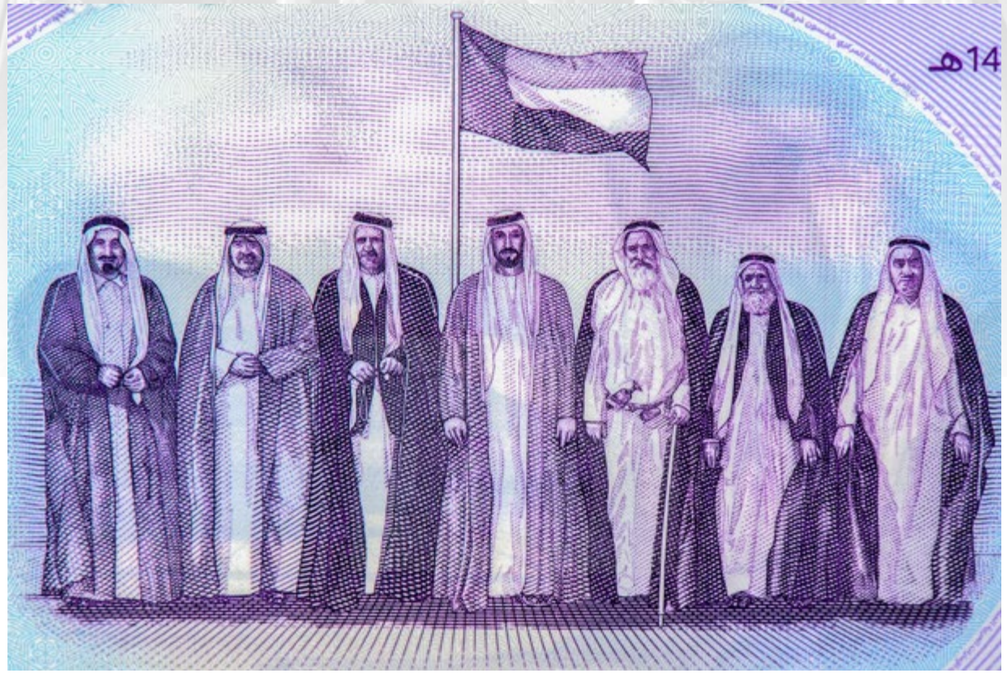

قامت دولة الإمارات العربية المتحدة
في يوم من أيام التاريخ .. تم إعلان الدولة العربية رقم ١٨
دولة مستقلة ذات سيادة .. جزء من الوطن العربي الكبير .. تحمي حقوق وحريات شعبها
زايد رئيساً للاتحاد .. راشد نائباً للرئيس
تعيين الشيخ مكتوم بن راشد رئيساً لمجلس الوزراء الاتحادي
الاتحاد

ان دولة الإمارات العر
يد رئيس للإتح
راشد نائب للرئيس
ومكتوم بن راشد رئيس للـ
السوبراي يلقي بيان الاتحاد
سياسة الدولة كما حددها البيان
بتوفير حياة كريمة
لجميع المواطنين
ونصرة
القضايا
العربية والاسلامية

استمر هذا المؤتمر لمدة ثلاثة أيام، وفي اليوم الثالث من الاجتماعات في 27 فبراير 1968م، وبعد المناقشات التي استمرت ست عشرة ساعة، صدرت بعدها صياغة عرفت بـ«اتفاقية اتحاد الإمارات العربية» واشتهرت باسم «اتفاقية دبي»، ممهورة بتوقيعات الحكام التسعة، كما صدر معها بيان مشترك أعلن فيه عن مولد اتحاد بين الإمارات التسع تحت اسم «اتحاد الإمارات العربية» يكون الغرض منه توثيق الصلات بين الإمارات وتقوية التعاون بينها في كافة المجالات، وتنسيق خطط تقدمها ورخائها، ودعم احترام كل منها لاستقلال الأخرى وسيادتها ووضع نظام لتسوية الخلافات بينها، وتوحيد سياستها الخارجية وتنظيم الدفاع المشترك الجماعي عن بلادها صيانة لأمنها ومحافظة على سلامتها، والنظر بصفة عامة في شؤونها ومصالحها المشتركة بشكل يكفل بلوغ أمانيها وتحقيق آمال الوطن العربي الكبير قاطبة. وقد وضعت اتفاقية الاتحاد عدداً من الأجهزة التي تشرف على إدارته ووضع سياساته، وهي[2]:

المجلس الأعلى للاتحاد: ويشكل من حكام الإمارات التسع على أن يتناوب هؤلاء الحكام سنوياً رئاسة هذا المجلس. ويتولى الرئيس تمثيل الاتحاد في الداخل وتجاه الدول الأجنبية. ويختص المجلس الأعلى للاتحاد بوضع ميثاق كامل دائم للاتحاد ويرسم سياسة عليا له في المسائل الدولية والسياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها المتصلة بأغراض الاتحاد. كما يختص المجلس بإصدار القوانين الاتحادية اللازمة في هذا الشأن. أما فيما يتعلق بالأغلبية المطلوبة للتصويت على القرارات فهي الإجماع.

والجهاز الثاني هو مجلس الاتحاد؛ وهو الهيئة التنفيذية للاتحاد ويمارس اختصاصاته وفقاً للسياسة العليا التي يقررها المجلس الأعلى. وطبقاً للقوانين الاتحادية. ولا تعتبر قرارات مجلس الاتحاد نهائية إلا بعد مصادقة المجلس الأعلى عليها. أما الجهاز الثالث في الاتحاد فهو المحكمة الاتحادية، وتم الاتفاق على أن القانون هو الذي يحدد طريقة تشكيلها ونظامها واختصاصها. وفيما يتعلق بالأمور الدفاعية فقد قضت اتفاقية الاتحاد بالتعاضد عسكريا والتعاون في وجه أي اعتداء خارجي ، ولم يذكر أمر تأسيس جيش موحد. وأما الناحية المالية فلم تحدد مساهمة كل إمارة بموازنة الاتحاد، وكذلك لم يحدد موقع العاصمة. كما نصت الاتفاقية في مجال توزيع الاختصاصات بين الحكومة الاتحادية وحكومات الإمارات «بأن تمارس حكومة كل إمارة شؤونها المحلية الخاصة التي لم يسند الاختصاص بصددها للاتحاد بموجب هذه الاتفاقية أو القوانين الاتحادية». وفي الأخير تم النص على أن يعمل بهذه الاتفاقية في 30 مارس سنة 1968م، وذلك إلى حين

وضع ميثاق بالنظام الكامل للاتحاد.

وعلى الرغم من الأهمية التاريخية لهذه الاتفاقية والتي تعتبر أكبر خطوة على طريق الوحدة إلا أنه تم توجيه العديد من الانتقادات إليها، نذكر منها:

- أن الاتفاقية نصت على تأكيد السيادة الداخلية لكل إمارة واحتفاظها باستقلالها في مواجهة الإمارات الأخرى. الأمر الذي يعني الاستمرار في الاعتراف بالفواصل الحدودية بينها مما يؤدي إلى نشوب النزاعات واشتعال النزعة القبلية.

- كذلك ركزت الاتفاقية كل السلطات التنفيذية والإدارية والتشريعية في يد المجلس الأعلى وجعلت من مجلس الاتحاد (مجلس الوزراء) مجرد أداة لتنفيذ قراراته.

- كما جعلت الاتفاقية من المجلس الأعلى مرجعاً أعلى في تحديد الاختصاصات؛ بمعنى أنه هو الذي يحدد الاختصاصات الاتحادية واختصاصات الإمارات.

- كذلك نصت الاتفاقية على أن تصدر قرارات المجلس الأعلى بالإجماع. مما يعني أن اعتراض عضو واحد من أعضاء المجلس كفيلاً بوأد أي قرار مهما كانت أهميته حتى لو وافق عليه ثمانية من الحكام.

- كان الشيخ زايد يعلم علم اليقين أن تلك الاتفاقية يكتنفها الكثير من العيوب، لكنه كان ينظر لهذه الاتفاقية بنظرة فلسفية أعمق من تلك التي نظر إليها فقهاء العلم السياسي والدستوري. ذلك لأن حكام الإمارات كانوا يعيشون في لحظات من نشوى السلطة التي دانت لهم بعد الإعلان البريطاني بالانسحاب من

المنطقة؛ فكان من العسير أن يُطلب منهم النزول عن جزء كبير منها لصالح دولة الاتحاد هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى اختار الشيخ زايد التوقيت الصحيح قبل أن يتم الانسحاب البريطاني بالفعل فتصبح سلطة الحكام واقعاً ملموساً، إذ أنه في هذه اللحظة سيكون من العسير على فيلسوف ومهندس الوحدة أن يقنع هؤلاء الحكام بالتنازل عن أي جزء من سلطاتهم لصالح دولة الاتحاد.

- لكل ما سبق نرى أن الشيخ زايد، قد أمسك بالعصا من منتصفها، فمن ناحية أسرع بالمباحثات قبل أن تستتب السلطات لحكام الإمارات، ومن ناحية أخرى وافق على إعطاء الحكام الكثير من السلطات الداخلية، كما وافق على تركيز معظم السلطات في يد المجلس الأعلى الذي يتكون من الحكام أنفسهم،

بل ووافق على أن تصدر قراراته بالإجماع، وذلك حتى لا يشعر أي حاكم بأنه تنازل عن أي جزء من سلطاته لصالح دولة الاتحاد، وكذلك فإن قاعدة الإجماع تشعر جميع الحكام - لاسيما حكام الإمارات الصغيرة - بأنهم جميعاً متساوين في السيادة وأن لديهم وسيلة تحميهم من أي قرار يرونه ضاراً بمصالح إماراتهم لحساب الإمارات الكبرى. وبالطبع كان الشيخ زايد على يقين بأن هذا الوضع إنما هو وضع مؤقت لحين شعور حكام الإمارات بضرورة الاتحاد ومزاياه وعندها يمكن أن يقوم الاتحاد على أسس سليمة تتيح له الاستمرارية. وقد واجه الشيخ زايد الكثير من المشكلات أثناء الاجتماعات التي جمعته مع باقي الحكام؛ فقد مر يوم 30 مارس 1968م، وهو التاريخ الذي أصبحت فيه الاتفاقية نافذة المفعول، من دون أن يُعقد فيه اجتماع المجلس الأعلى وبدون إبداء أسباب، تاركاً موضوع الدور الفعلي للاتحاد الناشئ قيد المناقشة، وقد جرت الكثير من المناقشات بين بعض الحكام ومساعديهم في ذلك الوقت إلى أن عُقد أخيراً اجتماع في أبوظبي يومي18 -19 مايو 1968م، لمستشاري حكام الدول التسع الأعضاء[3]. وفي هذا الاجتماع برزت خلافات حادة بين أبوظبي وقطر. فقد رأت أبوظبي أن المهمة الأولى يجب أن تكون وضع الميثاق الدائم للاتحاد (الدستور الاتحادي) واختيار الخبراء الدستوريين ليقوموا بوضع هذا الميثاق، أما قطر فقد تقدمت بجدول أعمال يتناول، بجانب وضع الميثاق، اختيار الرئيس والعاصمة وتحديد العملة وتعيين مجلس الوزراء وتشكيل القوات المسلحة، وغير ذلك من المسائل. وهكذا دخلت دورة المجلس الأعلى في دوامة مما أدى إلى تأجيلها[4].

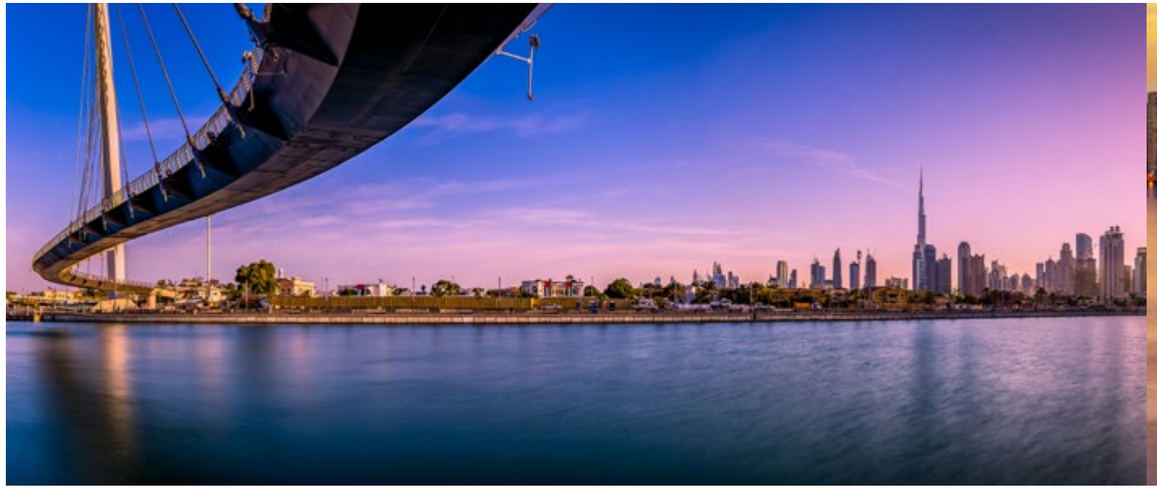

وفي الدورة الثالثة للمجلس الأعلى للاتحاد في الدوحة (10 - 14 مايو 1969م) بدا أن المجتمعين يعودون إلى المربع صفر، فبالنسبة لمقر عاصمة الاتحاد كانت ترى أغلبية الوفود ضرورة إنشاء عاصمة جديدة على بقعة من الأرض يملكها الاتحاد، على أن تشكل لجنة من الفنيين لتحديد أنسب موقع لهذه العاصمة، في حين كانت ترى وفود بعض الإمارات الأخرى عدم ضرورة إنشاء عاصمة جديدة في الصحراء اكتفاء باتخاذ إحدى المدن النامية أو التي هي في طريقها إلى النمو لهذا الغرض وذلك اقتصاداً للنفقات والوقت من جهة ولأن الاتحاد في حاجة ملحة إلى عاصمة الآن. والغريب في الأمر أنه في الوقت الذي كانت فيه بعض الإمارات لا ترحب بإقامة عاصمة الاتحاد على أرضها لما قد ينتج عن ذلك من مشاكل بسبب الازدواجية الحتمية بين السلطات الاتحادية والسلطات المحلية للإمارة واحتمال طغيان الأولى على الثانية، كانت تعترض في نفس الوقت على إقامة هذه العاصمة على أرض أي من الإمارات الأخرى وترى اختيار منطقة محايدة بين هذه الإمارات جميعا. من هنا كان اقتراح قطر ومعها دبي في اختيار منطقة تدعى وادي الموت (الكرامة) تقع على حدود كل من دبي وأبو ظبي لبناء العاصمة عليها، وقد تمت الموافقة على أن تبنى العاصمة الدائمة على هذه المنطقة، كما تم الاتفاق على أن تكون مدينة أبو ظبي هي المقر المؤقت لعاصمة الاتحاد[5].

وقد احتدم النقاش حول مسألة نسبة تمثيل الإمارات في المجلس الوطني، وصممت البحرين على أن يكون التمثيل داخل المجلس المذكور على أساس نسبة عدد السكان ولما كان عدد سكان البحرين 200 ألف نسمة تقريباً أي أكبر من عدد سكان الإمارات الأخرى مجتمعة، فمعنى ذلك أن يكون للبحرين وحدها 53 % من مقاعد المجلس الوطني. لذلك اعترضت الإمارات الأخرى ولاسيما أصغرها كالفجيرة وعجمان وأم القيوين - بالإضافة إلى رأس الخيمة - على ذلك الاقتراح، وتمسكت بمبدأ المساواة التامة في التمثيل داخل المجلس، بصرف النظر عن عدد السكان[6].

وللتوفيق بين هذين الاعتبارين قدمت عدة اقتراحات منها مثلاً أن تمثل كل إمارة في المجلس الوطني الاستشاري بأربعة أعضاء مقابل ستة أعضاء للبحرين، أو يكون التمثيل في المجلس على أساس التزامات كل إمارة في ميزانية الاتحاد، أو أن يشكل المجلس من 40 عضواً يتم توزيعهم على الإمارات على أساس تدرجي بواقع ستة أعضاء لكل من البحرين وقطر ودبي وأبوظبي بصفتها أكبر الإمارات شأناً وأربعة لكل من الشارقة ورأس الخيمة وثلاثة لكل من الإمارات الصغيرة (أم القيوين، الفجيرة، عجمان). وأخيراً اقترحت بعثة الوساطة السعودية الكويتية أن يكون تشكيل

المجلس الوطني من 36 عضواً موزعين بالتساوي على الإمارات على أن يعتبر ذلك حكما مؤقتاً يعاد النظر فيه بعد الانتهاء من الفترة الانتقالية، وأن يكون التمثيل في الدستور الدائم على أساس نسبة السكان في كل إمارة. وقد وافقت على هذا الاقتراح كل من أبوظبي وقطر ودبي وكذلك البحرين التي اشترطت لذلك موافقة جميع الإمارات الأخرى وهو أمر صعب التحقيق.

أما فيما يتعلق بقاعدة التصويت في المجلس الأعلى، وهي الإجماع، فقد كان من العسير، في ظل وجود هذه القاعدة الوصول إلى قرارات نظراً لاختلاف وجهات النظر لحكام الإمارات. ومع ذلك فقد تمسكت بهذه القاعدة معظم الإمارات خاصة الصغيرة منها كالفجيرة وأم القيوين وعجمان على أساس أنها تجسد في نظرهم مبدأ المساواة بينها في السيادة كما أنها الوسيلة التي ستلجأ إليها لحماية نفسها من أي قرار تشعر أنه ضاراً بمصالحها لحساب الإمارات الكبرى لاسيما وأن الشعور بأهمية الوحدة وأنها الأصلح لجميع إمارات الساحل المتصالح لم يكن قد توطد بعد في نفوس معظم حكام الإمارات. وللتغلب على هذه المشكلة قُدمت عدة اقتراحات من جانب الكويت والمملكة العربية السعودية، من بينها التمييز بين المسائل الموضوعية وتصدر القرارات فيها بأغلبية الثلثين والمسائل الإجرائية والتي يكتفي في خصوصها بالأغلبية المطلقة. أو صدور قرارات المجلس الأعلى في المسائل الموضوعية بالإجماع فإن تعذر الإجماع يعاد النظر فيها مرة أخرى على أن يكتفي لإقرارها في هذه الحالة بأغلبية الثلثين عند البعض وبأغلبية سبعة أصوات عند البعض الآخر. وإن كانت بعض الإمارات تطلبت في هذه الحالة الأخيرة أن يكون من ضمن السبعة أصوات هذه أصوات قطر والبحرين ودبي وأبوظبي. أما فيما يتعلق بالمسائل الإجرائية فأنه يكتفي فيها (باتفاق جميع الإمارات) بالأغلبية المطلقة[7].

ورغم كل هذه الاقتراحات لم ينته حكام الإمارات إلى اتفاق على إحداها مما جعل قاعدة التصويت عقبة تضاف إلى باقي العقبات السابقة التي واجهت الشيخ زايد وهو في سبيله إلى تحقيق حلم الوحدة الذي طالما حلم به من أجل مستقبل أفضل للمنطقة.

لم تكن المشكلات أو العقبات السابقة هي السبب الوحيد الذي أدى إلى فشل الاتحاد التساعي، ذلك لأن بعض هذه المشكلات

- وكما أسلفنا - قد تم الاتفاق على حلها ولو بصورة مؤقتة، وفي اجتماعات الدورة الرابعة والأخيرة للمجلس الأعلى للاتحاد في أبوظبي في الفترة من 21 - 25 أكتوبر 1969، وقد تضمن جدول الأعمال عدة نقاط كان منها انتخاب الرئيس، واختيار العاصمة الاتحادية، وتشكيل المجلس الوطني الاتحادي. وقد قال الشيخ زايد (رحمه الله) في مستهل الاجتماع: «لقد اجتمعنا اليوم في أبوظبي وأمامنا فرصة تاريخية. نستطيع مواجهة كل ما يحمله المستقبل من غموض، ودعونا لا ننسى الثمن الذي سنتكبده إذا أخفقنا في اغتنام الفرصة السانحة أمامنا»[8].

ووسط أجواء من التفاؤل تم إحرازبعض التقدم في هذا الاجتماع؛ حيث تم انتخاب الشيخ زايد بن سلطان حاكم أبوظبي رئيساً للاتحاد لمدة سنتين، والشيخ راشد آل مكتوم نائباً للرئيس، والشيخ خليفة بن حمد حاكم قطر أول رئيس لمجلس وزراء الاتحاد، إلى جانب الاتفاق على اختيار أبوظبي عاصمة مؤقتة للاتحاد[9]. ومع ذلك لم يلبث أن تأزم الموقف من جديد وذلك على أثر طلب الوكيل السياسي البريطاني في إمارة أبوظبي مخاطبة المجلس الأعلى للحكام بناء على تعليمات المقيم البريطاني العام في البحرين. ورغم أن المجلس وافق على الاستماع إليه ورغم أن الوكيل السياسي لم يفعل أكثر من تلاوة رسالة معدة سلفاً تُعبِّر عن مدى اهتمام الحكومة البريطانية بنجاح الاتحاد وتحث المجتمعين أن يضعوا الرغبة المشتركة لإقامته فوق المصالح الشخصية ووجهات النظر الذاتية، وقد اتخذ بعض الحكام من هذه الواقعة ذريعة لرفض التوقيع ليس فقط على مشروع «البيان المشترك» وإنما أيضاً على كافة القرارات السابق بيانها[10]. وأخيراً انفض الاجتماع ولم يقدر للمجلس أن يجتمع مرة أخرى مما كان دليلاً قاطعاً على فشل الاتحاد التساعي. إلا أن الشيخ زايد لم ييأس، وحاول أن ينعش الاتحاد التساعي، ليعيده للحياة مرة أخرى، فاقترح دعوة نواب الحكام للاجتماع في أبوظبي في 29 مايو 1971م، إلا أن هذه الدعوة لم تجد استجابة من حكام الإمارات الذين كانوا قد تيقنوا من فشل هذا الاجتماع، لاسيما وأن كلاً منهم وضع شروطاً - من الصعب تحققها - حتى يلبي هذه الدعوة[11]. ومما أكد فشل هذا الاتحاد قيام البحرين بإصدار ثلاثة مراسيم مهمة يتعلق أولها بتنظيم الجهاز الإداري وتطويره حيث نص على إنشاء مجلس دولة (مجلس وزراء) والمرسوم الثاني يختص بتنظيم الدوائر الحكومية أما المرسوم الثالث فكان يتعلق بتعيين رئيس وأعضاء مجلس الدولة ورؤساء الدوائر الحكومية. وكانت هذه المراسيم تحمل بين طياتها أمراً أكبر من مجرد تنظيم الجهاز الإداري والحكومي للبحرين التي سرعان ما أعلنت عنه بتاريخ 14 أغسطس عام 1971م؛ حيث أعلنت البحرين استقلالها، وقامت على أثر ذلك بإلغاء العلاقات التعاهدية التي كانت تربطها بإنجلترا وأحلت محلها معاهدة صداقة لتنظيم العلاقات التجارية والتعاون بين الدولتين في المستقبل. وهكذا انسحبت البحرين من الاتحاد التساعي. كذلك أعلنت قطر بتاريخ 27 ابريل عام 1970م، وبشكل مفاجئ، دستوراً جديداً لها متضمناً في مادته الأولى أن قطر دولة عربية مستقلة ذات سيادة وأنها عضو في اتحاد الإمارات العربية. وهذه العبارة الأخيرة توحي أن قطر متمسكة بعضويتها في اتحاد الإمارات. ولكن وبالرغم من ذلك قامت قطر بتشكيل أول وزارة قطرية وفقاً لأحكام الدستور بتاريخ 29 مايو 1970م وإن كانت بدون وزارتي الدفاع والخارجية، ولكن، وبمجرد إعلان البحرين استقلالها،

اتخذت قطر موقفاً مغايراً إذ سارعت إلى إعلان استقلالها في أول سبتمبر عام 1971م. وبذلك انسحبت قطر من الاتحاد التساعي معللة ذلك باستمرار الخلاف بين الإمارات من ناحية وإعلان البحرين لاستقلالها من ناحية أخرى [12]. بذل الشيخ زايد أقصى ما في وسعه لإنجاح هذا الاتحاد، وقد عبر «روبرتس»، وزير الدولة البريطانية للشؤون الخارجية عن أسفه لأن «أياً من أصدقاء زايد لم يعيروا اهتمامهم للأشياء التي كان بإمكانه القيام بها ولكنه لم يفعل. وأما ما يتعلق بالاتحاد فكان الشيخ زايد معلقاً بين الأمل واليأس»[13]. وبعدما تأكد للشيخ زايد (رحمه الله) أنه لا فائدة ترجى من قيام اتحاد يضم الإمارات التسع، اتجه بفكره الاتحادي إلى ضرورة قيام اتحاد يضم الإمارات السبع، لاسيما وأن موعد الانسحاب البريطاني من الخليج قد بات وشيكاً، مما يعرض الإمارات السبع، بل وسائر المنطقة، لمخاطر جمة لا سبيل إلى تخطيها إلا بقيام الاتحاد السباعي ■

الهوامش:

1 - رياض نجيب الريس: وثائق الخليج العربي 1968. 1971(طموحات الوحدة وهموم الاستقلال)، رياض الريس للكتب والنشر،، الطبعة الثالثة، بيروت، 2002م. ص 31.

2 - انظر النص الكامل للاتفاقية في المرجع السابق، ص ص 32 - 35، وكذلك: د. أحمد زكريا الشلق، ود. مصطفى عقيل الخطيب: قطر واتحاد الإمارات العربية التسع في الخليج العربي 1968. 1971، دار الثقافة، الطبعة الثانية، الدوحة، 1989م. ص 109. 113. د. خالد بن محمد مبارك القاسمي: التطور التاريخي لقيام دولة الإمارات العربية المتحدة، الدار العربية للموسوعات، ط1، بيروت، لبنان، 2009. ص ص 359 - 362.

3 - فراوكه هيرد - باي: من الإمارات المتصالحة إلى دولة الإمارات العربية المتحدة. ترجمة عايدة يَنّي خوري، موتيفيت للنشر، الإمارات العربية المتحدة، 2010. ص ص 345 - 346.

4 - للمزيد من التفاصيل انظر: رياض نجيب الريس: وثائق الخليج العربي، مرجع سابق، ص ص 22 - 24.

5 - د. أحمد زكريا الشلق. ود. مصطفى عقيل الخطيب: المرجع السابق. ص 56 ، د. محمد حسن العيدروس: الإمارات بين الماضي والحاضر، دار الكتاب الحديث، 2002. ص 55. 56.

6 - رياض نجيب الريس: صراع الواحات والنفط، ص 99.

7 - لمزيد من التفاصيل حول عقبات قيام الاتحاد التساعي والمقترحات التي تم تقديمها من جانب الكويت والسعودية راجع: رياض نجيب الريس: وثائق الخليج العربي، مرجع سابق، ص ص 949 – 976، وكذلك: د. محمد حسن العيدروس، مرجع سابق، ص ص 51 - 58.

8 - صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم: قصتي، إكسبلور للنشر والتوزيع، ط1، دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2018. ص 155.

9 - د. محمد عمران تريم: الجذور التاريخية لقيام دولة الإمارات العربية المتحدة، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2018م. ص 185.

10 - المرجع السابق. ص 135. 136. د. جمال زكريا قاسم: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر. دار الفكر العربي، المجلد الرابع، الطبعة الأولى، ، القاهرة،2001. ص ص 320 - 321.

11 - للمزيد من التفاصيل انظر: د. محمد فارس الفارس: جزر الإمارات المحتلة ومباحثات الاتحاد التساعي (قراءة في الوثائق البريطانية لعامي 1971 - 1972). الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان، 2007. ص ص 305 - 316.

12 - د. أحمد زكريا الشلق: فصول من تاريخ قطر السياسي، الدوحة، 1999م. ص ص 167 - 170. د. محمد مرسي عبد الله: دولة الإمارات العربية المتحدة وجيرانها. دار القلم، الكويت، 1981م. ص 206.

13 - د. جوينتي مايترا: زايد من التحدي إلى الاتحاد، مركز الوثائق والبحوث، ط1، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2007. ص 319.

الرياح المحلية في الأمثال والكنايات الشعبية

فهد علي المعمري

تمثّل الكلمات القصيرة ذات المعاني والدلالات الكبيرة والكثيرة، وهي ما تعرف في آداب الشعوب بـ«الأمثال الشعبية» قمة الحكمة ونهاية التجارب التي يتميّز بها الأدب الشعبي عند مختلف الشعوب، ولم نقل الحكمة التي تأتِ هذه الحكم من واقع خالٍ، بل من واقع مليء بالأحداث والذي حتّم عليهم نقل الحكمة والتجارب التي عاشوها أجيالاً وأجيالاً، وتوارثوها كابراً عن كابرٍ حتى وصلت إلى الأجيال الحاضرة التي تعيش الحياة على هذه الأمثال والتي تعد مفاتيح الحياة الناجحة لهم.

وفي دولة الإمارات العربية المتحدة عاش الأجداد متوزعين على ثلاث بيئات هي البرية والبحرية والجبلية، ومن خلال هذه البيئات الثلاث المتنوعة جاءت الأمثال، لتكتسب من هذه البيئات مصادرها ومفرداتها وحكمها، وقد اجتهد الأجداد في إيجاد المصادرلهذه الأمثال، فتعددت وتكاثرت من خلال المصادر الثلاثة فتخصصوا في الصادرمن خلال مصادرجزئية من الأصل، بمعنى كانت الصحراء مصدرا للأمثال فجاؤوا بأمثال الطير، وجاؤوا بأمثال الصيد، وجاؤوا بأمثال النباتات البرية، وجاؤوا بأمثال الزروع، كما تخصصوا أكثرفمثلا النخلة كانت تساوي كل حياة الإنسان، فمنها يعيش ومنها يتغذّى، ومنها يكون مسكنه، لذا كانت مصدراً من مصادر أمثالهم، فقالوا فيها من الأمثال وذلك لتأكيد أهميتها في حياة المجتمع الإماراتي، فكان تراثنا منها وافراً، ومن هذه الأمثال:

- البسر يتعلق والخشاش يُطيح.
- التمر بالخص، والعيش بالقص.
- احشفه على اشفه ماتلصق.
- إذا انته تاكل غيرك يعد الطعام، والطعام هنا هو نواة التمر، وبعضهم يلفظها بتشديد الطاء والعين، فيلفظها الطّعّام.
- الطول طول نُخلة، والعقل عقل سُخله، والكثير يلفظها بالصاد، فيقولون صُخلة.

- الطويلة ما ترقى، والصغيرة فيها شوك.
- خوصة بخوصة، ورقعة الصمّه خصف.
- رخص الفرض وديّنوه، والفرض هو صنف من أصناف التمر، وديّنوه، أي تم بيعه بالأجل.
- الفرض عمود الأرض.
- ما حد يسوّي للحشف مكاييل، والحشف هو الرطب الرديء.

وكما أن من الصحراء كانت النخلة مصدراً لأمثالهم الشعبية، كذلك البحر، فقد كان البحر قوام معيشتهم صادقوه لعقود طويلة من الزمن، فأخذوا منه وأخذ منهم، وأعطوه وأعطاهم، فكانت أمثالهم منه كثيرة، وتخصصوا فيه فكان للغوص نصيب من الأمثال، وكان للؤلؤ نصيباً كذلك من الأمثال، أما السمك الذي كان الغذاء الرئيسي لهم، فجاءت الأمثال فيه وافرة أكثر من غيره فجاء مصدراً من مصادر الأمثال الشعبية، فقالوا:

- البوزيزي والغاض.
- حتى السفط خرد. والسفط هو قشر السمك.
- حتى السفط نعمة.
- حتى العنفوز يقلّون
- حتّى المتوت نعمة الله. والمتوت سمك صغير.
- دميت كلني السمك، وان غفيت كلني الطير.
- السمكة الخايسه تخيّس السمك كله.
- شنيوب غرق يمل.
- عومة، مأكولة ومذمومة.
- في غناه عن مرقة السحناه. والسحناه هو المسك المطحون.

في دولة الإمارات العربية المتحدة عاش الأجداد متوزعين على ثلاث بيئات هي البرية والبحرية والجبلية، ومن خلال هذه البيئات الثلاث المتنوعة جاءت الأمثال، لتكتسب من هذه البيئات مصادرها ومفرداتها وحكمها، وقد اجتهد الأجداد في إيجاد المصادر لهذه الأمثال

- فيه حفيز عن مرقة العنافيز. والعنافيز جمع ومفردها العنفوز، وهي سمكة غير مرغوب بها.
- ما يعفد في الشبك إلا أخس السمك. وكلمة أخس بمعنى أردأ أنواع السمك.
- من كثرة الصيادين فل السمك، وكلمة فل تعني الهرب أي أن من كثرة الصيادين سوف يهرب السمك.
- هامور ما يدش ولا يخلّي السمك يدش.

وإذا ما ذهبنا إلى الرياح المحلية، وهذه الرياح التي كان لها فيما مضى في العقد الثالث والرابع والخامس من القرن العشرين أهمية كبيرة فكانوا من الرياح المحلية يعرفون المواسم التي تسمّة بالدرور، فيها . أي الرياح . يدخلون البحر، وبها يصيدون الأسماك، وبها يزرعون، وبها يواصلون أسفارهم البحرية، وعليها يعتمدون في الإبحار الشراعي، فكانت في غاية الأهمية لهم، فقالوا فيها الأمثال والكنايات، وسوف نذكرهذه الأمثال والكنايات بشيء من الإطناب والشرح، ولنبدأ أولاً بالأمثال:

إذا ظَبَبَتْ خَبَبَتْ

أي جاء بعدها خُبّ، وهو الهواء التارس الشديد الذي يحرك الأشياء تحريكاً ظاهراً، ويقول الشاعر حميد بن ذيبان:

مَـــا خَبَّب وْظَبَّـــبْ إذا عَكْـــوَر سْمَـــاه

مِغْـــــوَارواسْنَـــــادِه على نَجْـــم سَـــانِي

وإذا جاء الضباب في اليوم الأول وعاود الكرّة في اليوم الثاني فعندئذ عرفوا أنه بعد هذا الضباب يأتي الخُبّ.

إذا كان هُوَاك من الصَّدِر، كيف تِعَلّي

كلمة الصدر، تعني مقدمة المركب، أما كلمة تعلّي، فتأتي بمعنى تندفع للأمام، فاذا كان الهواء يواجه المركب من مقدمته، أي أن الريح ضدّه، فإن الربّان يجد صعوبه في الانطلاق بالمركب، والمعنى أن هإذا اجتمعت الظروف ضد إنسانٍ ما، فإنها تحول من دون تحقيقة لما يريد إنجازه من عمل.

بَرْد الطَّلُوع، يَثّر في الضُّلُوع

زَاد سْهيل الشّتَا

حدثني الشاعر والراوي راشد بن غانم العصري بأن إذا طلع سهيل في آخر الشتاء تبدأ درجة البرودة بالارتفاع ودرجة الحرارة بالانخفاض، وكان الرجال عندما يأتون الطوى . جمع طوي . لشرب الماء يعرفون من درجة الحرارة خروج سُهيل، وذلك لبرودة المياه عمّا كانت عليه من الحرارة العالية، ويضرب المثل بالشيء البسيط والقليل، لأن سهيل من الحسابات الشمسية، وهو أحد الدرور عند أهل البحر ويسمّى دِرّ سُهيل.

سارت تدور النِذِرَا، ويَاهَا الْبَرْد من وَرَا

يضرب المثل بمن عمل الشيء بدون دراسة أو وعي فنتجت عنه مشكلة أصابت صاحبها بالضرر.

السبعين إذا بت ليلة الجمعة إتْسِبَّعْ

أي أن رياح السبعين، والتي تأتي في در السبعين، وتكون باردة، فإذا هبّت ليلة الجمعة، فإنها تستمر لمدة سبعة أيام.

الستين ذَبْح بِلا سِكّين

الستين هنا هو در الستين، ويأتي في بداية الشتاء، وبعده در السبعين ثم الثمانين وهي أشد فترات البرودة، وبما أن الستين تأتي بعد درجات حرارة ليست بالباردة، وحيث أن الناس تعوّدوا على الحرارة المرتفعة، وتأتي الستين ببرودتها فيشعر الناس بالبرد ويشعروا بأنه قارس ومهلك، فيقال في المثل «الستين ذبح بلا سكين».

الستين سكين

ويأتي هذا المثل بلفظ آخر هو «الستين سكين»، وينطبق عليه القول ما ينطبق على المثل الذي قبله.

شراع وهُوَا

إذا كانت تيارات الهواء مواتية فإن الشراع سوف يمتلئ بالهواء، وسوف تبحر السفينة بعيداً إلى عرض البحر، ويقال المثل للدلالة على أن الظروف مناسبة ومواتية.

العَقْرِبِي يَسْقِي بَرّ وبَحَرْ

العقربي يأتي من الجنوب، ويساعد أحياناً في نزول المطر لأن هواءه بارد، ويسقط المطر على كل إمارات الدولة، على برّها وبحرها، لذا قيل العقربي يسقي بر وبحر.

كل هُوَا ولَهْ شْرَاع

هوا، أي الهواء، والمقصود به هنا الرياح، فالسفن تستعمل أشرعة مختلفة الأحجام مثل الشراع العود والشراع المِيَاني والشراع الجِيبِ، وذلك طبقاً لاتجاه وسرعة الريح، ومعنى المثل، أنه لكل موقف، أسلوب معين، يتماشى مع طبيعته، وكما هو معروف، فإن لكل مقام حديث، ولكل حديث مقال.

ما تقوم المُوية إلا حَادِيها هُوَاالمُويه

المُويِة هي موجة البحر، والمعنى، أن موج البحر لا يعلو إلا إذا كان هناك هواء شديدً يدفعهه، ويضرب المثل في المجبور على الشيء ولحدوث مسبب له.

ماي وهُوَا

يقال هذا المثل للدلالة على أن الظروف مناسبة ومواتية، أي حين تكون الريح مع المركب، فإن سرعته تزيد.

يِكْسِرْ الدِّقَلْ قَبِل الخُبّ

الدِّقَلْ هو سارية السفينة، والخُبّ هو هيجان البحر وارتفاع الموج بسبب الريح، وعليه تقوم السفن بإنزال أشرعتها حتى لا تمتلئ بالريح وتنقلب السفينة، ويضرب المثل متى ما قام شخص بعمل ما قبل أوانه وبدون التأكد بأن الوضع يحتاج ذلك الأمر الذي ربما ينقلب عليه بشكل عكسي، ويكون في حاجة لما تخلّى عنه فلا يجده.

كنايات الرياح المحلية

وبعد هذا العرض المطنب قليلاً لذكر الأمثال المتعلقة بالرياح المحلية، نذكر الآن الكنايات المتعلقة بالرياح المحلية لدولة الإمارات، وهي:

بَرْد الثلاثين

هو برد يبدأ في أول موسم الشتاء، ويأتي في درّ الثلاثين ويستمر لغاية در الثمانين، وجميع هذه الدرور باردة.

بَرْد الْعِيَايِز

كناية عن شدة البرد وهو ما يعرف ببرد العيوز، إلاّ أن المتعارف عليه هنا أن الشخص إذا أكثر من كلمة البرد أو إحساسه بالبرودة يقال له على طريق الاستهزاء حل بك برد العيايز، لأن العيوز تكون كبيرة السن وتشعر بالبرد دائماً.

بَرْد المِرِيعي

كناية عن شدة هذا البرد، وتهب في فصل الشتاء، وتستمر أربعين يوماً، حيث تنخفض درجة الحرارة لأدني مستوىً لها، ويبلغ البرد أشده، فمتى واجه الشخص برودة عالية، أو جاءته نسمات باردة في بعض الأوقات قال: «برد المريعي».

سنة الطّبْعَة

وهي ليلة الكارثة، وقعت ليلة الجمعة 13 /3 /1344 للهجرة، إذ جاءت موجة رياح شديدة، جعلت مياه البحر كالطوفان، وتحطمت جميع السفن الراسية في عرض البحر، ومات آلاف الناس من جميع دول الخليج، لم يعرف عددهم إلا الله، وهي كناية لكل موسم تهطل فيه الأمطار بغزارة ويرتفع منسوب الماء، وتمتلئ السدود وتجري الأودية فيقال: "هذه السنة سنة الطبعة".

السهيلي حالفه له أمّه ما يبات

ما يبات أي لا ينام خارج منزله، والسهيلي يأتي صباحاً، ولا تطل مدته وربما استمر إلى بعد العصر وهذا آخر وقت له ولا يبقى إلى المساء، لذا قالوا عنه: السهيلي حالفه له أمه ما يبات، وهي كناية للشخص الذي لا يبقى خارج منزله إلى المساء، بل يعود إليه دائماً قبل غروب الشمس، فإذا أراد بعض الأشخاص الجلوس معه أو استضافته في منزلهم لحضور وجبة العشاء أو الحديث معه، يتعذّر لهم ليعود إلى منزله، فيقال عنه عندئذٍ «السهيلي حالفه له أمه ما يبات».

السهيلي يا يُثَّلثْ يَا يْسَبَّعْ

في الكناية التي تقول «السهيلي يبحث عن شمال» علمنا أنها لا تستمر أكثر من ثلاثة أيام، ثم تأتي الشمال وتذهب على إثره وكأن السهيلي تبحث عن الشمال لترحل، لذا قيل السهيلي «يا يثلث» أي يبقى ثلاثة أيام، وهذا ما هو متعارف عليه، وإمّا أن يبقى سبعة أيام، فالبعض ينكر ذلك ويقولون أن بقاءه سبعة أيام لم نعرفه ولم نشهده ولم يؤثر لنا عن أجدادنا.

السهيلي يبحث عن شمال

السهيلي يأتي من جهة البرّ، ويأتي شديداً صليباً فينتج عنه الغبار الكثير، والسهيلي يأتي دائماً وأبدا من الصبح إلى فترة الظهيرة، وربما بقي إلى العصر وعندها ينتهي في يومه الأول بعد شدته وصلابته، ثم يعاود اليوم الثاني بسرعة أقل من اليوم الأول، ثم يأتي في اليوم الثالث خفيفا جدا ويتوقف عن الحركة فتأتي الشمال، ولذا يقال السهيلي يبحث عن شمال، ويضرب المثل في كل شيء يأتي ولا يذهب حتى يأتي شيء غيره.

شَلَّكْ طَهَف

الطَّهَف العاصفة الهوجاء، والشديدة التي تحرك الأشجار تحريكاً شديداً وربما قلعت المنازل، وتحدث أضرار كبيرة بالممتلكات والأرواح، وقد يستعد لها الناس ببعض الاحترازات للاتقاء منها.

شَلَّكْ مِطْلِعي

ويقال «خَذْك مِطْلِعي»، وتعد رياح المطلعي رياحا مثيرة للغبار والأتربة، كما تعمل على ارتفاع مستوى موج البحر، لذا تقال هذه الكناية في كل شخص لا تريد له الخير أو أصابك من قبله التعب والنصب، وهو على ذلك يلجّ في مشاكله، يقال له «خذك مطلعي أو شلك مطلعي».

وفي كل الأحوال يقال شلّك طهف وشلك مطلعي من كبار السن عندما يسأمون من الصغار وحركاتهم الكثيرة التي لا تهدأ وتسبب لهم في كثير من الوقت التعب والضرر، فيقولون ذلك على سبيل الدعاء عليهم.

طَاحَتْ اِلسَّايْبِة

عندما تأتي الشمال في البحر أيام الغوص تكون شديدة عليهم حتى أنهم يخشون على أنفسهم من التلف والغرق، ويلاقون من هذه الريح العناء الكبير، وبعد أن تتوقف الرياح نهائيا يقولون: طَاحَتْ اِلسَّايْبِة، وهي كناية عن كل شخص يأتيك مهدداً ومتوعداً بكل قوة يمتلكها بأن يفعل كذا كذا لأجل ضررك، ثم لا يلبث أن يهدأ ويعود صديقاً مؤاخياً فيقال «طَاحَتْ اِلسَّايْبِة».

طَاح اِلْهُوَا

يشترك في لفظه ومعناه مع الكناية التي سبقته وهي «طَاحَتْ اِلسَّايْبِة».

كِلْ أرْبِعين قَشْرَة

حدثني بهذه الكناية الشاعر سيف حمد بن سليمان الشامسي، وقال أن المقصود بالأربعين هنا هو در الأربعين، وهذه الأربعين تأتي في البحر وفي أيام الغوص وتتسبب في إحداث الأمواج الكبيرة بفعل رياح الشمال، وقشرة بمعنى شديدة ومؤذية، سواءً جاءت في الشتاء أو في القيظ، والمثل يضرب إذا كان أكثر من شخص وكل منهما مؤذياً ولا تسطيع الاتقاء منه، يقال: «كل أربعين قشرة».

مِسْتَنْ وِلاَ هُوَا

مستن أي مندفع بسرعة، والهوا أي الهواء، والمعنى إذا لم يكن هناك رياح مواتية فكيف للشراع أن يمتلئ بالهواء، وكيف للمركب أن يندفع، فإذا لم يكن هناك رياح مناسبة فكيف لهذه السفينة أن اندفعت بسرعة، فالأمر محير ويدعو للدهشة، والكناية تضرب للتعجب عند حدوث الأشياء من دون سبب أو مقدمة

النِّعَشِي إن قَيَّلْ مَا بَات، وان بَات مَا قَيَّل

النِّعَشِي يأتي من جهة الشمال ومن قبل سواحل خور فكان ودبا والفجيرة، وتسمى هذه السواحل مِرْيَال ثَاني، وهي التي قصدها المايدي بن ظاهر في قصيدته حيث يقول:

علـــى الْمِـــــزْرَعْ وخَطّـــا والْهُـــــزُوع
مِهَايِفْـــــــةٍ إلـــــى مِرْيَـــــال ثَانـــي

ويأتي النِّعَشِي شديداً وصليباً، وحدثني الشاعر راشد بن غانم العصري بأن النِّعَشِي يأتي من الصباح ويستمر حتى المساء، لكنه لا يستمر أكثر من ثلاثة أيام. ويؤكد على شدّته وصلابته فيقول إن أهل عمان يسمون النِّعَشِي الأعْوَرْ لأنه يأتي عليهم بريح شديدة فيتخطى البشر والبهائم والزرع، ويتلف بعض ما يأتي عليه ويرحل عنهم، فيشبهونه بالإنسان الأعور الذي لا يبصر بعينه، فيطأ بقدمه كل شيء ويذهب.

النِّعَشِي مَا يْعَشِي

ومن أساطير الأجداد، في رياح النِّعَشِي، أن الرياح تهب نهاراً، ثم تهدأ قبل المغرب وتسكن نهائياً، ثم تعاود نشاطها في نهار اليوم التالي على ذات الصفة، والسبب في ذلك، يعود إلى والدة النعشي، حيث أنها تزجر ولدها بأن يبقى بعيداً عنها خلال الليل، لذا فهي تستدعيه لينام بجنبها، ثم تسمح له بالذهاب عنها نهاراً، لذا قالوا إن النِّعَشِي مَا يْعَشِي، أي أنه متى ما هب نهاراً، فإنه يهدأ قبيل المساء، ثم يهدأ نهائياً خلال الليل، وكنايته هنا هي ذات الكناية التي ذكرناها سابقا والقائلة «السهيلي حالفه له أمه ما يبات».

نِقْعَت الشّمَال

دائماً ما تأتي الشمال قوية، فإذا جاءت في البر أثارت الرمال والغبار، وربما حجبت الرؤية أحياناً، وإذا أتت في البحر عملت على هيجانه وارتفاع الأمواج، وهي كناية عن الشخص الذي يثور أحياناً ويشتط غضباً، فيقال حينها «نقعت الشمال».

الهُوَا غَرْبِي والمَاي ثَبْرْ

الثبر هنا هو الجَزْر أي انحسار الماء عن الشاطئ، والغربي بطبيعة اسمه الريح القادمة من جهة الغرب، وتزداد حدته من الشرق، فيدفع السفينة الخشبية إلى الشاطئ، فيبقى الرجال أو السفن واقفين في أماكنهم لا يستطعون الحراك، فالماية ثبر والهوا غربي، وهي كناية عن كل أمر يأتي على غير استعداد الشخص له فيساعد على إعاقته وتأخيره عمّا يريد، فمثلاً إذا أراد أحدهم السفر يعلم أنه لا بد أن يجتاز هضبة عالية شديدة المرتقى، وهي في هذه المحنة تستقبله الرياح القوية بترابها وغبارها بوجه فيقول بلسان الحال «الهُوَا غَرْبِي والمَاي ثَبْرْ» ■

قلعة المربعة

عندما يمتزج التراث بالحماية

حسن صالح محمد

عندما يمتزج التراث وحماية الناس، ستكون حتماً قلعة المربعة: هذه البداية التي وجدناها معبرة بصدق عن الدور الذي أولت فيه أبوظبي الأمن رعايتها، فبات اهتمامها به اهتماماً متزايداً شأنها شأن باقي الإمارات. فأبوظبي التي سعت منذ عهد طويل على تكوين قوات تتولى حفظ الأمن وحماية الناس والدفاع عن أرضها وحدودها وحماية مواطنيها. بدا هذا الحس العالي واضحاً أشد الوضوح عند المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيب الله ثراه -، الذي رأى ضرورة تكوين مراكز للحماية تتولى حفظ أمن الناس؛ فهذا دأب آبائه وأجداده.

وتبقى قلعة المربعة أنموذجاً حياً وشاهداً على هذا الحرص. إذ أسس الشيخ زايد، قلعة المربعة في منطقة العين بالمنطقة الشرقية من إمارة أبوظبي. وبناها لهذا الغرض وكان يمضي على خطى آبائه وأجداده منذ القدم، فهم الذين أولوا الأمن عنايتهم فأقاموا أبراجهم وقلاعهم وحصونهم المتعددة في كل المناطق الخاضعة لهم، ورأينا في جزيرة أبوظبي ثلاثة أبراجٍ لهم لحفظ الأمن (برج السعديات، والحصن، والمقطع). والمتأمّل في تاريخ دولة الإمارات بعمومها، وأبوظبي خاصة يدرك أنّ بناء الإتحاد قام على مختلف أركان الدولة ومؤسساتها ولم يستثن منها ركناً، كما أن المتتبع للحالة الأمنية قبيل قيام دولة الإمارات العربية المتحدة سيجد من دون شك وجود قوى أمنية كانت تقوم بمهام حفظ الأمن والدفاع على حدٍ سواء وقد لعبت تلك القوى في كل إمارة دوراً بارزاً في تأمين الحماية والدفاع من قبل أن يتم تأسيس قوة نظامية حديثة. وضمن تلك القوى كانت هناك فرق تُعرف بـ(المطارزي، أوعسكر، أوالفداوي)، وهو في الحقيقة «الخوي»، ويكاد يتفق الجميع على أنّ الرحلة الأمنية الداخلية بدأت من «خويَّ الشيوخ» في الإمارات بعمومها وأبوظبي على وجه خاص.

مصطلح «خويَّ الشيوخ»، يجيء من أخٍ، بما تحمله الكلمة . بحسب الدارجة المحلية . من حميميةٍ وهم أولئك الرجال الذين كانوا يعملون تحت إمرة الحاكم لحماية البلاد ونشر الأمن وتحقيق العدالة عندما يقتضي الأمر والخوي، هو الشرطي الذي نعرفه اليوم. وسنفرد في حديث آخر لهذا حتى نوافيه حقه.

ففي الواقع ستبقى قلعة المربعة التاريخية شاهداً حياً على بعد نظر الشيخ زايد بن سلطان طيب الله ثراه، لقد كان يدرك بثاقب نظره احتياجات الناس وتوفير الأمن والحماية لهم ضرورة الاهتمام، فعندما أراد أن ينشىء برجاً للمراقبة، ومقراً للحرس. أراد أن يكون هذا البناء على شكل قلعة مستوحاه من تراث البناء والتحصينات الزاخر في هذه البلاد، وأرادها مربعة الشكل.

بُنيت القلعة في عام 1948م. فخلال حكم الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، للمنطقة الشرقية، كان يخطط لهذا البناء الجديد، وكان ببعد نظره يرى ضرورة توفير الأمن والحماية اللازمة، لذا خطط لهذا المشروع ليكون متوافقاً كذلك مع الإرث الغني لتراث البلاد، ووضع تصوره ومخططه بالكامل فبقي البناء والتنفيذ على أرض الواقع. حيث قام بالإشراف على بنائها المهندس محمد بن أحمد البنا، رحمه الله. وظل الشيخ زايد يتابع كل مراحل البناء خطوة بخطوة.

فتم رسم المخطط على الأرض وراح البناء المكون من الطوب الطيني يرتفع وكانت جذوع النخل التي تُعبر عن الأصالة تمثل عوارض تحمل السقف للأعلى وراحت القلعة، وهي محصنة ومستطيلة الشكل، ولها برج مربع ضخم يتكون من طابقين، تبدو منتصبة من بعيد وكانت أعلى بناء آنذاك. وباتت منذ ذلك التاريخ موقعاً أساسياً للحماية. واكتسبت القلعة اسمها من شكل البرج وكانت دليلاً ولا تزال حياً على بعد نظره وثاقب رؤيته كدليل على حسه الأمني.

كانت قلعة المربعة تعرف في الخمسينيات بـ«مربعة زايد»، ويُزودها بالماء فلج تاريخي يمتد

محمد أحمد البنا الذي قام ببناء قلعة المربعة عام 1948م

تبقى قلعة المربعة أنموذجاً حياً وشاهداً على هذا الحرص. إذ أسس الشيخ زايد، قلعة المربعة في منطقة العين بالمنطقة الشرقية من إمارة أبوظبي. وبناها لهذا الغرض وكان يمضي على خطى آبائه وأجداده منذ القدم، فهم الذين أولوا الأمن عنايتهم فأقاموا أبراجهم وقلاعهم وحصونهم المتعددة في كل المناطق الخاضعة لهم، ورأينا في جزيرة أبوظبي ثلاثة أبراجٍ لهم لحفظ الأمن (برج السعديات، والحصن، والمقطع)

على نطاق واسع شرقاً وغرباً إلى شمال البرج، والمربعة كانت مقراً إدارياً لمؤسسات المدينة، وبرجاً للمراقبة، ومقراً للحرس، لذا فقد وفرت الأمن القومي والأمن العام لسكان المنطقة والمناطق القريبة منها وكان السكان يلجؤون إليها وقت الخطر أو تعرضهم لهجوم من قبل الآخرين، وهي مزودة بمساحة فسيحة لإيواء المُحتمين بها، وبحجرات كثيرة لتخزين الغلال والطعام الكافي لإطعامهم وقت الخطر، وهي دائماً مزودة بالماء، كما أن قوة من ساحل الإمارات، بقيادة الرائد «ماكدونالد »، عملت فيها عام 1953. م فقلعة المربعة تقع، بالقرب من الحصن الشرقي

قلعة المربعة التي بناها المغفور له الشيخ زايد بن سلطان عام1948م

في مدينة العين، ويحدها من الغرب والجنوب الطريق الرئيسي ومن الشمال المنازل السكنية ومن الشرق مركز الشرطة، وقد فُتحت القلعة لاحقاً أمام الناس لاستكشاف فن العمارة الإماراتي للإدارات الحكومية قبل حقبة النفط. [1] وهي . أي المربعة . اسم يعني الكثير في العين، ولها مكانتها في قلوب أهلها ممن عاصروا حقبة تاريخية مهمة من مراحل البناء التي قادها الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيب الله ثراه، الذي كان له الفضل في بناء المدينة. ويذكر أنه حين استقدم البنآء، فقد حدد بعصاه له موقع المربعة، ومساحتها، وقال له: هنا تبنى المربعة، وكان يشرف بنفسه على مراحل البناء أولاً بأول.

وتتألف القلعة من برج مستطيل الشكل وتقع بوابته في وسط الجدار الغربي لشرفة القلعة المبنية من الطوب الطيني. وتتمركز الشرفات والأبراج المثلثة الشكل والمستخدمة للرماية على قمة الجدران والبرج. ويُعتبر القوس المتعدد الطبقات والذي يطل على الشارع الرئيس أنموذجاً للبناء المحلي حيث استخدمت جذوع أشجار النخيل والحصير المصنوع من سعف النخيل لدعمه في البناء. ويوجد في الساحة كوخ مبني من غصون النخيل يعكس طبيعة العمارة المحلية التي كانت شائعة في بناء المنازل في دولة الإمارات حتى ستينيات القرن الماضي. [2]

ومن الجدير ذكره هنا إنها استخدمت كسكنٍ خاص لكبار الضيوف في العين فكانت مقراً لإقامة قائد قوة الساحل، الرائد «بيتر ماكدونالد»، كما استخدمت كسكناً للدكتور «ديفيد هاريسون» طبيب قوة الساحل، الذي أقام معملًا لتحنيط الطيور في القلعة. وقد استخدم هاريسون الطابق الثالث وأتخذه معملاً له طوال فترة إقامته في العين. [3]

وفي شهر نوفمبر من عام1959م، جرى أن استحدثت شرطة أبوظبي مركز شرطة في قلعة المربعة بالعين، وكان مختصاً بمتابعة الأمور الأمنية وضم عشرين فرداً يتبعون دائرة الشرطة في إمارة أبوظبي.

قصة متحف شرطة المربعة

كانت القلعة مقراً لشرطة العين في البداية بمنطقة السوق، وقد أمر الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله ببناء برج من ثلاثة طوابق لاستخدامه للحراسة وعين رحمه الله أربعة حراس مواطنين وهم :علي بن دليوي المنصوري، رحمه الله. وأحمد سلطان محمد السلامي النيادي، وسيف بن حبيش السويدي، رحمه الله، ومحمد بن شيبان المهيري، رحمه الله.

واستمرت الحراسة في برج المربعة حتى حضور فرقة من قوة الامارات المتصالحة بقيادة الميجر «ماكدونالد» عام 1957م فاتخذت الفرقة من قلعة المربعة مقراً لها أثناء عملهم فيها. وبنهاية عام 1959م قامت شرطة أبوظبي باستحداث مركز شرطة في منطقة المربعة في العين وقد كان المركز مختصاً بمتابعة الأمور الأمنية في السوق على مدار الساعة، وتكوّن المركز عند الإنشاء من 20 فرداً يتبعون دائرة الشرطة في أبوظبي.

وما أن جاء عام 1960م حتى بلغت قوة شرطة أبوظبي المتمركزة في العين 28 رجلاً منهم 12 رجلاً من حراس الشيخ زايد. وقام عدد من ضباط وأفراد هذه القوة بتولي المسؤولية وكان من بينهم الملازم راشد مبارك بالوري الخيبلي الذي تولى مسؤولية شرطة العين من عام 1957 حتى عام 1960م.

ثم تولى المسؤولية الملازم أول جمعة علي برحمه الدرمكي من عام 1960 حتى عام 1962م ثم الملازم خليفة مبارك مفتاح الظاهري وعاونه خميس حارب الظاهري من عام 1962 حتى عام 1965م، ثم الملازم أول خليفة حميد خلف الظاهري من عام 1965 حتى عام 1968م تقريباً. وكانت شرطة العين آنذاك تسمى مركز المربعة بالعين وتتبع دائرة الشرطة في أبوظبي. وبقيت قلعة المربعة حتى عام 1985 م مبنى لإدارة شرطة العين، ثم بُنيَ مركز شرطة وسط المدينة بالقرب من مبنى قلعة المربعة، وافتتحه في 25من مارس1989م، الشيخ سعيد بن طحنون آل نهيان عضو المجلس التنفيذي ووكيل دائرتي البلدية وتخطيط المدن بالعين آنذاك.

وللأهمية التاريخية فقد أمر المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في الثالث من مايو من عام 1994 م، بتحويل المبنى القديم لإدارة شرطة العين «قلعة المربعة»، لمتحفٍ دائم للشرطة، ولعدم إمكانية تحويل القلعة إلى متحف تم تحويل المبنى المجاور لها «مركز شرطة وسط المدينة» ليصبح متحفاً. وحرص القائمون على نقل جذوع النخل التي كانت موجودة بالمربعة (أثناء ترميمها) لتزيّن بجمالها سقف ردهة المتحف، وعبر هذا الإجراء على التمسك بكل ماهو أصيل ومرتبط بذاكرة أهلها ويدل على تمسكهم ببيئتهم وجمالها ومدى الارتباط بشجرة النخيل المترسخة في وجدانهم وذاكرتهم الثقافية وموروثهم الأصيل الذين يعتزون به.

وتُعتبر قلعة المربعة اليوم واحدةً من مواقع العين الثقافية المُدرجة على قائمة التراث العالمي لليونسكو منذ عام 2011م. وهي لاتزال تشهد مهرجانات تراثية وثقافية، بل وأمنية منذ 2016م، وكل عام. وهي الآن أحد أهم المتاحف الشرطية، التي تضم تاريخ ومسيرة الشرطة والأمن، ويشرف ويتابع عملها الموروث الشرطي بالقيادة العامة لشرطة أبوظبي بقيادة مشرف عام حريص على التأريخ الأمني والشرطي ■

المراجع:

1.عبد الستار العزاوي، المربعات: دراسة تاريخية - تحليل معمارى، (الشارقة: وزارة الاعلام، 1998)، ص7 - 9.

2. خورشيد حرفوش، «القلعة «المربعة» مكان له تاريخه ومكانته في قلوب أهل العين»، صحيفة الاتحاد، 7 نوفمبر 2011.

3.شمسة حمد العبد الظاهري، أبوظبي دراسات في التاريخ الاجتماعي 1820 - 1971، ط2، نادي تراث الإمارات . أبوظبي، 2016 . ص 206، 207.

النداء والنادي والمُنَادِي

د. عبدالعزيز المسلّم

رئيس معهد الشارقة للتراث

النداء أداة مهمة من أدوات الحديث في اللهجة الإماراتية، وبالنداء مطالع لكثير من الأقوال والأمثال والأشعار، ومن أهم أدوات النداء (يا، أنت، ايه، يو، يا هيه) فنقول يا فلان، أنت الفلان، ايه الفلان، يو الفلان، يا هيه فلان.

أما النادي في اللهجة فتعني الندى وهو الطل، وقد يسمى طل النادي زيادة في الوصف والتوضيح، أما في اللغة فقد جاء في معجم الغني: نَدَى جمع إنداء وهو بخار الماء المتكاثف الذي يسقط في بعض الليالي، ومن معانيه (مطر، جود، فضل، عشب، غاية، ثرى، أرض مبتلة، عرق يسيل من الخيل عند الركض).

أما الطَّلُّ فقد ورد معناه في المعجم الوسيط: الطَّلُّ المَطَر الخفيفُ يكون له أثر قليلٌ.، وفي التنزيل (فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ

فَطَلٌّ) البقرة آية 265 ، الطَّلُّ الندى الذي ترسله عُرُوقُ الشجر إلى غُصُونها، الطَّلُّ اللبَنُ، الطَّلُّ الكبير السنّ، والجمع طِلالٌ، وطِلَلٌ.

أما المنادي ويلفظ (لِمْنَادي) فهو الذي ينادي على الأحداث الكبيرة والصغيرة للبلاد كتنصيب حاكم جديد أو موت حاكم أو ولادة طفل جديد لحاكم، أو ضياع رجل أو طفل أو امرأة او حتى ضياع نقود أو حلية أو سلاح أو شيء من البهائم.

وتختلف طريقة المناداة عند كل منادي، لكن تبقى صيغة المناداة واحدة، ففي تنصيب حاكم جديد يقال (الدور دور سلطان مثلا) ومعناه أن سلطان أصبح حاكما منذ الآن، والدور هنا تعني العهد أو الحكم، وفي ضياع الناس أو الأشياء أو البهايم، يقال (يا من لقىٰ له ولد ضايع) وهكذا بعد النداء يسمى الضائع.

في بعض البلاد العربية والخليجية يستخدمون لفظ (أَنادي) للنداء، فيقال أناديك وللجمع أناديكم، أما في الإمارات فيستعاض عنها بلفظ (ازقر) للنداء، فيقال ازقرك وللجمع ازقركم والنداء يسمى الزقر، ومن أجمل الأمثال على اللفظين قول الشاعر سعيد بن عتيج:

صاح بزقر لمنادي
بخطوفه
يوم السفن بتشل

وهنا الشاعر يقول: إن المنادي قد صاح ينادي ببدء رحلة الغوص على اللؤلؤ، وهو نداء صعب لعمل شاق ومضني، ففي رحلة الغوص على اللؤلؤ يموت الكثيرون ويصاب كذلك الكثير بإعاقات وعاهات مزمنة، علاوة على ذلك كله يكون فراق الأهل والأحبة لفترة تزيد على الأربعة أشهر ■

أن تجلب معك ضوء الشمس

د. فاطمة حمد المزروعي
كاتبة وباحثة من الإمارات

لقد تطورت الحياة في السنوات القليلة الماضية أكثر مما تقدمت خلال القرون السابقة، فمنذ اختراع الطباعة كان التغيير بطيئًا، كل عقد أو عقدين، هناك خطوة كبيرة وجديدة للبشرية، لكن في الأعوام الماضية صار التطور سريعًا، يقاس بالأيام لا السنوات. ولعله من الطريف أن نشير إلى أن ألفين توفلر قد ذكر قبل خمسين سنة هذا الأمر، فقال «الكثير من التغيير في فترة قصيرة من الزمن يعدّ صدمة في المستقبل».

وهذا التغيير يستلزم استمرارية التعلم، حيث إن المرء عليه أن يتعلم، فينسى؛ كي يتعلم من جديد، كما يقول توفلر، وإلا أصبح أمياً، وليتوافق مع هذا التغيير عليه أن يكون طموحًا، وفضولياً، ولديه وعي بالذات، وعليه أن يكون متسامحًا مع نفسه عندما يقع في أخطاء؛ كي لا يجد نفسه متأخرًا عن عصره، وغير مستفيد من ثمار التطور في شتى المجالات.

الانفجار التكنولوجي والمعرفي يشعله تسابق الشركات والدول في الابتكار والاختراع، للبناء على ما أنجزه التقدم العلمي، وهذا أثبت ثماره في حشد الجهود، لإنتاج اللقاحات وتوزيعها خلال جائحة كورونا. مع التطور والتقدم ازداد انهماك الناس في العالم الافتراضي، مما جعل البشر متواصلين مع أطراف الكرة الأرضية في الوقت نفسه، رغم اختلاف المكان، وهذا أثر على شتى المجالات، الاجتماعية،النفسية،والاقتصادية وغيرها، فقطفت ثماره الإيجابية، وتجرعت على مهل نتائجه السلبية، لاسيما في المجال الاجتماعي، مع التأكيد أن معظم آثاره مرتبطة بسوء الاستعمال، خاصة قضاء بعض الناس ساعات طويلة من يومهم في تصفح الشبكة العنكبوتية للتسلية أكثر من الاستفادة منها. والإنسان في هذا العصر صار مضغوطًا مرهقًا؛ بسبب كثرة الأعمال والمسؤوليات، التي قد يحملها معه إلى بيته، من خلال هاتفه الذكيّ، الذي يجعله متاحًا، في كل وقت وكل مكان، أضف إلى ذلك قضاء الساعات الطوال على الشبكة العنكبوتية، إن هناك أموراً كثيرة يمكن للمرء عملها؛ لتقليل ضغوطات الحياة، ومنها التأمل، وهوفي أحد معانيه الاسترخاء، أساسه تهدئة العقل وإراحته، بمنحه فرصة؛ ليعيش اللحظة الراهنة في هدوء وصمت؛ كي يتوقف عن اجترار الماضي عن القلق من المستقبل . يمكن ممارسة التأمل باختيار مكان هادئ، وبالابتعاد عن الهاتف والألواح الإلكترونية؛ لأن إنسان هذا العصر يمتلك يدًا ثالثة، تحت اسم مجازي هو الهاتف الذكي. إن التأمل يمكن ممارسته في الطبيعة، عند الشاطئ أو في حديقة، فالهواء المنعش يساعد كثيرًا، أو في البيت أو المكتب أو أيّ مكان آخر.

ما يهم في الأمر هو تصفية الذهن، باستبعاد أي فكرة تخطر على البال، من الطبيعي أن يسرح الشخص في موضوعات مختلفة، لكن عليه أن يعود من جديد لتصفية الذهن، يمكن أن يتدرج من دقائق معدودة إلى ربع ساعة أو نصف ساعة حسب حاجته وظروفه أو ممارسة اليوغا أو المشي أو أي طريقة تساعده على تهدئة عقله وإراحته. هناك فوائد جمة للتأمل، أثبتتها الدراسات الحديثة، منها ما يؤثر على الجسد والنفس، أما الجانب الجسدي فمنها تقوية المناعة، وضبط السكر في الدم، الضغط ، والجهاز النفسي وغيرها، مما لا يتسع له المجال هنا.وأما الجانب النفسي فهو زيادة التركيز، الهدوء، السلام الداخلي، الشفاء الذاتي. وجاء في دراسة الدكتور فيليب رايس، التي أجراها في بلجيكا، أن مؤشر القلق،الاكتئاب والرغبة في الانتحار قد قلّ لدى الطلبة الذين مارسوا التأمل مقارنة بالطلبة الذين لم يمارسوه. لعلّ أهم ثمار التأمل هو السلام الداخلي، الذي يعني تقبل المرء لذاته في الوقت الحالي، ومحبتها كما هي، وعيشه في اللحظة الحاضرة؛ لتحقيق ذلك علينا أن نجعله ممارسة يومية، في أيّ مكان أوزمان؛ لتهدئة العقل من سيل الأفكار الهادرة، وما يتلقاه كل لحظة من أخبار ومعلومات كثيرة، ليست كلها إيجابية متفائلة. التأمل كأنه ضوء الشمس، وكما قال أحد المفكرين: أينما ذهبت وكيفما كان الطقس فاحرص دائمًا على أن تصطحب معك ضوء الشمس الخاص بك ■

إعلان طباعة كتب

وَضَع نادي تراث الإمارات ومركز زايد للدراسات والبحوث خطُة لرفد المشهد الثّقافيّ الإماراتيّ بإصدارات متنوّعة كلَّ عامٍ فيما يخص تراث وتاريخ الإمارات فقط. تغني المكتبة التراثية الإماراتية، وتفتح منافذ معرفيّة جديدة أمام الباحث الإماراتي والعربيّ، وذلك بدعوة المؤلّفين والباحثين والكُتّاب والأدباء الإماراتيين والعرب إلى طباعة كتبهم وتسهيل نشرها وتوزيعها في المركز والمشاركة بها في المعارض والفعاليّات الثّقافيّة، ويمكن للراغبين في ذلك إرسال مؤلّفاتهم؛ لنشرها بعد أن يُقِرّها فريقُ تحكيم من المختصّين. يُقدِّم المركز لمؤلّف الكتاب مكافأة ماليّة تتراوح بين (1500 - 2500 دولار أمريكي). يَشْمل هذا المبلغُ التعويضَ عن حُقوق نَشْر الكتاب، وطباعته، وترجمته، لمُدة خَمْسِ سَنَواتٍ من تاريخ إبرام العَقْدِ بين المركز والمؤلّف. كما يُقدِّم المركز عشرين نسخة للمؤلّف بعد طباعة الكتاب.

شروط النّشر

- أن يكون موضوع الكتاب متصفاً بالجِدّة، والموضوعيّة، وشمول المعالجة، والفائدة المعرفيّة، وألا يُخلَّ بالقيم العربيّة الأصيلة.
- ألا يكون الكتاب رسالة من رسائل الماجستير أو الدكتوراه أو جزءاً من هذه الرّسائل.
- ألا يكون الكتاب منشوراً سابقاً.
- ألا يكون الكتاب مُقدَّماً للنشر في جهة أخرى.
- أن تكون لغة الكتاب هي اللّغة العربيّة الفصيحة.
- ألا يكون الكتاب مترجماً.
- أن يلتزم الكتاب بالمنهجيّة العلميّة في التّأليف، وخصوصاً الأمانة العلميّة، والإحاطة بالموضوع، والاعتماد على المصادر الأصيلة، وتدوين الهوامش في أمكنتها من كلّ صفحة.
- أن تُدوَّن المصادر والمراجع في نهاية كل كتاب مرتبة ترتيباً ألفبائيّاً بحسب لقب المؤلّف، أو أسرته، أو قبيلته، وأن تُقسم بحسب أنواعها: المصادر، المراجع، الدّراسات، وبحسب لغتها العربيّة أو الأجنبيّة.
- أن يكون الكتاب مُنضَّداً بالحاسوب بصيغة الوورد، ومُصحّحاً، ومرفقاً بنسخة ورقيّة على وجه واحد.
- يُرفَق الكتاب بخلاصة وافية في حدود مائتي كلمة باللغة العربية.
- يُرفق الكاتب مع الكتاب نبذة مختصرة عن حياته العلمية، تتضمَّن اسمه الثلاثي، وبلده، وعنوانه البريديّ والإلكترونيّ، وعمله، وصورة شخصية ملونة حديثة له.
- ألا يقل الكتاب عن (مائة وخمسين صفحة)، وألا يزيد عن (250 - 350 صفحة)، على قياس A 4 وبونط 16 Simplified Arabic أو Times New Roman
- تَتَولَّى هيئةُ تحكيمٍ مختصةٌ مراجعةَ الكتاب وتَقييمِه وإصدارِ قرارٍ نهائيٍّ في أمر طباعته خلال شهرين من تاريخ إرساله.
- يلتزم الكاتبُ، في حال الموافقة على طباعة الكتاب شريطة تنفيذ بعض التّعديلات، بإجراءَ التعديلات المقترحة من هيئة التحكيم.
- لا تُرَدُّ الكتب المُعتذَر عن نشرها إلى أصحابها.
- يُستبعَد أيُّ كتاب مخالف للشروط المذكورة.
- تُرسَل الكتب على نسختين وورد وبي دي اف على الإيميل الخاص بالكتب وهو: **torthbook@ehcl.ae**

السلسلة التراثية الثقافية (6)
مركز زايد للدراسات والبحوث

البحر في تراث دولة الإمارات العربية المتحدة

شمسة حمد العبد الظاهري

«البحر في تراث دولة الإمارات العربية المتحدة» كتاب يتناول الدور الحيوي الذي لعبه البحر في حياة أهل الإمارات في فترة ما قبل اكتشاف النفط، وكيف شكل لهم تراثاً غنياً متنوع الجوانب والألوان وفيه العديد من الدلالات والمعاني، فهو يشمل رحلات الماء وما تحمله من وقائع وحكايات وسرديات وتاريخ وأهازيج شعبية، وأمثال وألغاز، ومصطلحات بحرية شكلت معجماً لغوياً شفوياً غنياً بدأ يتراجع أمام التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها التي طرأت على حياتنا المعاصرة؛ ومن هنا تأتي أهمية جمع هذا التراث البحري ونقله إلى الأجيال المقبلة.

ويتناول هذا الإصدار موضوعات مختلفة كطرق الصيد القديمة التي زاولها أبناء الإمارات وعن مغاصات وصيد اللؤلؤ وزراعته وتجارته، وعن صناعة السفن والمراكب وعن أنواع سفن الغوص والموانئ البحرية في الإمارات.

كما يتطرق بالحديث عن البحر في الأدب الشعبي الإماراتي، وعن ذكريات وقصص أبناء الإمارات مع البحر ودور الطب الشعبي في علاج أمراض الغوص. ويضم الباب الأخير مجموعة من القصص والحكايات من التراث البحري الإماراتي برواية خميس بن راشد بن زعل الرميثي، أحد أهم رواة التاريخ الإماراتي الحديث، وهو مختص في التراث البحري الإماراتي.